الصهيونية العالمية وإسرائيل

تأليف

الدكتور حسن ظاظا
استاذ اللغات الشرقية المساعد
بكلية الآداب ـ جامعة الاسكندريه

الدكتورة عائشة راتب
استاذة القانون الدولى العام
بكلية الحقوق جامعة القاهرة

الدكتور محمد فتح الله الخطيب
استاذ نظم الحكومات المقارنة
وعميد كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
بجامعة القاهرة

الهيئة العامة للكتب والاجهزة العلمية
القـاهرة

١٩٧١

إسرائيل كفصيلة خاصة من فصائل المعسكر الاستعماري

الدكتور حسن ظاظا
الاستاذ المساعد بكلية الآداب
جامعة الاسكندرية

صور قديمة من التعاون اليهودى مع الاستعمار :

يعتبر استخدام المعسكر الاستعمارى لليهود فى الخط الأمامى من معاركه الحديثة ضد الأمم المطالبة بحريتها ، الثائرة من أجل استقلالها ومن أجل سلام عادل ومتين فى العالم ، مرحلة جديدة من جانب القوى الاستعمارية ، التى تكاد ترى وتلمس النهاية المحتومة للنظام الاستعمارى .

واذا كان الاستعمار قد وجد فى اليهود عميلا له لعرقلة استقلال الأمم المتحررة وتقدم الأمم النامية ، واذا كان قد لجأ الى هذا الحلف الشيطانى لأول مرة فى تاريخه ، فان لليهود ، من جانبهم هم سوابق عبر التاريخ فى التعاون مع قوى الظلم والعدوان ، ولو أدى ذلك الى أشنع الكوارث على الانسانية .

عرفناهم فى التوراة ، وهم بعد يقيمون فى مصر على أثر مجىء يوسف اليها فى دولة الفراعنة ، وعرفناهم من خلال شكوى فرعون نفسه منهم : « فقال لشعبه ، ان شعب بنى اسرائيل أكثر وأعظم منا . تعالوا ندبر لهم أمرا كى لا يكثروا ، فيكون أنهم اذا وقعت حرب ينضمون الى أعدائنا ، ويحاربوننا ، ثم يخرجــون من البلاد »[1] . واذا كا نهذا الفرعون قد اختار للوقاية من شرورهم أسلوبا عنيفا قاسيا ، فانه يبقى بعد ذلك ، وبنص كتابهم المقدس نفسه أن ذلك لم يكن اعتداء مجانيا ، وانما كان سببه من أقوى الأسباب التى تخيف منهم أمة متحضرة كمصر وملكا مهيبـا كفرعون ، وهو انعدام ولائهم لهذه البلاد ، واستعدادهم للانضمام الى أعدائها وشن الحرب عليها .

ثم نلتقى بهم فى فلسطين فى غضون القرن السادس قبــل الميــلاد ، يقفــون فى منتصــف الطريق بين أكبر امبرطوريتين متعاصرتين اذ ذاك ، وهما الامبراطورية الأشورية (الكلدانية) فى العراق والامبراطورية الفرعونيــة فى مصر . وكان الصراع بينهما على مناطق النفوذ ، قد أدى بهما الى العداوة السياسية السافرة ، والمواجهة العسكرية المتكررة . وكان اليهود يقومون فى هذا الصراع بدور السمسار الذى يريد أن يستفيد من الطرفين الى أقصى ما يستطيع ، دون أن يحفل بما قد يصيبهما أو يصيب الانســانية كلها فى أعقاب هذا الصراع . وأخيرا ضاق الطرفان

---

(1) التوراة ، سفر الخروج ، الاصحاح ١ ، آية ٩ ، ١٠

ذرعا بهذا الوسيط الخبيث ، الذى يحول تدخله دون الوصول الى موقعة فاصلة يسوى فيها الحساب كله . فاتخذ كل منهما وحده قرارا بتدمير اليهود ــ بختنصر فى بابل ونخاو فى مصر . ووصل بختنصر أولا فوضع حدا لهذا الوجود الطفيلى لليهــود فى فلسطين ، بتدمير مركز قوتهم بها ، ونقل كل من يخشى منه بينهم ، سواء لعلمه ، أو لزعامته السياسية ، أو لجاهه الاقتصادى، أو لمهارته الصناعية والفنية ، أو لصدارته الدينية ــ نقلهم الى بابل أسرى ، وحدد اقامتهم فيها ، وكان ذلك سنة ٥٨٦ قبــل الميلاد ففى تلك السنة أتم بختنصر تدمير أورشليم ، وحاول « صدقياهو » ــ ملك اليهود ــ الهرب من المدينة : « فجرى جيش الكلدانيين على أثر الملك ، فأدركوه فى صحراء أريحا وقد تفرق عنه جميع جيشه . فأخذوا الملك وأصعدوه الى ملك بابل فى ربلة وتلوا عليه القضاء . وذبحوا أبناء صدقياهو أمام عينيه ، ثم فقأ عينى صدقياهو ، وأوثقه بسلسلتين من نحاس ، وجاءوا به الى بابل ، وفى الشهر الخامس ، فى اليوم السابع من الشــهر ، فى السنة التاسعة عشرة للملك بختنصر ملك بابل ، قدم نبوزردان، رئيس الحراس ، عبد ملك بابل ، الى أورشليم . وأحرق بيت الرب ، وبيت الملك ، وجميع بيوت أورشليم ، وكل بيت للعظماء أحرقه بالنار . وهدم جيش الكلدانيين كله الذى مع رئيس الحراس ، أسوار أورشليم مما حولها . أما سائر الشعب الذين بقوا فى المدينة ، والهاربون الذين فروا الى ملك بابل ، وسائر

الجمهور ، فقد أجلاهم نبوزردان رئيس الحراس ، وترك رئيس الحراس من مساكين الأرض بستانيين وفلاحين » (١) .

وما كاد هذا الجمع الكبير من اليهود يستقر فى منفـاه فى العراق حتى نظم نفسه سرا للتآمر على العراق ، وانشاء حركة صهيونية فى ذاك الوقت السحيق . وكان لتلك الحركة دعاتهـا الذين يؤلفون من أجلهـا الأناشيد والمزامير . يقولون مثـلا (والأمر المذهل أنهم يضعون هذا النشيد ضمن مزامير داود الذى مات قبل هذه الحوادث بنحو خمسمائة سنة) :

على أنهار بابل هناك ، جلسنا فبكينا عندما تذكرنا صهيون .

على الصفصاف فى وسطها علقنا عيداننا .

هناك سألنا الذين أسرونا الغناء ، والذين عذبونا التطريب ؛ أن رنموا لنا من ترانيم صهيون .

كيف نرنم ترنيم الرب فى أرض غربة .

ان نسيتك ، يا أورشليم ، فلتنسنى يمينى .

ليلتصق لسانى بحنكى ان لم أذكرك ، ان لم أعل أورشليم على دروة فرحى .

---

(١) العهد القديم ، سفر الملوك الثانى ، الاصحاح ٢٥ ، آية ٥ – ١٢ .

آذكر ، يا رب ، بنى أدوم فى يوم آورشليم ، القائلين : اقتلعوا فيها ! اقتلعوا حتى أساسها .

يا بنت بابل المقدرة للدمار ، طوبى لمن يجزيك بما عاملتنا به .
طوبى لمن يمسك أطفالك ويضرب بهم الصخر[1] .

وآخذ أنبياء اليهود ، هم أيضا ، فى حملة الدعاية هـــذه بأسلوبهم ، فمثلا يقول نبيهم حزقيال ــ وهو من أنبياء تلك الفترة : وكانت على يد الرب فأخرجنى الرب ــ بالروح ــ ووضعنى فى وسط البقعة وهى ممتلئة عظاما . وطوفنى عليها ، من حولها ، فاذا هى كثيرة جدا على وجه البقعة ، واذا بها يابسة جدا . فقال لى : يا ابن البشر ! أترى تحيا هذه العظام ؟ فقلت : أيها السيد الرب ! أنت تعلم . فقال لى : تنبأ على هذه العظام ، وقل لها : أيتها العظام اليابسة ! اسمعى كلمة الرب . هكذا قال السيد الرب لهذه العظام : هأنذا أدخل فيك روحا فتحيين . أجعل عليك عصــبا ، وأنشىء عليك لحما ، وأبسط عليــك جلدا ، وأجعل فيك روحا فتحيين وتعلمين أنى أنا الرب . فتنبــأت كما أمرت ، فكان صوت عند تنبؤى ، واذا بزلزال ، فتقاربت العظام كل عظم الى عظمه . ورأيت فاذا بالعصب واللحم قد نشأ عليها ، وبسط الجلد عليهــا من فوق ، ولم يكن بها روح . فقال لى : تنبأ نحو الروح ! تنبأ يا ابن آدم وقل للروح : هكذا قال السيد

---

(1) المزامير ، رقم ١٣٧ .

الرب ، هلم أيهـا الروح ، من الرياح الأربع ، وهب فى هؤلاء المقتولين فيحيوا . فتنبأت كما أمرنى ، فحل فيهم الروح فحيوا ، وقاموا على أرجلهم جيشا عظيما جدا جدا . فقال لى : يا ابن آدم! هـذه العظام هى آل اسرائيل بأجمعهم ، اذ يقولون قد يبست عظامنا ، وضاع أملنا ، وانقطعنـا . لذلك تنبأ وقل لهم : هكذا قال السيد الرب ، هأنذا أفتح قبوركم ، وأصعدكم من رموسكم، يا شعبى ، وآتى بكم الى أرض اسرائيل [1] .

ولم نذكر هذه الشواهد القديمة لاطالة الحكاية ، ولكن لأن المنظمات الصهيونية المعاصرة فى أوربا وأمريكا وتل أبيب ما تزال تترنم بهـذه النصوص القديمة وتكتبها شـعارات على شتى نشراتها .

نعود الآن الى يهود السبى البابلى ، حيث تركنـاهم فى مؤامرتهم ودعايتهم للصهيونية القديمـة . لقد كانت مطـامع التسلط لدولة الفرس فى مستهل القرن الخامس قبـل الميلاد ، تحتاج الى أمثالهم ، وبالفعل جرت اتفاقيات سرية بين الجانبين ، تعهد فيها اليهود بتخريب العراق عند هجوم الفرس عليه ، وأعطى الفرس لليهود وعدا مثل « وعد بلفور » فى العصر الحديث ، يتعهدون فيه باعادتهم واقرارهم فى فلسطين . وتمت المؤامرة حتى نهايتها ، وانطلقت الجيوش الفارسية فى حركة من أكبر حركات

(١) حزقيال ، اصحاح ٣٧ ، آية ١ - ١٢ .

التوسع « الاستعمارى » فى العصور القديمة (١) ، فتحت فيها العراق ، وأجزاء من شبه الجزيرة العربية ، وكل الشام القديم (سوريا ولبنان والأردن وفلسطين) ، ثم هجموا على مصر نفسها بقيادة قمبيز واحتلوها ، واستعانوا باليهود فى استعمارها ، فقد وجدت لهم بجزيرة الفيلة فى منطقة أسوان مجموعة من الوثائق المكتوبة بلغة آرامية يهودية على ورق البردى تثبت ، بما لا يدع مجالا للشك ، التكامل العضوى بين الحامية العسكرية الفارسية المرابطة فى أقصى الجنوب من البلاد ، وهذه الجالية المتعـاونة معها فى شئون التموين والخدمات والاقتصاد والجباية والترفيه البرىء ،وغير البرىء ، عن جنود الاستعمار .

ولمـا دخل الاسكندر اليونانى الشرق بجنوده ورد النفوذ الفارسى مدحورا(٢) ،بذل اليهود أيضا كل ما فى وسعهم من اللباقة السياسية والحيلة حتى يغروا الدكتاتور المقدونى الكبير بالاعتماد عليهم فى ترسيخ أقدامه فى مستعمراته الجديدة . فتعامل معهم ، ولكن بحذر ؛ اذ أباح ليهود الشام أن تكون لهم شخصية قومية متميزة ، وأن يحكمهم أمراء منهم يتولون السلطة الروحية، والمحافظة على الأمن ، واقامة القضاء حسب الشريعة الموسوية فى محاكم خاصة بهم ، ولكنه منعهم من الاشراف على السياسة الخارجية ، أو الاقتصاد ، أو الشئون العسكرية ، وسلم ذلك لحكام يونانيين . وفى الاسكندرية سمح لهم بممارسة شعائرهم

---

(١) سنة ٥٣٦ ق.م.
(٢) سنة ٣٣٢ ق.م.

الدينية ، والاشتغال بدراساتهم الشرعية ، والسكنى فى حى خاص بهم .

وجاء الرومان بعد اليونان (١) ، فأراد اليهود أن يتعاونوا معهم فى سياستهم الاستعمارية أيضا ، ووصل الأمر فى ذلك الى أنهم وقفوا الى جانب الوثنية الرومانية فى وجه يوحنا المعمدانى حتى انتهى الأمر بقتله ، وطالبوهم من بعده بصلب المسيح ، ولكن أبعاد الاستعمار الرومانى كانت أضخم من أن تسلم مقاليدها الى أقلية مشاغبة مثـل اليهود ؛ فبدأوا يحوكون المؤامرات ، ويشعلون الفتن والثورات ، وفى كل مرة يلقون ضربة من ضربات القمع الرومانى حتى انتهى ذلك بتشتيتهم نهائيـا فى جميع أنحاء الأرض (٢) تشتيتا لم تقم لهم قائمة من بعده الا عنـد ما بدأ الاستعمار الجديد مع بداية القرن العشرين يظهر بوجهه البغيض وبمخالبه المنقضة على المستضعفين من شعوب الأرض ، وهنا أيضا بدأ اليهود المساومة على تبادل المنافع وعلى التواطؤ مع المستعمر فى سبيل تمزيق أوصال الانسانية .

ومن حق الدارس لتاريخ اليهود عبر العصـور أن يسأل : لماذا كان هذا التحالف مع الاستعمار تقليدا أزليا عند اليهود ؟ مع أننا نعلم علم اليقين أنه لا يوجد على ظهر الأرض شعب شرير

---

(١) سنة ٦٦ ق.م.

(٢) سنة ٦٦ ميـلادية وحتى سنة ٧٠ ميـلادية على الامبراطور الرومانى فسيازيان وابنه وخليفته تيتوس ، ثم سنة ١٣٦ ميلادية على يد الامبراطور هدريان الذى قامت فى عهده ثورة « بركوكبا » اليهودى فى فلسطين .

بالفطرة . فالشعوب ، كل الشعوب ، انما تحلم بالأمن والسلام والعدل والحرية . ثم اننا نؤمن ايمانا راسخا بأن اسناد فضائل أو رذائل معينة الى العنصر والجنس خرافة من الخرافات ؛ والشعوب كالأفراد يستقيم بعضها على طريق الحق وينحرف الآخر نحو الغواية والضلال ، لظروف ليس منها الأصل الذى ينتمى اليه الانسان . وعلينا اذن أن نبحث عن تلك الشبكة من الملابسات التى أحاطت بوجود اليهود وتطورهم الفكرى ، حتى نرى بوضوح من أين جاءهم هذا التواطؤ مع القوى الشريرة ، مرة بعد مرة فى التاريخ .

وتاريخ اليهود محتاج الى جهد فى تحقيقه ، بعيدا عن عواطف الحب أو البغض ، مستقلا عن تأثير المقدسات . فبدون ذلك يقف الباحث المخلص للحقيقة موقف حيرة وتمزق بين آثار هؤلاء الناس المدمرة للفكر والحضارة فى كثير من مراحل التاريخ ، وبين ما يفرضه مجىء موسى عليه السلام ، ومن سبقه من الأسلاف أو لحقه من الأنبياء ، فى هذا المجتمع من احترام واعتبار ، قد يحولان دون رؤية الحقائق ومواجهة الوقائع بشجاعة ونزاهة . وقد أصبح العرب الآن المرشحين الأول للاهتمام بهذا التمحيص التاريخى ، بسبب الاستعمار اليهودى الصهيونى لفلسطين من ناحية ، وتآمر اليهود المستعمرين هناك مع يهود العالم ، ومع القوى الامبريالية الكبرى ، على وضع هذه البقعة الحساسة القلقة من الكرة الأرضية أمام قضية مصير ، ان لم تسر كما يهوون ربطوها بمصير العالم كله ، وأحالوها الى صراع دولى شامل ،

لا يستطيع أحد الآن أن يتنبأ بعواقبه ؛ غير أنها لن تكون الا وخيمة على كل حال . يضاف الى ذلك أن العرب واليهود هما الشعبان الساميان الوحيدان اللذان قاوما أحداث الزمن الى يومنا هذا ، وبعد أن استوعبت العروبة ، على فترات متعاقبة من التاريخ ، البابليين والأشوريين والكنعانيين والفينيقيين والآراميين والسريان وجدت نفسها اليوم وجها لوجه أمام اليهود ، وهو أمر يدركه ساسة الصهيونية ويتخذون له عدته ، فيتشددون فى الحديث عن « حدود آمنة » ، وهم لا يعنون بذلك حدودا جغرافية تختص بالأرض ، بقدر ما يعنون حدودا حضارية وسكانية ، فوطن اليهود يجب — فى رأيهم — أن يخلو نهائيا من العرب ، ووطن العرب يجب أن يخلو نهائيا من اليهود ، وأن تكون الحدود الجغرافية بينهما أسوارا تحول دون المد العربى ، وبمجرد المعايشة التى لا يسودها القتال أو الصراع الدموى على وجه الضرورة وبشكل دائم . ولعل خاطرا كهذا هو الذى دفع الكاتب والمفكر اليهودى الصهيونى « آشر جينزبورج » المعروف بتوقيعه الأدبى « آحادهاعام » فى بحثه المشهور « ليس هذا هو الطريق » الى القول بأن هذا الوطن القومى اليهودى الذى تريد الصهيونية الحديثة اقامته فى فلسطين ، قد يكون أشد الأمور خطرا على اليهود ، ويتدرج فى تأملاته حتى يؤكد فى ثنايا هذا البحث أن الوطن القومى اليهودى ، المضمون المأمون ، هو وطن فكرى ودينى بحت ، يتألف من التوراة والتلمود .

نشأة اليهود الأولى : مزيج بين الخرافة الفولكلورية والتاريخ :

وليس من السهل التحقيق فى بدايات التاريخ اليهودى . فاليهود يكادون يكونون الأمة الوحيدة التى كتبت تاريخها بيدها ، ووضعته فى اطاره الانسانى حسب هواها ، بل وضعته فى اطار من المقدسات والغيبيات ، وجعلته كله وحيا من السماء نازلا بارادة الله ، وبالفاظ فمه ، بحيث يعلو فوق الجدل والنقاش . وهم عندما كتبوا تاريخهم هذا أغاروا على المأثورات الشعبية لأمم قديمة كثيرة ، فأخذوها ، وأضافوا اليها من بقايا الحكايات الفولكلورية التى حفظتها ذاكرتهم منذ بداوتهم الأولى ، فنسجوا من ذلك كله ملحمة ، تبدأ — مثل ملاحم الشومريين والأكاديين فى العراق القديم ، وأساطير المصريين فى فجر تاريخهم — بالحديث عن خلق العالم ، وخلق الانسان ، ثم ما يزال القارىء يتدرج مع القصه وهى تحاول ابراز فكرة أساسية هى أن كل عملية الخلق ، وكل التدبير الحكيم الذى دبره الخالق ، وكل الحوادث الأولى للقصة على مسرح يشمل السموات والأرض جميعا كانت لهدف واحد هو اختيار بنى اسرائيل ، واصطفاؤهم ، وتسليمهم دور البطولة الأبدى على مسرح الانسانية . أما الأمم الأخرى فهى ليست الا شخوصا مكملة للرواية على هذا المسرح الكبير ، ولا أهمية لهم الا بقدر ما يسهمون فى ابراز مجد اليهود . وروايتهم هذه مسوجة من عناصر متضاربة اختلطت فيها حكمة الحكماء ، وشرائع الأنبياء ، بحكايات الأبطال الخرافيين ، وأساطير الأحداث

المعجزة الخارقة التى كانت فى كل مرة تأكيدا « للحلف الأبدى بين الرب والشعب » .

وهم — حتى فى هذا التراث — اذا تكلموا عن أصــولهم الأولى تلجلجوا واختلفوا . فالنبى أشعيا على أيام السبى البابلى ينسبهم الى كنعان ، ويسمى اللغة العبرية نفسها « لســـان كنعان » [1] . بينما نجد توراة موسى تقول على لسان موسى نفسه[2] : « كان أبى آراميا تائها » — وليس كنعانيا . أما كنعان فلأنه ناصب اليهود العداء فقد حظى منهم بنسبته الى حام بن نوح أبى العبيــد كما يقولون ، الذى لا يولد له من سلالته الا سود الوجوه . مع أن كنعان سلالة سامية لعلها أنقى فى ساميتها من اليهود أنفسهم [3] .

أما الآثار المكتوبة باللغة العبرية ، التى تفصح عن وجود أمة العبريين فليس منها شئ يرجع الى ما قبل الألف الأول قبــل الميلاد ، مثل نقش السلوان فى جنوب القدس الذى يرجع الى القرن الثامن قبل الميلاد ، ونقش جيزر التى تقع على بعد خمسة عشر كيلو مترا تقريبا الى الشمال الشرقى من يافا وكان ســكانها القدماء من الكنعانيين ، سكان فلسطين قبل اليهود ، وقد اغتصبوها منهم مع ما اغتصبوه عند محاولتهم القديمة للاستقرار فى فلسطين.

---

(١) اشعيا ١٩ ، آية ١٨ .

(٢) التوراة : اصحاح ٢٦ ، آية ٥ .

(٣) التوراة : سفر التكوين ، اصحاح ٩ ، ١٠ .

وتقوش لكيش ، وهى بلدة فلسطينية قديمة قبل اليهود تسمى الآن « تل الدوير » ، وتقع جنوبى مدينة الخليل العربية .

وقد كانت معرفة المستشرقين فى العصر الحديث للغات الشرق القديم ، سببا فى تفتيح الأعين قليلا على منابع أخرى للتاريخ اليهودى فى غير رواياته الدينية المقدسة . ومع ذلك فان فى داخل هذه الروايات نفسها شهادات دالة على أن فلسطين كانت آهلة بسكانها قبل اليهود أنفسهم ، فقد ذكرت لنا أمما بائدة صورتهم عمالقة ومردة وجعلت لهم شعوبا وقبائل تميزها أسماء مثل : « النفيليم » و « الايميم » و « الرفائيم » و « الزوزيم » و « الزمزميم » و « العناقيم » . ويلاحظ المستشرق الفرنسى ارنست رينان[1] أن هناك ظاهرة شائعة فى طفولة جميع الشعوب، تتخيل الانسانية الفطرية السحيقة القدم على شكل بشر لهم أجساد خرافية الطول والعرض ، ولهم قوة وبأس على مستوى هذه المقاييس الجسمانية الأسطورية . بل ان هذه الروايات المقدسة الاسرائيلية تذكر أجناسا تاريخية ــ لا بائدة ولا مندثرة ــ ولكن تجعلها طارئة على فلسطين ، وتقسمها الى ساميين ، منهم سلالة كنعان ، وقد أشرنا الى التردد فى نسبتهم بين سام وحام ، وذكرت منهم الأموريين والحتيين والحويين والفرزيين واليبوسيين والجرجسيين ، ممن يسمون بالفينيقيين فى الكتابات اليونانية . وذكرت أنهم كانوا ممتزجين ببقايا السلالات البائدة الخرافية ،

(1) Ernest RENAN, Histoire Générale et Système Comparé des Langues Semetique Paris 1855 ; pp. 97 ss.

وخاصة « العناقيم » ، ثم ببعض القبائل العربية مثل « العمالقة »، و « أبناء المشرق » الذين يسمون بالعبرية « بنى قدم » ويذكرون أن منهم نبى الله أيوب .

وبالرجوع – مرة أخرى – الى الكتاب المقدس ، بحثا عن أصول هذه المجموعة البشرية المحيرة ، نجد أنها سميت عبر التاريخ بأسماء مختلفة . سموا أولا « عبريين » ، ثم قيل لهم « بنى اسرائيل » ، وأخيرا « اليهود » .

أما التسمية الأولى فقد ظن بعض الباحثين فيها أن لفظة « حبيرو » التى وردت فى كتابات قديمة هى نفسها كلمة «عبرى» . نجد حبيرو فى وثائق تل العمارنة ، وفى كتابات الكشيين فى العراق (كتابات بابلية) وفى نقوش الحيثيين فى « بوغاز كوى » وبعض النصوص الأشورية التى عثر عليها فى حفائر نوزى فى شمال العراق . ورأى الأستاذ الفرنسى ادوار دورم (١) أن العلاقة بين الكلمتين مشكوك فيها ، اذ أن « حبيرو » صفة بمعنى الرفيق أو الحليف أو الشريك وليست اسم علم . أما « عبرى » فهى مشتقة من فعل شائع فى كل اللغات السامية ومنها العبرية والعربية هو الفعل عبر ، بمعنى تخطى واجتاز . والعبر بكسر العين وسكون الباء معناه الجهة الأخرى من الوادى أو من الجدول الصغير أو النهر أو البحر . وقد كانت تسمية عبرى تطلق على من يهاجر من العراق فيعبر نهر الفرات الى الشام ، وكان اليهود الأول

(1) DHORMA. Langues et Ecritures Sémitiques — Paris 1930; pp. 24, ss.

كذلك . ورد فى سفر يوشع : « هكذا قال الرب ، اله اسرائيل ، ان آباءكم سكنوا فى عبر النهر منذ الأزل ، تارح أبو ابراهيم وأبو ناحور ، وعبدوا آلهة أخرى . فأخـذت ابراهيم أباكم من عبر النهر ، وسرت به فى كل أرض كنعان ، وأكثرت نسله ، وأعطيته اسحق »(١) . وهذه الحوادث المشار اليها ربما تكون قد وقعت فى بداية الألف الثانى قبل الميلاد ، وهو عصر حمورابى فى بابل ، وكان ابراهيم على ما يبدو من تصرفاته ومعاملاته مـع الآخرين ، يطبق قانونا شبيها بشريعة حمورابى . كذلك وردت أصداء من قصة العبور هذه فى الملاحم الكنعانية التى عثر عليها فى « رأس الشمرة » ــ « أوجاريت » القديمة القريبة من ميناء اللاذقية فى سوريا ، وبالتحديد فى ملحمة « كرت » ، وان كانت تختلف فى التفاصيل عن رواية التوراة ، ومع هذا ففيها اشارة الى « تارح » وبعض وقائعه فى جنوب فلسطين (٢) .

ولا ندرى لماذا استأثر اليهود وحدهم بلقب العبريين على تخريج المستشرقين هذا ، فابراهيم أبو العرب بطريق ابنه اسماعيل . والأقرب الى الانسجام أن يرتبط العبور الذى ينسب اليـه العبريون بقصة ليعقوب بن اسحق حفيد ابراهيم . فان الرواية المقدسة فى سفر التكوين تذكر أنه كان كأبيه اسحق قد عاد الى العراق ليتزوج ، تنفيذا لوصية جـده وأبيه بأن يحترس من مصاهرة الكنعانيين ، وأن يذهب الى العراق اذا أراد الزواج .

---

(١) يوشع ، اصحاح ٢٤ ، آية ٢ ، ٣ .

Charles VIROLLEAUD, Legendes de Babylone et de Canaan- Paris 1949, p.p ; 655.

وهناك تزوج « ليا » و « راحيل » بنتى « لابان » ، وعمل راعيا للغنم عند حميه ، ثم راح يحتال عليه فى أجره عن رعى الغنم حتى ابتز كل ماله ؛ فعاد لابان وأبناء عشيرته للنظر فى أمر يعقوب ، وقرروا ألا يعطوه شيئا ، « فقام يعقوب وحمل بنيه ونساءه على الجمال . وساق جميع ماشيته وجميع ماله ، وكل مقتناه الذى امتلكه فى فدان آرام (بلد لابان) منصرفا الى اسحق أبيه ، الى أرض كنعان . وكان لابان قد مضى ليجز غنمه ، فسرقت راحيل أصنام أبيها . وخاتل يعقوب لابان الآرامى ولم يخبره بفـــراره . وهرب بجميع ماله وقام فعبر النهر واستقبل جبل جلعاد » (٣) .

وعلى ذلك كان يعقوب وأبناؤه فى هذه القصة قد انفصـــلوا عن أصهاره الآراميين ، وعبروا نهر الفرات متجهين الى حيث كان يقيم اسحق وابراهيم من قبل فى أرض كنعان ؛ فأطلق عليهـــم بسبب هذه الرحلة اسم « العبريين » ، لا سيما أن لابان عندما التقى بعد ذلك بيعقوب وغفر له خيانته ، اشترط عليه أن يبقى حيث هو وألا يعبر اليه النهر أبدا (٤) ، وربما كان أصهار يعقوب هم الذين سموه هو وأولاده العبريين .

وتسمية « بنى اسرائيل » ترتبط هى أيضا بقصة أخرى ليعقوب نفسه ، اذ كان فى طريقه فى أرض كنعان ، هو وزوجتاه وجاريتاه وأبناؤه الأحد عشر ، فعبر واديا من مخاضة « يبوق » ، هو والذين معه حتى اذا انتهى عبورهم ، عاد لبعض شأنه ، وقد

---

(٣) التوراة : سفر التكوين ، اصحاح ٣١ ، آية ١٧ الى ٢١ .
(٤) التوراة : سفر التكوين ، اصحاح ٣١ ، آية ٥٢ .

آرخى الليل سدوله ، فوجد فى انتظاره « رجلا » ليس كالبشر ، قيل انه ملك من السماء ، فصارعه هذا الرجل حتى مطلع الفجر ، « ورأى أنه لا يقد رعليه ، فلمس حق وركه ، فانخلع حق ورك يعقوب فى مصارعته له ، وقال أطلقنى لأنه قد طلع الفجر ، فقال لا أطلقك أو تباركنى . فقال له ما اسمك ؟ قال يعقوب . قال : لا يكون اسمك يعقوب فيما بعد ، بل اسرائيل ، لأنك كما علوت عند الله ، فعلى الناس أيضا تعلو . وسأله يعقوب وقال : عرفنى اسمك ، فقال : لم سؤالك عن اسمى ؟ وباركه هناك » (١) . وفى موضع آخر تختلف الرواية اذ تقول التوراة : « وظهر الله ليعقوب أيضا بعدما رجع من فدان آرام فباركه . وقال له الله : اسمك يعقوب لا يكون من بعد اسمك يعقوب ، بل اسرائيل يكون اسمك . فسماه اسرائيل . وقال له الله : أنا الله القدير ، انم وأكثر . ستكون منك أمة وجماعة أمم ، وملوك من صلبك يخرجون . والأرض التى جعلتها لابراهيم واسحق لك اجعلها ، ولنسلك من بعدك أجعل الأرض . ثم ارتفع الله عنه فى الموضع الذى خاطبه فيه » (٢) . وعلى ذلك تكون هذه المصارعة طوال الليل بين الله ، سبحانه وتعالى ، وبين يعقوب ، ليليها هذا الوعد بفلسطين له ولأبنائه ، وهكذا يمتزج الفلكلور القديم بالأهداف السياسية وباسم هؤلاء الناس ، بنى اسرائيل ، دون أن يكون لنا دليل الا النص الذى معهم ، ولو أنهم لم يحاولوا الزام

(١) التوراة : سفر التكوين ، ٣٢ ، آية ٢٥ الى ٢٩ .
(٢) التوراة : سفر التكوين ، ٣٥ ، آية ٩ الى ١٢ .

الانسانية كلها به لهان الخطب ، لكن انتهت الأسطورة وبقيت كلمة « الوعد » وسميت فلسطين عندهم « أرض الميعاد » ، بشيء جعلوه ارادة الهية لا تقبل المناقشة المنطقية .

أما تسميتهم « اليهود » فانها أحدث من ذلك بكثير ، ترجع الى الوقت الذى نجح فيه داود وسليمان وأبناؤهما فى اقامة مملكة فى فلسطين حوالى سنة ألف قبل الميلاد وما بعدها . ولما كانت هذه الأسرة الحاكمة تنتمى الى قبيلة من العبريين تدعى سبط « يهودا » ، فقد نسبوا اليها الرعية كلها وأصبحوا يسمون « اليهود » .

وواضح من ذلك كله أن بداية العبريين فى هذه المنطقة يحيط بها الغموض ، وكل ما نستطيع أن نفترضه ، مع مزيد من التساهل هو أن تكون هناك قبائل سامية الأصل قد انفصلت لأمر ما عن الجذع الكبير الذى نمت عليه ، ثم وجدت نفسها متروكة لمصيرها المجهول ، فى مجتمع كانت الامبراطوريات قد بدأت تظهر فيه بشكل ملحوظ ، وتتنازع بعضها مع بعض على النفوذ والسلطان، من مصريين وأكاديين وحيثيين ، ولم يكن للعشائر التى بقيت على بداوتها الا حل من اثنين ، أولهما أن تتماسك ولا تشذ عن الجذع الذى نبتت عليه — كالعرب — أو أن تخضع لمقتضيات التنظيم السياسى الامبراطورى ، وتدين بالطاعة لامبراطورية من تلكم الامبراطوريات . وقد تم ذلك لدى قبائل الآراميين فى البوادى السورية العراقية ، وقبائل الأدوميين فى الأردن . أما اليهود، أو العبريون — اذا اخترنا أقدم أسمائهم — فقد انخلعوا عن

أرومتهم السامية الأولى ، وظلوا يتنقلون فى المنطقة ، يخيمــون حول المدن الكبرى الآهلة بالسكان ، ذات الحضارة المستقرة ، ومع ذلك يرفضون الاندماج فيها . من هنا ــ ومن ظلمــات هذا التاريخ ــ بدأت عقدة العنصرية العبرية تتجمد ، وتصبح مشكلة فى الشرق أولا ، ثم العالم كله من بعد ، الى يومنا هذا .

لم يكن أمام العبريين فى بداوتهم هذه من سند يتمسكون به الا عنصرية فولكلورية أساسها المرويات الشفوية التى تجعلهــم « شعب الله المختار » . فهم اذن مخترعوا التعصب العنصرى ، وهم أول من اكتوى بنار هذا الاختراع . فالامبراطوريات القديمة كانت ، فى وثنيتها الأولى ، وايمانها بتعدد الآلهة ، تؤمن بفكــرة المواطن ، وهو الفرد الذى يدخل تحت سلطة الحاكم ، ويخضع لنفس القانون الذى ينظم حياة غيره من الرعية . ففى الامبراطورية البابلية مثلا نجد شريعة حمورابى فى أوائل الألف الثانى قبل الميلاد تطبق بحذافيرها وبنفس الصورة ، لا فى بابل وحدها ، ولكن فى سائر المستعمرات التى سيطر عليها البابليون ، ومنها أجزاء شاسعة فى بلاد العيلاميين بايران ، حتى أن النسخة الكاملة الوحيدة من قانون هذا الامبراطور لم توجد فى بابل ، بل عثرنا عليها فى بلاد العيلاميين هذه ؛ كما أنه فى مقدمة قانونه اعترف رسميا بقدسية جميع المعبودات التى تعبدها المدن والشعوب المختلفة الواقعــة تحت حكمه . والمصريون من جانبهم كان تنظيمهم فى مصر هو نفس التنظيم الذى يتبعونه فى فلسطين أو سوريا أو لبنان أو بلاد النوبة أو أى منطقة امتد اليها سلطانهم . بينما كان العبريون فى

حياة الترحال على هامش هذه المجتمعات يؤمنون باله قومى لهم وحدهم ، وشريعة بطقوسها وحرامها وحلالها منفصلة عمن سواهم، ويؤمنون بأن ذلك كله تمييز واختيار من هذا الاله لهم وحدهم ، وأن الأمم الأخرى ، مهما علا شأنها فى الحضارة والعلم والفكر ، كانت ما تزال بعد أحط منهم منزلة أمام الله ، فهم « الشعب » – (عام) بالعبرية – بينما أية مجموعة بشرية غيرهم لم تكن تسمى الا « قوم » ، أو « أمة » – (جوى) بالعبرية .

اصالة الوجود العربى فى فلسطين :

ومن الأباطيل التى شاعت ، وحرص اليهود – لا سيما المعاصرين منهم – على تقويتها والابقاء عليها ، أن فلسطين لم تعرف العرب الا مع الفتح الاسلامى على أيام الخليفة عمر بن الخطاب . والمغالطة هنا فى منتهى الوضوح ، ذلك أن عمر أدخل الاسلام فى فلسطين ، ولم يدخل العرب ؛ والأمران مختلفان تمام الاختلاف . فان الكنعانيين الذين سكنوا فلسطين قبل العبريين بأزمان وأزمان، كانوا أمة سامية نازحة من شبه جزيرة العرب ، بدأ نزوحهم منها فى أوائل الألف الثالث قبل الميلاد ، فوصلوا أولا الى بلاد العرب الصخرية ، فى شمال الحجاز ، ومنها دخلوا اقليم النقب ، ليشقوا طريقهم على ساحل البحر الأبيض المتوسط منتشرين حتى لبنان وسوريا . ويستفاد من ملاحم « رأس الشمرة » أن الكنعانيين أقاموا دهرا طويلا فى جنوب فلسطين عند مجيئهم من جزيرة العرب ، وأن الفضل يرجع اليهم فى تخطيط مدن هى أهم المدن

حتى الآن فى تلك المنطقة ، مثل « بئر سبع » و « أشدود » . وحتى بعد أن استطاع العبريون اغتصاب معظم هذه المنطقة ، واقامة مملكة فيها فى أوائل الألف الأول قبل الميلاد ، ظلت مناطق كاملة من فلسطين تحت حكم الكنعانيين أو تحت سيطرتهم . ففى القرن السابع قبل الميلاد ، أى بعد داود بنحو ثلاثة قرون ، نجد النبى اليهودى صفنيا يقول : « تجمعى واحتشدى أيتها الأمة غير المرضية . قبل نفاذ القضاء ، مر النهار كالهباء ، قبل حلول حمو غضب الرب عليكم ، قبل أن يأتى عليكم يوم سخط الرب . اطلبوا الرب ، يا كل البائسين فى الأرض ، الذين نفذوا حكمه ، التمسوا البر ، اطلبوا التواضع ، لعلكم تسترون فى يوم سخط الرب . لأن غزة ستكون مهجورة ، وعسقلان ستكون خرابا ، وأشدود سيطردونها عند الظهيرة ، وسوف تستأصل عقرون . ويل لسكان البحر ، أمة الكريتيين ، كلمة الرب عليكم يا كنعان ، أرض الفلسطينيين ، لأجعلنك خرابا بلا ساكن . ويكون ساحل البحر مسرحا ذا آبار للرعاة وحظائر للغنم . ويكون الساحل لبقية آل يهوذا ، عليه يرعون ، فى بيوت عسقلان يربضون عند المساء ، لأن الرب الههم يتعهدهم ويرد سبيهم.» (١) . وبعد هذا النبى اليهودى بنحو قرن من الزمان نجد المؤرخ اليونانى هيرودوت ينقل عن تلك الأمة أن بلادهم الأولى التى نزحوا منها تقع على ساحل بحر « ارتريا » ، وهو ساحل البحر الأحمر الجنوبى ، من جهة اليمن .

(١) صفنيا ، الاصحاح ٢ ، الآية ١ الى ٥ .

ومن قبائل الفلسطينيين الأصليين الذين كان قوامهم هؤلاء الكنعانيين الوافدين من بلاد العرب ، قبيلة اليبوسيين ، التى كانت تسيطر على منطقة القدس وما حولها ، وهى التى بنت هذه المدينة المقدسة ، وهى التى سمتها « أورشليم » بشهادة التوراة نفسها . ففى سفر التكوين نجد الحديث عن هذه المدينة فى أخبار سيدنا ابراهيم ، أى قبل يعقوب بنحو مائة سنة أو أكثر ، ويعقوب هو أول جد يجعله الفولكلور اليهودى رأس هذا الجنس ، وأول عبرى ، وأول من تسمى اسرائيل . كان اسم هذه المدينة فى ذاك الوقت (حوالى سنة ١٩٠٠ ق . م) « شاليم » فقط ، وليس أورشليم ؛ وكان ملكها من سكان فلسطين الأصليين ، يحكمها حكما دينيا ، واسمه «ملكيصدق» : « وملكيصدق ملك شاليم أخرج خبزا ونبيذا ، وكان كاهنا لله العلى ، وباركه (يعنى سيدنا ابراهيم) وقال : مبارك « أبرام » من الله العلى ، ملك السموات والأرض » [1] .

وعلى عهد يوشع بن نون خليفة موسى (حوالى ١٤٥٠ ق.م) كان العبريون يهددون أمن المدن الفلسطينية ، وعلى أثر انتصار يوشع فى شرق فلسطين ، فى أريحا وعاى ، وجبعون ، نجد تحالفا يعقد بين الأمراء الفلسطينيين الأصليين « فأرسل أدونيصدق ، ملك أورشليم ، الى هوهام ، ملك حبرون (الخليل) وفرآم ،

---

(1) التوراة : سفر التكوين ، الاصحاح ١٤ ، آية ١٨ .

ملك يرموط ، ويافع ، ملك لكيش ، ودبير ، ملك عجلون ، قائلا : هلموا الى ، وناصرونى .. » (١) .

وبالرغم من الارهاب وقوة البأس والمهاجمة العنيفة التى استخدمها يوشع ضد السكان الفلسطينيين الأصليين ، خصوصا فى القدس (أورشليم) ، فان جهوده لم تثمر فى اتمام احتلال هذه البلاد واخضاع سكانها ، فقد ورد فى سفره : « وأما اليبوسيون الساكنون فى أورشليم ، فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم ، فسكن اليبوسيون مع بنى يهوذا فى أورشليم حتى هذا اليوم » (٢) ؛ والمقصود بهذا اليوم ، اليوم الذى يروى فيه الراوية هذه الوقائع عن يوشع ، وذلك بعد موت يوشع بأجيال وأجيال . وهكذا صمد الفلسطينيون فى مدينتهم المقدسة فى وجه كل الغارات العبرية ؛ ففى سفر القضاة نقرأ أن بنى يهوذا حاربوا أورشليم — بعد موت يوشع — واغتصبوها ، وضربوها بحد السيف ، وأشعلوا فيها النيران . وانطلق من العبريين سبط آخر ، وهو عشيرة بنيامين لممارسة الضغط السياسى والعسكرى على الفلسطينيين الأصليين دائما ، ولكنهم فشلوا فى اجلائهم عن القدس ، « وسكنوا معهم ، الى هذا اليوم » ، (٣) وهذا اليوم حكمه كحكم سابقه . وفى نفس هذه القصص ، وبالرغم من أن الرواية اليهودية وحدها هى التى رتبتها كما تشاء ، نجد رجلا عبريا يسير ومعه غلامه بالقرب من

---

(١) يوشع ، اصحاح ١٠ ، آية ٣ ، ٤ .

(٢) يوشع ، اصحاح ١٥ ، آية ٦٣ .

(٣) القضاة ، اصحاح ١ ، آية ٢١ .

أورشليم — وكانت ما تزال تسمى يبوس ، فقال الغلام لسيده وقد انحدر النهار جدا : تعال نميل الى مدينة اليبوسيين هذه ، ونبيت فيها ، فقال له سيده : لا نميل الى مدينة غريبة ، حيث لا أحـد من بنى اسرائيل هنا (١) . ونلاحظ أن هذا السياق يرد فى فصل من الكتاب المقدس أوله نصا : « وفى تلك الأيام لم يكن لاسرائيل ملك » ، وفى هذا الفصل نفسه نجد الرجل العبرى وغلامه ، وقد انفا الضيافة عند الفلسطينيين ، ينزلان بلدة « جبع » ، فى ضيافة رجل عبرى مثلهما ، وفى مجتمع اسرائيلى كله من سبط افرايم ، ففوجئا بأن هذا البلد بمجتمعه موبوء بموبقات خلقية عديدة (٢) . وهكذا نجد العبريين الذين يدعون أنهم شعب الله المختار ، قـد شملتهم الفوضى السياسية والاخلاقية ، فالتعصب العنصرى ضد سكان البلاد الأصليين ، والمعيشة بلا ملك ولا حكومة ولا أخلاق ولا وازع من شريعة أو مخافة من الله . ولعل هذه الانحرافات التى تكررت فى المجتمع الاسرائيلى على مدى تاريخه ، وبالرغم من تعاقب عشرات الأنبياء فيه ، هى التى جعلت العبرى ، الاسرائيلى ، مكروها مرذولا محتقرا من كل أمة جاورها .

وفى فلسطين أكثر من دليل على أن العرب كانوا جزءا لا يتجزأ من العناصر المكونة للسكان الأصليين فى تلك البلاد قبل تسرب العبريين اليها . فتفكير ابراهيم نفسه فى اسكان زوجتـه هاجر المصرية وابنه اسماعيل منها فى مكة ، هربا من مضايقات ضرتها

(١) القضاة ، اصحاح ١٩ ، ١٢ .
(٢) القضاة ، اصحاح ١٩ ، آية ٢٢ الى آخر الاصحاح .

العجوز العبرية سارة ، لم يكن على الأرجح بمحض الصدفة . ذلك أن الصدفة لم يكن لها محل فى تنظيم مثل هذه الخلافات العائلية عند رؤساء العشائر الأقدمين . واذا كان ابراهيم قد اختار مكة ، فمما لا شك فيه أنه هو شخصيا كانت له صلات قرابة وصلات حلف وذمة مع سكانها ، والا لما اختار هذا المكان القفر البعيد مأوى لزوجته وابنه .

وبعد ابراهيم ببضعة أجيال نجد فلسطين تشقها القوافل العربية آمنة مطمئنة تحمل التجارة من الشام الى مصر . يطالعنا فى التوراة مشهد كهذا فى قصة يوسف عندما تآمر عليه أخوته أبناء يعقوب وأخذوه وطرحوه فى الجب « ثم جلسوا يأكلون ، ورفعوا عيونهم ونظروا ، فاذا بقافلة من الاسماعيليين (العرب) مقبلة من جلعاد ، وجمالهم محملة بالنكعة والبلسان واللاذن ، وهم سائرون لينزلوا الى مصر . فقال يهوذا لاخوته : ما الفائدة من أن نقتل أخانا ونخفى دمه . تعالوا نبيعه للاسماعيليين ، ولا تمتد أيدينا اليه لأنه أخونا ولحمنا ، فسمع له أخوته . فمر قوم مدينيون تجار ، فجذبوا يوسف ، وأصعدوه من الجب ، وباعوه للاسماعيليين بعشرين فضة ، فأتوا بيوسف الى مصر » (١) . أما على عهد التلمود والمشنا والمدراش ، أى منذ القرن الثانى قبل الميلاد الى القرن الخامس بعد الميلاد ، فان الروايات لا حصر لها وكلها تشهد بأن الوجود العربى فى اطار المجتمع الفلسطينى الأصلى لم ينقطع ،

---

(١) التوراة : سفر التكوين ، اصحاح ٣٧ ، آية ٢٥ الى ٢٨ .

وأن الفتح الاسلامى كما قلنا لم يدخل العرب الى فلسطين وانما طرد منها المستعمر الأجنبى ، الذى لم يكن اليهود ، فهؤلاء كانوا قد طردوا على أيام الرومان منذ سنة ٧٠ ميلادية ، كما سنرى ، وانما وضع الخليفة عمر حدا لاحتلال الروم لتلك البلاد وبقى النزاع على مدى ستمائة عام بعد ذلك محصورا فى العرب من جهة والمسيحيين الأوربيين من جهة أخرى الذين كانوا الورثة الشرعيين للروم ، هكذا اندلعت الحروب الصليبية ، وهكذا اندحرت بعد ستة قرون من عمر بن الخطاب ، هذه الحملات العسكرية الاستعمارية التوسعية المتسترة بستار الدين ، وفى كل هذه الجولات لم يكن اليهود مرة واحدة طرفا فى النزاع .

واذا كان الوجود العربى فى فلسطين ، كعنصر أساسى فى تكوين سكانها الأصليين قد نجا من حملة الطمس والتحريف اليهودى ، فانه مع ذلك قد انطفأ تألقه كثيرا بسبب هذه الحملة ، وبسبب سيل الأساطير الفولكلورية الخاصة بالعنصرية اليهودية . والكيان العنصرى اليهودى يتبلور حول شخصية « موسى بن عمران » ، نبى الله وكليمه على طور سيناء . وكما شوه اليهود كل شىء فقد شوهوا شخصية موسى تشويها شنيعا ، فهذا الرجل الذى كان من أوائل دعاة تحرير الفكر البشرى من عبادة الانسان، وكان الرائد فى حركة تمرد ضخمة على ألوهية فرعون ، وكان قائدا ثورة تحاول أن تجعل كلمة الله هى العليا ، وأن تقيم بدل الطغيان

الفرعونى شريعة أساسها العدل والاحسان ، موسى هذا جعله اليهود قميئا على قدر مقاييسهم ، محدودا على قدر ضيق أفقهم ، فهو يتحول عندهم الى داعية من دعاة العنصرية المألوفين عند بنى اسرائيل ، والى زعيم لحركة صهيونية هدفها اغتصاب فلسطين من أهلها ، واخراجها من منطقة النفوذ الفرعونية . كيف حدث هذا المسخ فى شخصية موسى ؟

اضاعة اليهود لتوراة موسى :

الظاهر أنه بعد موته لم يحتفظ بنو اسرائيل من ذكراه بشىء ، فقد أضاعوا الرجل وأضاعوا توراته . والواقع أننا لا نجد من بينهم كتبة الى ما بعد موسى بأكثر من أربعة قرون ، ولا نعرفهم على أيامه وأيام القضاة من بعده الا بدوا رحل . هذه القرون من البداوة لم تكن تسمح لا بفتح المدارس ولا بتعليم عام أو خاص ، ولذلك اعتمدوا على الرواية الشفوية لما وعته ذاكرتهم . ولكننا نلاحظ أن ذاكرتهم قد نسيت موسى تماما ؛ ومرت أجيال وأجيال لا يذكره منهم أحد ، ففى الاصحاح الأخير من توراته نفسها ، يقص الراوية قصة موته وكأنها حدث قديم جدا ، لا يكاد يتذكره انسان ، يقول : « فصعد موسى الى جبل نبو ، من فيافى مؤاب ، الى رأس الفسجة المواجه لاريحا ، فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد الى دان ، وجميع نفتالى ، وأرض افرايم ، ومنسا ، وجميع أرض يهوذا الى البحر الغربى . والجنوب ، والمرج بقعة اريحا مدينة النخل ، الى صوعر . وقال له الرب : هذه هى الأرض التى

أقسمت لابراهيم واسحق ويعقوب ، قائلا لنسلكم أعطيها ، قد أريتكها بعينيك ، ولكنك الى هنا لا تعبر . فمات هناك موسى عبد الرب ، فى أرض مؤاب بأمر الرب . ودفنه فى الوادى ، فى أرض مؤاب ، تجاه بيت فاعور ، ولم يعرف أحد قبره الى يومنا هذا » (١) .

هذا ما كان من أمر اضاعتهم لموسى ، أما ضياع التوراة من بين أيديهم فانه يبدو واضحا فى سفر الملوك الثانى ، فى القصة التى تروى العثور على هذه التوراة ، فى عهد الملك يوشيا ، من ملوك اليهود فى أورشليم (٦٤١ — ٦١١ ق.م) ، أى بعد وفاة موسى بأكثر من سبعة قرون . فذات مرة ، فى السنة الثامنة عشرة من حكم يوشيا ، أرسل هذا الملك أحد موظفى قصره — واسمه شافان بن أصليا بن مشلم — الى معبد أورشليم لمقابلة حلقيا كاهن الهيكل ، ليحسب معه النقود التى دخلت للهيكل من الزوار ، حتى تصرف على الترميم . « فقال حلقيا ، الكاهن الأعظم ، لشافان الكاتب : قد وجدت سفر التوراة فى بيت الرب ! ودفع حلقيا الكاهن السفر الى شافان ، فقرأه . وأتى شافان الكاتب الى الملك ، ورد على الملك جوابا وقال : قد أفرغ عبيدك الفضة الموجودة فى المعبد ، ودفعوها الى أيدى الموكلين بالعمل ، القائمين ببيت الرب . وأخبر شافان الكاتب الملك وقال : قد دفع الى حلقيا الكاهن سفرا ، وقرأه شافان أمام الملك . فلما سمع الملك كلام سفر التوراة

(١) التوراة : سفر التثنية ، اصحاح ٣٤ ، آية ١ الى ٦ .

مزق ثيابه . وأمر الملك حلقيـا الكاهن ، وأحيقام بن شافان ، وعكبور بن ميكا ، وشافان الكاتب ، وعسايا ، عبد الملك ، وقال : اذهبوا فاسألوا الرب لى وللشعب ولجميع يهوذا من جهة كلام هذا السفر الذى وجد ، لأنه عظيم غضب الرب الذى اشتعل علينا لأجل أن آبائنا لم يسمعوا لكلام هذا السفر ، ليعملوا بكل ماكتب علينا » (١) .

ويؤكد ما كان من نسيان بنى اسرائيل لموسى والتوراة قرونا طويلة من بعده ، أنه يندر ذكرهما فى كتب الأنبياء ، الى عهد الملك يوشيا هذا . فالنبى اشعيا فى المرة الوحيدة التى ذكر فيها موسى فى نهاية سفره يقول : « ثم ذكر الأيام الغابرة ، أيام موسى وشعبه ، أين الذى أصعدهم من البحر مع راعى غنمه ؟ أين الذى جعل فى داخله روحه القدوس ؟ الذى سير عن يمين موسى ذراع عزه ، وفلق المياه أمامهم ليجعل له اسما أبديا » (٢) . نعم ، لقد أصبح موسى نسيا منسيا أولا ، ثم وجها أسطوريا فولكلوريا فقط منذ أيام سليمان الى قرب انتهاء دولة اليهود فى فلسطين . يشهد بذلك أيضا الموضع الوحيد الذى تحدث فيه النبى أرميا عن موسى بهذه العبارة : « وقال لى الرب : لو أن موسى وصمويل وقفا أمامى ، لما توجهت نفسى الى هـذا الشعب . فاطرحهـم عن وجهى وليخرجوا » (٣) .

---

(١) سفر الملوك الثانى ، اصحاح ٢٢ .
(٢) أشعيا ، اصحاح ٦٣ ، آية ١١ ، ١٢ .
(٣) ارميا ، اصحاح ١٥ ، آية ٥١ .

موسى فى صورته اليهودية :

والآن كيف تزعم موسى بنى اسرائيل ؟

كان العبريون فى أيام بداوتهم يكثرون من المجىء الى مصر ، منذ أيام ابراهيم . وأخيرا يفدون اليها ، على أيام يوسف ، وأبيه يعقوب ، ويقيمون فى اقليم « الجوشن » فى شرق الدلتا ، على الطريق الى صحراء سينا ، ويبدو أن المصريين على أثر نجاحهم فى حركتهم الوطنية التى حرروا بها البلاد من حـكم الهكسوس الأسيويين (حوالى سنة ١٥٨٠ ق.م) قد كرهوا الأجانب الذين تعاونوا مع الهكسوس ومنهم العبريون ، فقام على مصر ملك جديد لم يكن يعرف يوسف (١) ، وراح يضطهد هؤلاء الأسيويين الأجانب ، ويفرض عليهم السخرة والضرائب ويمعن فى ابادتهم ، بذبح كل المواليـد الذكور منهم . ويولد موسى وسط هـذه الأحداث الجسيمة ويشب ويشتد جسما وروحا الى أن يصبح جـديرا بتولى الزعامة على هؤلاء الأسيويين ، العبريين ، بنى اسرائيل .. الخ .

هذا ملخص ما ورد فى القصص الدينى الذى أساسه التوراة ، بينما يرى باحثون علمانيون ، فى مقدمتهم الطبيب والعالم النفسانى اليهودى زيجموند فرويد (*) أن موسى كان أميرا مصريا ، وأنه

---

(١) التوراة : سفر الخروج ، الاصحاح ١ ، الآية ٨ ، والمقصـود أن فرعون موسى جاء بعد أن نسيت مصر يوسف .

(*) Sigmund FRUD, Moise et le Monothéisme, Traduit de l'allemand par : Anne Bermann - Paris 1948.

تولى حكم هذه المنطقة من قبل الفرعون اخناتون ، أول من قال بوحدانية الله فى العالم القديم . وبعد موته أراد موسى أن يخرج بكل الغرباء والأجانب والعبيد الذين لا يملكون شيئا فى مصر ، وكذلك بكل المصريين الذين آمنوا به ، وهدفه أن يجند فى فلسطين — المستعمرة الفرعونية القديمة — جيشا يعود به لفتح مصر ونشر الوحدانية فيها بعد أن كانت قد انهارت على أثر موت اخناتون . ويرى هذا الباحث أن السبعين رجلا الذين ورد فى الروايات المقدسة أن موسى اختارهم للسيطرة على هذه الجموع النازحة عن مصر ، وحكمها وتنظيمها سياسيا وعسكريا واجتماعيا، أثناء هذه الهجرة ، كانوا أيضا من أعيان المصريين .

والذى شجع فرويد على هذا الاجتهاد الشخصى فى تفسير ظاهرة تاريخية مثل موسى ، هو فيما بدا له ، امتزاج عناصر البطولة الأسطورية الفولكلورية فى الصورة النهائية التى بين أيدينا عنه ، وانعدام أية وثيقة تاريخية معاصرة له ، تحدثنا عنه وعن وقائعه فى مصر . وهذه العناصر البطولية الممتزجة التى يشير اليها فرويد تأتى من منبعين مختلفين : فالمنبع المصرى يشترط فى البطل الأسطورى أن يكون ربيب قصور ، ناشئا فى بيت عز ، بينما الذوق السامى البدوى يشترط أن يكون البطل سليل أسرة متواضعة ، وأن يكون قد ولد فى ظروف عصيبة محفوفة بالأخطار . وهنا يمتزج الاتجاهان فيولد موسى من قوم ضعفاء مضطهدين ، ومن أب لا يكاد يكون معروفا ، ولكن تتبناه بنت فرعون ، ويحظى بتربية

ملكية فى القصر . وذوق الساميين فى البطل الأسطورى أن يكون راعيـــا للغنم ، وأن يكون رجل حكمة وتأمل ، وأن يكثر من الانفراد فى أحضان الطبيعة ، أما ما ألفه المصريون فهو أن يكون البطل قوى البنية جامعا لمظاهر الفتوة ، يعيش فى زحام المجتمع ، يبعث فى قلوب الناس الاحترام ان كانوا من ذويه ، والرعب ان كانوا من أعدائه . ويقول فرويد هنا أيضا انه قد حصل مزج ، فموسى يتوحد فى أرض مدين ، ويتتلمذ فى هذه الصحراء على كاهن مدين ، ثم يصاهره ، وبهذه المناسبة فكاهن مدين نبى عربى أيضا يسمى فى التوراة « يترو » ، واسمه عند العرب « شعيب » ، ومنه يتعلم التأمل ، وله يرعى الغنم ، ثم نراه ينفرد كثيرا فى جبال سينا ، ليلا . ويمتزج هذا اللون من الشخصية البطولية بمشـــاهد من البطولة المصرية ، يجد فيها موسى فى زحام الناس مصريا يعتدى على رجل من ذويه فيقتل المصرى بضربة واحدة . ثم نراه عنـــد البئر وبنت كاهن مدين تقف بغنمها لا تستطيع التقدم بها لتشرب ، فيتقدم ويدفع الرعاة بقطعانهم عن البئر بهمة وقوة ، ويترك السقاية للفتاة ، التى خطبها وتزوجها من بعد .

ويطول بنا المقال لو أننا تتبعنا كل عناصر القصص الشعبى ، والمأثورات الفلكلورية ، التى أحاطت بتاريخ موسى ومن بعده من العبريين . كلنا مثلا يعرف قصة شمشون الجبار ، والخوارق غير المنطقية التى اقترنت بحياته ، منذ كان جنينا فى بطن أمه ، بل قبل ذلك ، عند ما جاء ملاك الرب الى الأم وقال لها « انك عاقر لم

تلدى ، ولكنك ستحملين وتلدين ابنا » (١) . ثم ما كان من وجود سر قوته فى شعره ، وظهور هــذه القوة فى قتاله مع أسد هجم عليه ، فأخذه شمشون بين يديه وفسخه فقتله (٢) . وحتى هــذه القصة مأخوذة عن مشهد مماثل للبطل العراقى القديم المعروف فى الملاحم البابليــة والشومرية ، « جلجاميش » العملاق ، الذى يذكرون من مناقبه أيضا قتله الأسد على طريقة شمشون ، وهو قبــل شمشون بنحو ثلاثة آلاف ســنة على الأقل . ويذكرون لشمشون أيضا أنه كان موثقا بحبال متينة جديدة فنفرت عضلات ذراعيه ، « فاذا الحبلان اللذان على ذراعيه كأنما هما كتان مشيط بالنار » (٣) . ويروون عنه كذلك أنه أخذ فك حمار ميت « فمد يده وتناوله وقتل به ألف رجل » (٤) .

فى هذا الجو العاطر بأريج المسامرات الخرافية ، والفولكلور البدوى ، تتبلور عصبية عنصرية يهودية ، وتتحول مع الزمن ، ومع فساد القادة والموجهين ، الى مرض عضال ، ما يزال حتى يومنا هذا يهدد سلام العرب ، وسلام العالم .

ونســتنتج من كل ما تقــدم نتــائج على أكبر جانب من الأهمية ، هى :

---

(١) سفر القضاة ، الاصحاح ١٣ ، آية ٣ .
(٢) سفر القضاة ، الاصحاح ١٤ ، الآية ٦ .
(٣) سفر القضاة ، الاصحاح ١٥ ، الآية ١٤ .
(٤) سفر القضاة ، اصحاح ١٥ ، آية ١٥ .

١ — أن الشعب الفلسطينى الأصيل ، الذى قوامه قبائل من الساميين ، العرب ، والكنعانيين الذين نزحوا من جنوب الجزيرة العربية أيضا فى العصور السابقة للتاريخ ، والأدوميين الذين كانوا فرعا من الدوحة السامية ينتمون الى الجزء الشمالى من بلاد العرب ، والمدينيين الذين انطلقوا من شمال الحجاز ، كان مقيما فى فلسطين منذ البداية ، وقبل أن يعرف العالم شيئا عن العبريين ، بل قبل أن يعرف العبريون الحياة فى هذه المنطقة بزمن طويل .

٢ — أن هناك مغالطة تاريخية فى هذا الصدد ، أساسها الاعتقاد الخاطىء بأن الفتح الاسلامى هو الذى أدخل العرب الى فلسطين . فهذا الفتح لم يدخل العرب ولكنه أدخل الاسلام الى هذه البلاد .

٣ — أن ظهور العبريين على مسرح التاريخ يغرق فى غموض شامل ، ولا يمكن بحال من الأحوال القول بأكثر من أنهم كانوا قبائل من الرحل ، يشقون البوادى الواقعة فى غرب آسيا ، ويعيشون على هامش الحضارات القديمة القائمة فيها ، عنصرا بشريا غير مرضى عنه ولا مرغوب فيه ، لرفضهم التآخى مع غيرهم من الأمم أو الاندماج فيها . وهى ظاهرة لها أشباه مثل عشائر النور الرحل « التزيجان » أو « البوهيميين » الذين ما يزالون يشقون طرقات أوربا ، ويضربون خيامهم حول مدنها ، أو يقفون بعرباتهم الخشبية

الكبيرة المغطاة على دروبها حتى الآن ، وكذلك « الغجر » المتنقلون على أطراف الصحراء الافريقية ، من غربى مصر حتى أطراف المغرب وموريتانيا . الا أن هؤلاء وأولئك يفترقون عن العبريين فى أنهم لم يفكروا فى ادعاء أنهم شعب الله المختار ، أو فى الطموح الى السيطرة على العالم واستعباد الانسانية .

٤ — أن بداية اتصال هؤلاء العبريين بفلسطين لا تعتمد على أية شهادات تاريخية صحيحة ، من حفائر أو وثائق أو آثار ، وكل اعتمادها على قصص ومسامرات وأساطير فولكلورية ، بعضها مسروق أو مقتبس من فولكلور الأمم الأخرى . ومع ذلك فان كل ما روى فى هذا الصدد يشير بصراحة قاطعة الى أن هؤلاء العبريين كانوا غرباء على فلسطين ، وأنهم نزحوا اليها مهاجرين ، وأنهم اغتصبوا الأجزاء التى أقاموا فيها بدون أى سند ، ودون أن يعطيهم اياها أحد ، واكتفوا فى تبرير ذلك بقولهم ان اله آبائهم هو الذى وعدهم بها وأعطاهم اياها . « ثم تجىء وتقول ، بين يدى الرب الهك : ان أبى كان آراميا تائها ، فهبط مصر ، ونزل هناك فى رجال قلائل ، فصار ثم أمة عظيمة قوية كثيرة . فأساء الينا المصريون وعذبونا وساموا خدمة شاقة ، فصرخنا الى الرب اله آبائنا ، فاستجاب الرب لصوتنا ، ونظر الى ذلنا وشقائنا وضيمنا . فأخرجنا الرب من مصر

بيد قوية وذراع ممدودة ورعب شديد وآيات ومعجزات . وأفضى بنا الى هذا الموضع ، وأعطانا هذه الأرض ، أرضا تدر لبنا وعسلا » (1) .

هكذا تلخص التوراة نفسها قصة التسلل الى فلسطين في قديم الزمان .

٥ — أن العبريين كأمة ، وككيان دينى واجتماعى ، يستمدون كل دعائم وجودهم من شخصية موسى عليه السلام ، لكن بعد أن شوهوها وحرفوها وصغروها فجعلوها شخصية قبلية محلية كشبههم وعلى صورتهم .

٦ — أن هذه الشخصية التحررية الانسانية العظيمة ، شخصية موسى ، كانت قد ضاعت من ذاكرة اليهود على مدى أجيال طويلة جدا ، هى والتوراة ، ولم يعودوا الى تذكرها ، أو الحديث عنها ، الا عند ما أحدقت بهم النكبات فى أخريات دولة اليهود القديمة فى أورشليم ؛ عند ما كان الأشوريون والفراعنة والادوميون وغيرهم من الأمم المجاورة يتسابقون الى تدميرهم ، والاطاحة بالبقية الباقية من وجودهم فى فلسطين .

٧ — أن هذه الظاهرة قد أوجدت هوة لا يمكن سدها بين حقيقة موسى وحقيقة الفكر اليهودى ، لدرجة أن أكثر من عالم

(1) التوراة : سفر التثنية ، الاصحاح ٢٦ ، الآية ٥ الى ٩ .

وباحث رجحوا أن يكون موسى مصريا ، وأن يكون الناس الذين خرجوا معه ، أخلاطا ثائرة على الطغيان الفرعونى ، تنتمى الى فكرة وعقيدة ، لا الى جنس وعنصر بعينه كما يزعم اليهود ، وفى مقدمة القائلين بذلك العالم اليهودى المعاصر فرويد ، كما أن كثيرين من الباحثين ، ومن اليهود المتحررين بالذات ، قد أدركوا هذه الهوة التى حدثت بين الموسوية واليهودية ، ومن هؤلاء فى القرن الماضى الباحث اليهودى الفرنسى اسكندر فى ، فى كتابه الكبير « موسى والتلمود » (١) .

٨ — أن موسى — وهذا أمر هام جدا — أنهى رسالته ، ولقى ربه ، دون أن تطأ قدماه أرض فلسطين ، لا هو ولا الذين خرجوا معه . وهــذه مشكلة أثارت جدلا طويلا جدا فى التلمود ، وتعبت أذهان أحبار اليهود فى صياغة تعليــل وجيه لها ، لا تكون نتيجته أن ينصرف اليهود عن التمسك باغتصاب فلسطين . وكان أول تسرب اسرائيلى الى فلسطين بعد موسى فى عهد يوشع ، والقضاة ، كما قلنا ، وهو عهد خال من النبوة ومن الوحى ، ملىء بأعمال العنف والارهاب والفجور ، حافل — فيما وصلنا عنه — بالخرافات والقصص المسلية . ومع ذلك فانه عهد يشبه فى كثير من الوجوه عهد التسرب الصهيونى الحديث من ســنة ١٨٩٧ — المؤتمر

(١) Alexandre WEILL; Moïse et le Talmud; Paris 1864.

الصهيونى الأول فى مدينة بال بسويسرا ، بزعامة تيودور هرتسل ــ الى قيام اسرائيل كدولة سنة ١٩٤٨ بزعامة حاييم وايزمان .

الوجود التاريخى لليهود :

نستطيع أن نقول والحالة هذه أن الوجود التاريخى ــ لا الخرافى ــ للعبريين القدماء فى فلسطين يبدأ من حوالى سنة ١٠٣٠ قبل الميلاد ، بتتويج الملك « شاءول » على كل اسرائيل ، بفضل الجهود السياسية التى بذلها فى سبيل تحقيق ذلك نبيهم صمويل . وقد عرفت هذه الفترة ملكين كبيرين فقط هما داود وابنه سليمان ؛ فالأول قد حكم بعد شاءول ، حوالى سنة ١٠١٠ ق.م والثانى تولى من بعده سنة ٩٧٠ ق.م وطال حكمه أربعين سنة ، أى الى سنة ٩٢٠ ق.م وبوفاته تمزق هذا الملك ، وأصبح الوجود العبرى فى فلسطين من الناحية السياسية وجودا ضعيفا مهددا بالزوال . وعلى ذلك فان الفترة التى قامت فيها لليهود فى فلسطين القديمة قائمة تاريخية وسياسية واجتماعية يعترف بها التاريخ ، لا تتعدى كلها قرنا واحدا من الزمان ، من سنة ١٠٣٠ ق.م الى سنة ٩٢٠ ق.م ، هى كل ما يمكن اعتماده خلال ستة آلاف سنة أو تزيد من وجود الشعب الفلسطينى الأصيل فى هذه البلاد . وهذه الفترة لم تكن تسمح نظرا لقصرها الشديد باقامة حضارة تضيف شيئا الى تراث الانسانية ، فللعالم كله فنونه فى الموسيقى والعمارة والزخرفة والنحت والتصوير ، وطرزه فى

صناعاته وحرفه ، وكل أمة فى العالم أثرت بشىء من هذا فى المدنية الانسانية كلها ، ما عدا اليهود . فنحن حتى الآن نستطيع أن نعرف شخصية كل أمة بمجرد وقوع بصرنا على أنموذج من فنها ، أو التقاط آذاننا للحن من موسيقاها أو غنائها ، حتى أشد الأمم امعانا فى التخلف والحرمان من مسايرة ركب الحضارة الحديثة . نقول من أول وهلة : هذا فن فرعونى ، هذا فن اسلامى ، هذا فن زنجى أو صينى أو أوربى مسيحى أو هندى ، ولكننا لا نستطيع بنفس السهولة أن نجد فنا يهوديا . ويقول اليهود انهم تركوا ماهو أقوى من الفن ، وما كان سببا فى خلق فنون كثيرة وهو الأدب والدين ، أى الكتاب المقدس ، والعقيدة اللاهوتية التوحيدية . ويطول بنا الحديث لو تعقبنا حظ اليهود من هذه النصوص والعقائد ، فهو قليل جدا ، وكل دورهم أنهم كانوا خزنة وحفظة لتراث معظمه ليس لهم ، آل اليهم بعضه مع تطور الأحداث السياسية والفكرية قديما فى المنطقة ، وانتحلوا بعضه واغتصبوه وادعوه لأنفسهم ، ثم رتبوا كل ذلك وزادوا فيه وأنقصوا منه كما تهوى مطامحهم السياسية ، وكما تملى نزواتهم العنصرية . وكان ذلك مثارا لخلافات ضخمة جدا بينهم وبين كثير من عظماء البشر من أنبياء ورسل وأصحاب شرائع ومصلحين ، نذكر منهم نبيهم ارميا الذى عاصر حصار بختنصر للقدس (حوالى سنة ٦٠٠ ق.م) وقد عارضوه واضطهدوه وخالفوه طوال حياته ، وهم أيضا الذين وضعوا حدا لحياته هذه فاغتالوه فى النهاية . ومنهم

يوحنا المعمدان المعاصر للمسيح ، وقد تنكروا لدعوته الاصلاحية وأهدروا دمه ثم ما زالوا يتعقبونه حتى أوقعوا به وقطعوا رأسه . ومنهم السيد المسيح الذى أراد أن يقتلع جذور التعصب العنصرى من العقيدة الدينية ، وأن يطهرها من خرافات التأويل الاسرائيلى ، فاضطهدوه وعملوا على قتله وصلبه . ومنهم محمد رسول الله ، الذى كان فى رسالته ركن هام جدا انزعج له اليهود ، هو ما سبق أن دعا اليه المسيح من عالمية الدين ، أى أن الله واحد وهو للبشر جميعا ، لا فضل لعربى على عجمى الا بالتقوى ، ونتيجة لذلك فليس هناك وجود لشعب الله المختار ، الذى يبنى عليه اليهود كل تصرفهم فيما بينهم ، ومع الانسانية الأخرى ؛ وقد حاول اليهود قتله مرارا ، كما أعانوا الكفار ضد المسلمين فى حروبهم ، وانطلقوا يحوكون الفتن والمؤامرات ضد الاسلام والمسلمين ، ويثيرون الشبهات حول تاريخ العرب ، ونبوة نبيهم ، ونزول القرآن الكريم.

الوجود العبرى بعد سليمان :

والآن ، وقد وصلنا الى المرحلة التى يمكن أن نعثر فيها على أخبار عن بنى اسرائيل من خلال الآثار والحفائر والوثائق وكتابات المؤرخين منذ ملك سليمان ، نريد أن نرسم فى خلاصة سريعة الخطوط الأساسية فى الكيان اليهودى وما طرأ عليه من أحداث عبر التاريخ .

قلنا ان مملكة سليمان تصدعت بعد موته ، فانشطرت شطرين ، أحدهمــا فى شمال فلسطين يسمونه مملكة اسرائيــل ، وكانت

عاصمتها فى السامرة ، قرب نابلس ، والثانى فى الجنوب ويسمونه اليهودية ، أو مملكة يهوذا ، وعاصمتها القدس (أورشليم) .

مملكة اسرائيل :

عاشت مملكة اسرائيل فى الشمال حوالى قرنين من الزمان ، تسيطر عليها أساليب الترف الوثنى ، والانحلال الأخلاقى ، حتى وصل الأمر ذروته فى عصر الملك آخاب ، « وصنع آخاب بن عمرى الشر أمام عينى الرب ، أكثر من جميع من تقدمه . ولم يكفه أن يسير فى خطايا « يربعام بن نباط » (مؤسس مملكة اسرائيل) ، فتزوج ايزابيل بنت اتبعل ، ملك صيدا ، ومضى وعبد البعل (اله الفينيقيين الوثنى) ، وسجد له . وأقام مذبحا للبعل فى بيت البعل الذى بناه بالسامرة . وأقام آخاب غابة (للطقوس الوثنية) وزاد آخاب فى اسخاط الرب اله اسرائيل ، على جميع من تقدمه من ملوك اسرائيل » (١) .

وفى أيام آخاب هذا ظهر نبى فى هذه المملكة الشمالية هو الياس ، أو « ايليا التشبى » ، وراح يدعو الى الله من جديد فى وسط هذا الكفر والفجور فلا يطيعه أحد ، أما الملك فانه اعتبره عنصرا مشاغبا ، « فلما رأى آخاب ايليا ، قال له آخاب : أأنت ايليـا مقلق اسرائيل ؟ فقال له : لم أقلق اسرائيل أنا ، بل أنت وبيت أبيك ، بترككم وصايا الرب واقتفائكم الأوثان . والآن وجه

(١) سفر الملوك الاول ، اصحاح ١٦ ، آية ٣٠ الى ٣٣ .

فاجمع الى كل اسرائيل على جبل الكرمل ، وأنبياء البعل الأربعمائة والخمسين ، وأنبياء عشتروت الأربعمائة الذين يأكلون على مائدة ايزابيل ... » (١) وانتهى الأمر ، بعد معجزات لا حصر لها بارتفاع ايليا الى السماء . كان يسير هو وتلميذه النبى اليسع — «اليشع» — فى منطقة أريحا على ضفاف الأردن ، « فذهب خمسون رجلا من بنى الأنبياء ، ووقفوا تجاههما عن بعد ، وهما وقفا بجانب الأردن . فأخذ ايليا رداءه ولفه وضرب المياه فانفلقت الى هنا وهناك ، وجازا كلاهما على اليبس . فلما عبرا قال ايليا لا ليشع : سلنى ماذا أصنع لك قبل أن أوخذ عنك . فقال اليشع : ليكن لى سهمان فى روحك . قال : قد سألت أمرا صعبا ، ان أنت رأيتنى عند ما أوخذ من عندك يكون لك ذلك ، والا فلا . وفيما كانا سائرين وهما يتحادثان ، اذا مركبة نارية وخيل نارية قد فصلت بينهما ، وطلع ايليا فى العاصفة الى السماء . واليشع ينظر ، وهو يصرخ : يا أبى ! يا أبى ! يا مركبة اسرائيل وفرسانه ! ثم لم يره أيضا ، فأمسك ثيابه وشقها شطرين . ورفع رداء ايليا الذى سقط عنه ، ورجع ووقف على شاطىء الأردن . وأخذ رداء ايليا الذى سقط عنه ، وضرب المياه وقال : والآن أين الرب اله ايليا أيضا ؟ وضرب المياه فانفلقت الى هنا وهناك ، وعبر اليشع . ورآه بنو الأنبياء الذين فى أريحا تجاهه ، فقالوا : قد حلت روح ايليا على اليشع ! وجاءوا للقائه ، وسجدوا له على الأرض » (٢) .

---

(١) سفر الملوك الاول ، اصحاح ١٨ ، آية ١٧ الى ١٩ .
(٢) سفر الملوك الثانى ، الاصحاح الثانى .

ويشغل ايليا فى الفولكلور اليهودى مكانة خاصة ، فهو عند الأطفـال اليهود يشبه « بابا نويل » بلحيته البيضـاء وملابسه الحمراء ووجهه السمح ، ينزل من السـماء ليلا فى أعياد معينة ليترك لكل منهم لعبة أو هدية . وهو عند المتصوفين من اليهود يحتل مكانة « المهدى المنتظر » ، فهم يعيشون على أمل نزوله من السماء ، ويضيفون الزائدة الصهيونية الخاصة ، وهى أن نزوله هذا للقضاء على أعداء اسرائيل وجمع شمل اليهود فى فلسطين ، ولذلك فان هؤلاء المتصـوفين كانوا يقفـون موقف الرفض من الصهيونية الحديثة ، ولا يرون أى وجه شبه بين النبى ايليا وتيدور هيرتسل أو حاييم وايزمان . وكثير من هؤلاء المتصوفين يسمون كتبهم ورياضاتهم الروحية « المركبة » تشبيها لها بمركبة النار التى رفعت ايليا الى السماء . وقد استطاع الشعراء الصهيونيين والأدباء وكتاب المسرحيات أن يزيلوا انكماش المنتظرين لعودة ايليا ، وأن يحضوهم على الاسهام فى استعمار فلسطين بكتابات أدبية حاولوا فيها التقريب بين وجهتى النظر .

انتهت دولة اسرائيل سنة ٧٢٠ ق.م عند ما هاجمها الامبراطور الأشورى سلما نصر ، فحاصر السامرة ثلاث سنين ، ثم دخلهـا ودمرها « وجـلا ملك أشور اسرائيـل الى أشور ، وأنزلهم فى « حلاح » وعلى « خابور » نهر جوزان ، وفى مدائن « مادای » . لأنهم لم يسـمعوا لقول الرب الههم ، ونقضوا عهـده ، وكل ما أوصاهم به موسى عبد الرب لم يسمعوه ولم يعملوا به » (١) .

(١) سفر الملوك الثانى ، الاصحاح الثانى عشر ، الآية ١١ ، ١٢ .

وهنا أيضا تقوم خرافة فولكلورية بين اليهود ، خلاصتها أن الأسباط التى كانت فى مملكة الشمال هذه ، وأجلاها سلما نصر ، وعددها عشرة ، قد انتشرت فى جميع أنحاء الأرض ، واتخذت لها مستعمرات فى الصين والهند وبلاد الحبشة وبلاد العرب وأفريقية السوداء وسيبريا وأوربا ، وأن كل اليهود الذين لا يعرفون نسبهم ينتمون الى هذه القبائل العشر الضائعة ، وكل من ليس يهوديا وفى قلبـه رغبة فى العطف على اليهود وحبهم ومساعدتهم ، فمن المحتمل أن يكون أصله أيضا من هذه القبائل العشر الضائعة . ثم أنها على مر الزمن يكثر عددها وستظهر فجأة بكامل عددها لاتمام المسيرة الصهيونية نحو فلسطين . وهكذا ندور وندور ثم نعود مع اليهود الى المنطلق الأول ، وهو بناء صرح شامخ للصهيونية ، من مجموعة حكايات ومسامرات وخرافات ، لا غير .

مملكة يهوذا :

أما المملكة الجنوبية ، مملكة يهوذا ، فقد اتصلت فيها أسرة داود الحاكمة ، وتفشى فيها هى أيضا الكفر والفسوق والانحلال حتى أن النبى اشعيا يصفها مرة فيقول : « هلك الصديق ، ولم يكن من تأمل فى قلبه ، وانطوى أهل التقوى فلم يفطن أحد أنه من وجه الشر انطوى الصديق . ان السالكين باستقامتهم يدخلون فى السلام ، وفى مضاجعهم يستقرون . أما أنتم فاقتربوا الى هنا ، يا بنى الساحرة ، يا نسل الفاسق والزانية ، بمن تسخرون ؟ وعلى من تفغرون أفواهكم وتدلعون ألسنتكم ؟ ألستم أولاد المعصية ،

ونسل الزور ؟ المتوجهين الى الأصنام تحت كل شجرة خضراء ، الذابحين أولادهم فى الوديان تحت كهوف الصخر . حجارة الوادى نصيبك . هى هى حظك . لها سكبت السكيب ، وأحرقت القربان (قائلة) آعن هذه أسلوا ؟ على جبل عال شامخ جعلت مضجعك ، الى هناك أيضا صعدت لتذبحى الذبائح ... » (١) ونبيهم ارميا يقول هو أيضا : « ان شعبى سفيه ، انهم لا يعرفوننى ، انما هم أبناء حمقى لا فهم لهم . هم أذكياء فى الشر ولا دراية لهم بالخير » (٢) .

هاجم بختنصر الكلدانى أورشليم عاصمة يهوذا ودمرها وأحرقها وأخذ كل من يصلح لعمل ما من اليهود أسرى فى بابل سنة ٥٨٦ قبل الميلاد ، وهو ما يعرف باسم السبى البابلى .

واذا كان انهيار مملكة اسرائيل الشمالية قد حول نبوة ايليا الى أسطورة ، فان مواعظ أنبياء يهوذا ، لا سيما اشعيا وارميا قد مهدت الفرصة لقيام أسطورة مماثلة فى الجنوب هى أسطورة « المسيح المنتظر » وهى التى كان اليهود يروجونها على أن هذا المسيح المنتظر هو المكلف باعادة شعب الله المختار الى فلسطين ، واقامة مملكة السموات على الأرض ، وكانت هذه العقيدة الشعبية سببا فى ظهور عدد كبير من الأفاقين والدجالين والنصابين فى المجتمع الاسرائيلى وكلهم يدعى أنه هو ذلك المسيح المنتظر .

---

(١) اشعيا ٥٧ آية ١ الى ٧ .
(٢) ارميا ٤٠ آية ٢٢ .

ولعل بعضهم ما يزال يمارس هذا الدجل حتى يومنا هذا . فلما أن جاء المسيح الحق ، سيدنا عيسى ، بعد انتشار هذه الأسطورة بخمسمائة سـنة أنكروه وكفروا به وتآمروا على قتله لأنه بكل بساطة لم يكن صهيونيا ، بل كان مثل اشعيا ، يقول بعالمية الاله ، وبكون الشريعة قد جاءت للناس كافة

اليهود فى ظل الاستعمار الفارسى واليونانى :

بعد فترة السبى البابلى التى دامت سبعين سنة ، حصل اليهود من الامبراطورية الفارسية فى غضون القرن السادس قبل الميلاد على وعد يشبه وعد بلفور كما أسلفنا وعادوا الى فلسطين سـنة ٥١٦ قبل الميلاد ، وبدأوا فى بناء الهيكل من جديد

وفى سنة ٣٣٢ قبل الميلاد يستولى اليونان بقيادة الاسكندر الأكبر المقدونى على فلسـطين ضمن ما احتله من المستعمرات الفارسية فى الشرق الأوسط . وهنا توقفت هذه الصهيونية التى بدأها زروبابل ثم عزرا ونحميا ، فى العهد الفارسى ، وأصبحت فلسطين كما كانت دائما تقريبا ملتقى عناصر وشعوب يغلب منهم طابع الفلسطينيين الأصليين الذين كانوا العنصر السكانى المستمر ، وفيهم عرب كثيرون بشهادة النصوص اليهودية نفسها من المدراش « تفسير الكتاب المقدس » والمشنا « الشريعة الشفوية » ، الحديث « والتلمود » شرح مطول على المشـنا يجمع كل التراث الفكرى والدينى لليهود » . ولنذكر على سبيل المثال قصة شاعت فى الكتب المبسطة المأخوذة عن هذا التراث لأنها تذكر بعض مناقب شيخ

من فقهاء اليهود الكبار هو « شمعون بن شطح » . تقول هذه القصة أن هذا الشيخ كان يعلم تلاميذه مجانا محتسبا ذلك لوجه الله ، وأنه كان يرتزق من تجارة النسيج يحمله على كتفه ويدور به ليبيعه فى الأسواق . ففكر تلاميذه فى أن يشتروا له حمارا يحمل له بضاعته ، فذهبوا الى سوق الماشية واشتروا الحمار من تاجر عربى ، فاكتشف الشيخ أن فى رقبة هذا الحمار خيطا فيه خرزة من حجر كريم ، فأمر تلاميذه أن يسألوا العربى اذا كان عندما باع الحمار يعلم بقيمة هذه القطعة من الجوهر . ونفى العربى علمه بذلك ، فأمر شمعون بن شطح برد الحجر الكريم اليه لأنه غير داخل فى نية البيع عند اتمام الصفقة . والذى يهمنا فى ذلك هو هذا التاجر العربى فى سوق الماشية بالقدس قبل الاسلام بقرون طويلة ، بل اننا نشعر أن السوق كلها كانت تكاد تكون قائمة على العرب ، والا لما تردد تلاميذ العالم التلمودى المذكور فى التعامل مع تاجر يهودى وتجنب هذا العربى .

يستمر الحكم اليونانى لفلسطين على يد السلوقيين خلفاء الاسكندر ، الذين يعطون اليهود حقوقا خاصة منها أن يكون لهم أمير يقيم الشريعة بينهم كان لقبه هو « نسىء » بالعبرية وكان أمراء اليهود من أسرة « المكابيين » أو « الحشمونيين » فاتحة لتطلعات يهودية صهيونية من جديد ، كما كانت باعثا على خلافات مذهبية فى العقيدة ، انقسم فيها اليهود الى فريزيين وصدوقيين ومعمدانيين واسيين ، الى جانب اليهود السامرة القدماء الذين انسلخوا عن سائر اليهود منذ عهد داود .

اليهود تحت حكم الرومان :

وفى سنة ٦٣ قبل الميلاد يحتل الرومان فلسطين ، ويمارسون رقابة مشددة على أمراء اليهود هناك . لأنه فى عهدهم تكثر الفتن والقلاقل ، وكان من بينها التآمر ضد المسيح والمطالبة بصلبه سنة ٣٣ ميلادية ثم اندلعت الثورة اليهودية مطالبة بتسليم اليهود كل فلسطين وخروج الرومان منها ، واستمرت من سنة ٦٦ الى ٧٠ ميلادية حيث تم قمعها على يد الامبراطور بسباسيان وابنه تيتوس. ودمر الهيكل من جديد ، وأحرقت أورشليم وشرد جميع من بقى فى فلسطين من اليهود ، تشريدا نهائيا ، بحيث لم تقم لهم هناك قائمة منذ ذلك الوقت ــ فيما عدا حركة « بركوكبا » بعد ذلك بستين عاما ــ الا عام ١٩٤٨ عند ما أعلن حاييم وايزمان قيام دولة اسرائيل ، وأشار فى الخطبة التى ألقاها بهذه المناسبة الى أن ذلك حدث تاريخى ظل اليهود ينتظرونه حوالى ألفى سنة .

أما ثورة بركوكبا ضد الرومان من سنة ١٣٢ الى سنة ١٣٥ فان نتيجتها كانت أمرا من الامبراطور الرومانى ايليوس هدريان بقتل أى يهودى يعثر عليه فى فلسطين ، وهدم أى بناء عليه أية علامة تثبت انتمــاءه لليهود ، وتغيير كل اسم يهودى للمواضع الجغرافية باسم رومانى ، وبدأ بمدينة أورشليم فسماها ايليــا كابيتولينا ، وهو اسم الجزء الأول منه مشتق من اسم الامبراطور «ايليوس» والثانى مشتق من معبد الكابيتول الوثنى الامبراطورى

فى روما ، الذى أحضر الامبراطور منه تمثالين أحدهما للالهة فينوس والثانى لابولو فنصبهما فى معبد رومانى أقامه على أنقاض هيكل اليهود .

وبمعزل عن السياسة بدأ الفكر اليهودى فى المشنا والتلمود والمدراش يزدهر ، وظهر علماء كبار جذبوا اليهم تلاميذ من يهود العالم فى العراق ، وفى طبرية بفلسطين . وهناك فى فلسطين عاد اليهود الى نزوتهم القديمة ــ الصهيونية ــ فثاروا على الحكم البيزنطى فى فلسطين ثورة فاشلة ، وكان ذلك سنة ٦١٤ ميلادية . كما راح اليهود فى شبه الجزيرة العربية ينسجون المؤامرات ضد النبى محمد عليه السلام حتى اضطر الى قمعهم بالقوة فى السنوات الأولى من الهجرة (٦٢٤ ــ ٦٢٨ م) وحوالى هذا التاريخ أيضا بدأ المسيحيون فى فرنسا وأسبانيا يضطهدون اليهود ويجبرونهم على اعتناق المسيحية بالقوة .

الاسلام فى فلسطين :

وفى سنة ١٥ هـ ــ ٦٣٨ م تم فتح فلسطين على يد المسلمين فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب . وكان اليهود يعرفون أن أوربا تكرههم وتتهمهم بأنهم قتلة المسيح ، فلم يكن أمامهم من سبيل أو ملجأ الا لدى الفرس ان أمكن . ولكن الخليفة عمر نفسه أتم اسقاط امبراطورية الفرس فى نفس السنة بفتحه للعراق وبلاد فارس . وهكذا كان اليهود مضطرين لمهادنة العرب بعد أن فشلت كل محاولاتهم على عهد الرسول وبعده فى وقف التقدم العربى .

وكان العرب بفضل الشريعة التى خطها لهم القرآن الـكريم على استعداد من جانبهم لمسالمة اليهود . فقد اعتبرهم القرآن من أهل الكتاب ، وجعل لهم اذا سالموا المسلمين مطلق الحرية فى دينهم ومالهم وحياتهم ، بل اعتبر المسلمين مسئولين دينيا عن سلامتهم فهم أهل الذمة ، ولهذا رفض عمر بن الخطاب عند تسلمه القدس من ممثل البطريرك البيزنطى أن يتعهد بالاستمرار فى منع اليهود من دخول هذه المدينة أو السكنى بها ، معللا ذلك بأن ما لليهود وما عليهم محدد بالقرآن الـكريم ولا يمكن تبديل ذلك فى أى اتفاق أو معاهدة يعقدها الخليفة .

ازدهار اليهود فى ظل الحضارة العربية :

شعر اليهود بالطمأنينة فى ظل الدولة العربية منذ البداية ، فقد منحهم نظام هذه الدولة حرية لعلهم لم يروها حتى فى عهد سليمان ، فانهم على عهده كانوا يشكون من فداحة الضرائب التى أوجبها مظهر البذخ والأبهة اللازمين لهذا النبى والملك والمصلح الاجتماعى. وكان أثر هـذا التبرم واضحا فيما ذكرناه من تصـدع المملكة وانقسامها الى شطرين على أثر موته مباشرة . بينما نجد عمر بن الخطاب يوافق على تنصيب الحاخام الأكبر بوستنائى رئيسا لكل الطائفة الاسرائيلية فى العالم الاسلامى . ثم نجد الخليفة على بن أبى طالب يعين حاخاما أكبر ليهود العراق فى عهده اسمه مار اسحق ، ويكون مقره مدينة الكوفة ، ويأتى الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان فيسمح لليهود من جديد بممارسة دراساتهم وشعائرهم

الدينية فى أورشليم ، بل يوافق على أن يكون من بينهم مشرفون على النظافة والاضاءة فى المسجد الأقصى نفسه . وفى أيام الخليفة الأموى سليمان بن عبد الملك يحظى يهود الدولة الاسلامية بتسهيلات فى مجاورة بقاعهم المقدسة فى فلسطين ، ويغدق عليهم الخليفة الكثير من الهبات . كما أن الجاليات اليهودية فى مصر ، وبخاصة فى الاسكندرية والفيوم ، وفى شمال أفريقية ، وخصوصا فى فاس والقيروان ، ثم فى الأندلس تزدهر اقتصاديا وعلميا وتبدأ حياة جديدة لولاها لتغير وجه الفكر اليهودى فى العالم .

وفى منتصف القرن الثامن الميلادى تقوم الخلافة العباسية فى بغداد بعد انتهاء أمر بنى أمية وخلافتهم فى دمشق ، فتستفيد الجاليات اليهودية مزيدا من الحرية والتشجيع مع زيادة ما أعطى لغير العرب من حريات فى ظل العباسيين ، ويصل حاخام بغداد الأكبر الى أعلى مراتب الصدارة فى الدولة ويجمع فى يده الاشراف الروحى والاجتماعى على اليهود الى جانب رئاسته للأكاديمية التلمودية القديمة فى بلدة سوره القريبة من بغداد ، ويسمى « رأس الجالوت » أى زعيم الجالية ، كما يسمى رأس المثيبة ، أى مدير الجامعة اليهودية فى سوره . وكان من حقه فى وضعه هذا الاشراف على الأوقاف اليهودية وتنصيب القضاة للأحوال الشخصية ، واعتماد الاعانات المالية للمعوذين والفقراء من هذه الطائفة ، والاتصال الداخلى والخارجى بكل من يأنس فيهم فائدة ما لقومه، والنظر فى برامج التعليم والرقابة على التأليف فى داخل الفكر الاسرائيلى .

وفى هذا الوقت لم يكن أحد لا فى بغداد ولا فى غيرها من الأمصار الاسلامية حتى الأندلس يعارض فى حضور اليهود مجالس العلم عند المسلمين . فتعلم كثيرون منهم أدق أصول اللغة العربية ، كما حضروا المناقشات فى التوحيد والعقائد بين مختلف فرق المسلمين من شيعة وسنة ومعتزلة وغيرهم ، فاستفادوا من ذلك فوائد ظهر أثرها فى ثقافتهم الخاصة على النحو التالى :

فى سنة ٧٦٠ ميلادية ظهر فى العراق عالم يهودى ، حاخام وابن حاخام ، هو عنان بن داود . ورأى أن فريقا من المسلمين ، من المعتزلة خاصة ، يرفضون الاعتماد على الحديث النبوى مصدرا من مصادر التشريع ، ويرون أن القرآن الكريم وحده كاف لتنظيم حياة البشر ، مستغن عن الالتجاء الى نصوص أخرى ، فأعجب اليهودى عنان بن داود بهذه الفكرة وحاول ادخالها فى الدين الاسرائيلى ، حيث نادى بأن ما جاء فى الروايات الشرعية الشفوية اليهودية ــ المشنا والتلمود ــ باطل ، وأن المعول كله على أسفار العهد القديم التى تعتبر فى نظر اليهود الوثيقة الوحيدة المكتوبة المنزلة ، التى يقرأونها فى عباداتهم ومن أجل تعليمهم ، ويسمونها « المقرا » أى الشريعة المقروءة . وحازت دعوة عنان بن داود نجاحا كبيرا واتبعه أنصار كثيرون ، تركوا التلمود وأهدروا قدسيته ، وهكذا ظهرت طائفة اليهود « القرائين » ، وراحت تعارض الطائفة التقليدية القديمة التى تنتسب الى أرباب الشريعة التلمودية وتسمى لذلك طائفة « الربانيين » أو « الربيين » . واستمر هذا الجدال يزداد حدة بعد موت عنان .

وكان زعيم الربانيين وحاخام بغداد الأكبر فى أعقاب ذلك رجلا من أفذاذ العلماء هو « سعديا سعيد بن يوسف الفيومى » . انبرى هذا الرجل يجادل القرائين ويدافع عن تقاليده الشرعية الموروثة مستعملا فى ذلك اللغة العربية الفصحى التى ألف بها كتابا حذا فيه حذو علماء المسلمين فى التأليف فى علم العقائد ، وسمى كتابه هذا « كتاب الامانات والاعتقادات » . كذلك فكر فى برنامج اصلاحى شامل ، أساسه الفهم لآيات الكتاب المقدس فهما واضحا. واستعان فى ذلك بمنهجين ، الأول هو أنه ترجم هـذا الكتاب المقدس الى اللغة العربية ، وكتب عليه تفسيرين بنفس هذه اللغة ، أحدهما مختصر ، والآخر مطول ، حتى يعى اليهود الذين كانت اللغة العبرية قد ماتت بينهم معانى كتابهم وأسراره . والمنهج الثانى هو تقوية تعلم اللغة العبرية نفسها ، فألف فى قواعدها باللغـة العربية كتابا ضخما سماه « كتاب اللغة » ، كما ألف شرحا بالعربية للألفاظ الصعبة النادرة فى الكتاب المقدس ، التى لم تستعمل فيه الا مرة واحدة ، وسماه « تفسير السبعين لفظة الفردة » . ولاكمال منهجه فى وصل اليهود باللغة العبرية ألف لهم أناشيد وقصـائد وأدعية باللغة العبرية للتلاوة فى المعابد عند الصلاة وفى الأعياد .

ومات سعديا فى بغداد سنة ٩٤٢ ميلادية وبموته بدأت الحركة الفكرية اليهودية فى الشرق تنكمش لتحل محلها حركة أكثر بهاء وأوثق اتصالا بالفكر العربى فى بلاد أفريقية والأندلس . ففى هذه البلاد بدأ اليهود يهتمون باحياء اللغة العبرية ، ويترسمون فى ذلك

خطوات العرب فى العناية بلغة القرآن ، فظهر فى القرن العاشر الميلادى اللغوى اليهودى القرائى أبو سليمان داود بن ابراهيم الفاسى وألف معجما ضخما للغة العبرية مشروحا بالعربية اسمه بالعبرية « الأجرون » وبالعربية « جامع الألفاظ » ، كذلك ظهر من بعده نحاة ولغويون من اليهود الربانيين منهم « يهودا بن قريش » ، و « أبو زكريا يحيى بن داود المشهور بحيوج » وهو أول من نظم علم الصرف والنحو والاشتقاق فى اللغة العبرية على النمط العربى ، وأعقبه من اللغويين مناحم بن سروق ودونش بن لبرط ثم ـ فى القرن الثانى عشر الميلادى ـ امام نحاة العبرية ولغوييها على الاطلاق أبو الوليد مروان بن جناح القرطبى الذى كان معاصرا للامام أحمد بن حزم . ومن هذه النهضة اللغوية العبرية تفجرت نهضة أدبية شامخة ، فبعد قرون طويلة من الجدب الفكرى بدأ اليهود يكتبون الشعر بالعبرية على أوزان البحور العربية واشتهر من بينهم يهودا اللاوى وموسى بن عزرا وابراهيم ابن عزرا وسليمان بن جبيرول وصمويل النجيد المعروف عند العرب باسم ابن النغرالى . وظهر فى الأدب العبرى فن المقامات المسجوعة التى تحاكى مقامات الحريرى وبديع الزمان الهمذانى ، واشتهر بها فى اللغة العبرية يهودا بن سليمان الحريزى المتوفى سنة ١٢٣٠ ميلادية . هذا عدا كتب الحكمة والفلسفة والعلوم ، وما ترجمه اليهود الى لغتهم العبرية من آثار الفكر العربى الكبرى ثم ما ألفوه من كتب الرحلات التى من أشهرها « رحلة بنيامين التطيلى الأندلسى » وكتب الشريعة اليهودية وفلسفة العقائد ، وقد

برع فى هذا الجانب الطبيب المشهور موسى بن ميمون . وهكذا كان الحكم العربى فى الشرق والغرب بما منحه من الحرية والأمن والتسامح والتشجيع سببا فى انبعاث الشخصية الفكرية اليهودية واللغة العبرية وأدبها من العدم المطلق ، بحيث أصبحت على مستهل العصر الحديث لغة لها تراث يدعو الى كثير من التقدير.

اليهود فى أوربا :

فى مقابل هذا التسامح العربى والاسلامى الذى استفاد منه اليهود يحق لنا أن نتساءل : واليهود فى أوربا ؟

لقد ذكرنا ما كان من بداية الاضطهاد اليهودى فى أوربا المسيحية فى القرن الثامن الميلادى . وقد قدر ليهود الشرق أن يعرفوا طعم هذا الاضطهاد الأوربى عند ما استولى المسيحيون الصليبيون على القدس عام ١٠٩٩ ، اذ بدأوا بطرد اليهود منها ومصادرة أموالهم . ثم نجد يهود أوربا من جديد فريسة تفرقة عنصرية شديدة طوال العصور الوسطى . ففى أواخر القرن الثانى عشر الميلادى يصدر فيليب أوجست ملك فرنسا مرسوما بطردهم من جميع أنحاء مملكته ، وان كان هذا المرسوم لم ينفذ الا لفترة قصيرة من الزمان . وفى عام ١٢١٥ يصدر البابا الكاثوليكى انوسنت الثالث أمرا شرعيا يحتم فيه على اليهود أن يضعوا على ملابسهم شارات تبين أنهم يهود ، ليكونوا موضع معاملة سيئة من المسيحيين بطبيعة الحال .وبعد ذلك بسنوات قليلة تنتشر فكرة مصادرة الكتب اليهودية واحراقها فى الميادين العامة وسط حفلات

شعبية : حدث ذلك فى مونبلييه وباريس وغيرهما ، كما أشيع عن اليهود أنهم يسفكون دم المسيحيين لأغراض دينية خاصة بهم كأن يعجنوا بهذا الدم خبز عيد الفصح ، وتكثر حملات التنكيل والانتقام من اليهود حتى يضطر البابا أنوسنت الرابع سنة ١٢٤٧ الى اصدار وثيقة ينفى فيها وجود شىء من هذا التقليد الدموى فى شريعة اليهود . ومنذ ذلك الوقت ينتشر اضطهاد اليهود ، فى ألمانيا وفى اسبانيا وفى انجلترا والنمسا ، بحيث لم يعد لهؤلاء اليهود الأوربيين من ملجأ الا فى القرى النائية فى أوربا الشرقية وخاصة بولونيا وروسيا ورومانيا وأوكرانيا . وقد شاءت الظروف أن يحكم بولونيا (١٣٣٣ — ١٣٧٠) الملك كازيمير ، الذى يتزوج فتاة يهودية اسمها « استركا » فتكون نتيجة هذا الزواج العطف الشديد على اليهود بحيث هاجروا بالملايين الى بولونيا .

اضطهادات لليهود فى أوربا : الجيتو :

ويطول بنا القول لو تعقبنا عمليات الطرد والقتل والتنكيل باليهود فى أنحاء أوربا فى العصور الوسطى . ولكنا نقول احقاقا للحق أن اليهود أنفسهم ، فى الوضع الاقتصادى الذى أوجدتهم فيه الظروف ، كانوا يتصرفون على نحو يشجع على التنكيل بهم . فالملوك من ناحية والكنيسة من ناحية أخرى ومن ورائهما الاقطاع قد حرموا على اليهود الزراعة وضيقوا عليهم الخناق فى التجارة والصناعة اذ حرموا على المسيحيين أن يخدموهم أو يتعاملوا معهم فلم يعد أمامهم من مجال للكسب الا فى تجارة الذهب والمجوهرات

والقيام باقراض المعوذين بالربا الفاحش ، وكل ذلك من شأنه أن يخلق أحقادا وعداوات ، وأن يعطى عن اليهود صورة قبيحة شوهاء كتلك التى آبرزها لنا شكسبير فى شخصية « شيلوك » تاجر البندقية .

ليس عجيبا فى وسط تلك الملابسات أن نجد فى عام ١٥١٦ على وجه التحديد ، حارة لليهود لها أحكام وقيود مخصوصة تنشأ فى مدينة البندقية بايطاليا ، على أمل الحد من جشع اليهود فى الاستغلال الاقتصادى وممارسة الربا والسعى الى تخريب حياة المسيحيين وتدميرها بهذا الابتزاز . كانت هذه الحارة تسمى باللهجة الايطالية العامية السائدة حينئذ « بورجيتو » أى القرية الصغيرة ، ثم تآكلت اللفظة على مر الزمن وبقى منها لفظة « جيتو » بمعنى الحى اليهودى أو حارة اليهود . وأصبح نظام الجيتو ، وهو نظام تحديد اقامة اليهود بصفة اجبارية فى حى خاص بهم ، ومنع تجولهم ليلا فى غير هذا الحى ، ظاهرة اجتماعية منتشرة فى أوربا كلها وقد تعرضت حارات اليهود هذه الى أنواع من النكال والنهب والتدمير ، ولكنها كان لها الفضل أيضا فى الحفاظ على العنصرية اليهودية فى شكلها المرضى الذى أصبح داء عضالا ما كاد اليهود يتنبهون اليه حتى انقلب الى وقف رفض للاندماج وعداء للانسانية ، وانقلب يهودى الجيتو المضطهد الذليل الفريسة ، الى وحش كاسر عندما أتاحت له ظروف الاستعمار أن يقيم دعائم صهيونيته الحديثه ، يريد ممارسة ما عرفه من صنوف الاذلال

والتعذيب على مدى قرون داخل الجيتو على المستضعفين من عرب فلسطين ، الذين ما كاد يرتفع عنهم نير الاحتلال التركى حتى وقعوا فى الاحتلال البريطانى الذى أسلمهم بدوره الى هـذه الحركة الاستعمارية الصهيونية بكل عقدها وأمراضها القديمة .

وانعزال اليهود هذه القرون الطويلة فى الجيتو هيأ لهم ، رغم أنفهم ، وبسبب حرمانهم من أية ثقافة أوربية ، لأن أساس هذه الثقافات كان الدين المسيحى ، أن يظلوا شديدى الالتصاق بالمعبد وبالتوراة والتلمـود وبالكاهن والحاخام ، ولم يـكن ذلك الا معسكرا تدريبيا طويل الأجل اختمر فيه التعصب اليهـودى والانكماش العنصرى وتحولت فيه مركبات النقص وعقد الضعف الى ألوان من جنون العظمة وخيالات السيطرة الشاملة على العالم.

الصهيونية ، نتيجة مرضية لمفارقات شاذة فى حياة اليهود :

ويقف الباحث اليهودى الفرنسى (اندريه شوراقى) أمام ذلك كله موقف حيرة عندما يكتب عن اليهود فى العصور الوسطى فى الشرق والغرب (١) ، فهو يلاحظ حقيقة واقعـة تستعصى — فى رأيه — على التفسير ، وهى أن المجتمع الاسلامى العربى والمجتمع المسيحى الأوربى كانا على طرفى نقيض فى موقفهما من اليهود ، فكلما كانت الدولة الاسلامية العربية قوية غنية مهيبة آمنةمستقرة تمتع فيها اليهود بالحرية التامة ولم يمسسهم أى نوع من الازعاج،

(١) André CHOURAQUI; Histoire du Judaisme — Paris 1957; Chapitres II — III.

بينما كانت دول أوربا المسيحية كلما قويت واطمأنت شـددت النكير وأثقلت الاضطهاد على اليهود . والعكس صحيح ، فلم ير اليهود قسوة من قبل المسلمين الا اذا كان المجتمع الاسلامى نفسه مفككا فقيرا تملأه المشاكل وتحفه الاخطار . أما فى أوربا فكان اليهود يرتعون كلما انحل المجتمع وأشرفت الدولة على الانهيار . ولعل القاعدة ما تزال مضطردة الى الآن ، وربما كانت الرجات الاجتماعية والأخلاقية والسياسية التى تجتاح أمريكا الآن هى السر فى تمتع يهودها بما يرتعون فيه من نفوذ لا حد له ، ثم لعل ما يقال عن عزوف الدول العربية عن الرغبة فى ترك اليهود أحرارا مطمئنين انما يرجع الى نفس الظاهرة ، وهى أن العرب أنفسهم ما زالوا بحـاجة الى مزيد من السيادة السياسية والاسـتقرار الاقتصادى والهيبة والطمأنينة ، ثم ان اليهود ـ وهذا ما لا يشك فيه أحد منهم هم ـ قد تصوروا لقضيتهم حلا هو أشد الحلول غباوة وظلما وتعسفا ، ذلك أن تدفع الأمة العربية من دمها وأمنها ووطنها ثمن ما تحطم لهم فى « الجيتو » بأوربا بيد آخرين كان العرب فى كثير من الأحيان أيضا فريسة لهم .

فى هذا الجو المشحون بالأحقاد ، الذى تحوصل فيه المرض اليهودى فاستعصى على كل طب ودواء ، يجب أن نضيف أن الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ أعطت لليهود الحقوق المنصوص عليها فى اعلان حقوق الانسان ، وجعلتهم مواطنين من الدرجة الأولى ، بل انها ألغت ذكر الدين فى أية وثيقة رسمية ، حتى الآن ، لكى تسهل

على الأقليات المختلفة أمر الاندماج فى المجتمع . ولكن المرض كان قد استفحل فى نفوس اليهود ، كما أن الاضطهادات كانت مستمرة فيهم ، وبشكل رهيب جدا فى أوربا الشرقية كلها . وقد أدى عدم التوازن هذا الى ملاحظة طريفة كتبها الصحفى الفرنسى « البير لوندر » سنة ١٩٢٩ فى كتابه الذى يعالج فيه الصهيونية بعنوان « اليهودى التائه وصل ! » ، اذ يقول انه لاحظ أن يهود أوربا الغربية وأمريكا من كبار الرأسماليين هم الأقطاب والممولون للصهيونية ولكنهم مع ذلك يرفضون رفضا باتا السكنى فى فلسطين ، بينما نجد المادة البشرية المهاجرة الى فلسطين تأتى من أوربا الشرقية .

حرية لليهود فى الغرب ، وتضييق عليهم فى الشرق ، من هنا كان منطلق الهجرات من شرق أوربا نحو فلسطين ، بتمويل وتخطيط غربى وأمريكى .

وما تزال بعد ، حتى فى أوربا الغربية ، وفى فرنسا ، مبعث حقوق الانسان ومهد الثورة التحررية الأولى ، شواهد كثيرة منذ بعد الثورة على التواطؤ المستمر بين اليهود والاستعمار .

اليهود والاستعمار الأوربى فى العصر الحديث :

ولعل أشد هذه الشواهد وضوحا على تواطؤ اليهود مع الاستعمار هو موقف المحامى اليهودى أدولف كريمييه (1) ، الذى

(1) Adolphe CREMIEUX.

عاش الثورة الفرنسية وما بعدها ، وعمر دهرا طويلا ، يشتغل بالسياسة والصحافة ويعمل من داخل التنظيمات الثورية لصالح اليهود وحدهم . فهو الذى قام على أثر فتنة دمشق عام ١٨٤٠ ، برفع قضية على محمد على الكبير ، يتهمه فيها بالمسئولية عن ضحايا هذه الفتنة من اليهود . وخلاصة هذا الحدث أنه فى السنة المذكورة ، وكانت الشام داخلة فى الأراضى التركية التى يحكمها محمد على والى مصر ، اختفى الأب الفرنسسكانى توما ، من ديره فى دمشق ، وكان اختفاؤه فى موسم عيد الفصح اليهودى . وشاعت فى دمشق على الأثر شبهة أن يكون اليهود قد خطفوه وذبحوه ليعجنوا بدمه خبز الفصح ، وهى شبهة كثر توجيهها لليهود واتهامهم بقتل أشخاص من غير دينهم لهـذا الغرض . وقامت فتنة فى المدينة ، اذ انضم المسلمون الى المسيحيين فى حملة للانتقام من جريمة اليهود ، واشترك فى ذلك والى دمشق من قبل محمد على وهو « شريف باشا » . وكانت الدول الأوربية تتحين الفرص للايقاع بمحمد على ، وتحطيم الامبراطورية التى أنشأها لنفسه فى مصر والشام والسودان والحجاز بل تحطيم الدولة العثمانية كلها واقتسام أراضيها . وهب أدولف كريميه يحـرك الرأى العام الأوربى ، بالصحافة ، وبالدعاية التى تولتها الجهـات اليهودية فى الغرب ، ثم رفع على محمد على القضية المذكورة ، التى انتهت بالحكم لصالحه وصالح اليهود . وأراد محمد على أن يتلافى ما يمكن لليهود أن يعملوه لتوسيع الفتنة ، فدعا كريميه لمقابلته فى الاسكندرية ، ليتسلم التعـويض الذى حكمت به

المحكمة . فحضر مصطحبا معه المليونير ورجل السياسة اليهودى البريطانى « اللورد مونتفيورى » والمستشرق اليهودى الفرنسى « سالومون مونك» . ومن ثم قام ثلاثتهم بزيارة فلسطين ، حيث قرروا اقامة مدرسة زراعة باسم « مقويه يسرائيل » أى « أمل اسرائيل » الى جنوب شرق يافا ، مهمتها تخريج مهندسين زراعيين يهود ، لاستصلاح الأراضى وتمليكها لليهود . وقد استخدمت أموال التعويضات التى دفعها محمد على فى هذا الغرض الى جانب تبرعات يهودية فى مقدمتها ما ساهم به اللورد موسى مونتفيورى نفسه . أما المستشرق سالومون مونك فانه درس فلسطين دراسة علمية شاملة وألف فى ذلك كتابا من أمهات الكتب التى اعتمدت عليها الصهيونية فى معرفة هذه البلاد . ومنذ ذلك الحين أخذت الدول الأوربية الطامعة فى استعمار الشرق الأوسط تنتبه لامكانيات التعاون المثمر بينها وبين اليهود فى هذا الميدان ، وهكذا استطاع كريمييه سنة ١٨٦٠ أن يضم الى صاحبيه يهوديين آخرين هما « البير كوهن » و « شارل نيتر » ليؤسسوا « الاتحاد الاسرائيلى العالمى » أو « الاليانس الاسرائيلى » الذى كان مقره المركزى فى باريس ، وكانت مؤسساته اليهودية من مدارس وفرق رياضية ، وجمعيات للتوعية الصهيونية — وما تزال — منتشرة فى جميع أنحاء العالم تقريبا .

أما تواطؤ كريمييه الواضح الصارخ مع الاستعمار فانه يبدو بصراحة عندما تولى هو نفسه وزارة العدل فى فرنسا عام ١٨٧٠ .

فقد انتهز الفرصة وأصدر قانونا فى ٢٤ أكتوبر من هذه السنة، يمنح يهود الجزائر جميعا وبدون استثناء الجنسية الفرنسية وما يتبعها من امتيازات لا حد لها يتساوون فيها بالمستعمرين الفرنسيين ويتعاونون معهم — كما يقول كريمييه نفسه — فى اتمام احتلال هذه البلاد واخضاع أهلها من العرب المسلمين . وكان عمله هذا تحديا للرأى العام العربى الجزائرى والفرنسى فى آن واحد . ففى يناير سنة ١٨٧١ قام الجزائريون بثورة عنيفة ضد هذا القـانون وضد الوجود الفرنسى كله فى الجزائر . أما الفرنسيون فقد شهد منهم عدد كبير من المسئولين بأن قانون كريمييه كان كارثة على الفرنسيين فى الجزائر ، نذكر منهم الجنرال أوجران أحد القادة العسكريين الذين كلفوا باخماد هذه الثورة وكذلك الاميرال دى جويدون والمسيو لوجيه محـافظ قسطنطينة فى ذلك الوقت .

ولكن هذا لا يهم فى نظر اليهود ، وانما كان همهم الوحيد هو الحصول على أقوى ما يمكن من الركائز الاستعمارية التى تمكنهم الوصول الى الهدف الأوحد ، وهو اغتصاب فلسطين واستعمارها.

يقول « شارل نيتر » ضمن تقرير قدمه للجنة المركزية للاتحاد الاسرائيلى العـالمى فى باريس فى تلك الفترة : « انكم سوف تقومون — سلميا — بفتح هذه الأرض المقدسة التى لم ينسها أحد منكم ، سواء أكنتم من المحافظين أم من المتحررين . هـذه الأرض التى أشاد آباؤكم بالكيان الأسمى فيها بينما كان سائر العالم غارقا فى الوثنية . بهذا التدبير ستنالون الأرض المقدسة . ولستم بحاجة الى الذعر أمام ضخامة الواجب الملقى على عاتقكم،

فان ما يبدو اليوم وكأنه أحلام سيصبح حقيقة غدا » .

كانت هده الحقيقة مرة شديدة المرارة ، فما كاد اليهــــود يجدون أفرادا منهم فى فلسطين حتى راحــوا ينشرون الارهاب والعدوان ، ونسوا كل ما رددوه من وعود السلم والمسالمة لأنهم كانوا يريدون بها تخدير الرأى العام العالمى لا غير . ففى أواخر هذا القرن الماضى ذهب المفكر الصهيونى « آشر جينزبورج » الذ ىكان معروفا بتوقيعه الأدبى « أحد هاعام »[1] ، لزيارة فلسطين ومشاهدة ما حققته فيها الطلائع اليهودية المتحمسة ممن يسمون « أحباء صهيون » ، وكانت دهشته شديدة رغم تضامنه التام مع الصهيونية ، لما رأى من صنوف العسف والظلم الذى يرتكبه أبناء قومه كل يوم ضد الشعب العربى الفلسطينى ، فكتب مقالا فى مجلة « هامليتص » اليهودية يقول فيه : « ماذا يفعــل اخواننا فى فلسطين ؟.. انهم كانوا عبيدا فى المنفى (الدياسبورا) ، وفجأة وجدوا أنفسهم أحرارا ، بلا حدود ولا رادع .. ان هذا التحول قد خلق فى نفوسهم حالة من الميل الى الاستبداد ، كحالة العبد عندما يتحول الى سيد . فهم يعاملون العرب بروح العــداء والشراسة ، ثم يفاخرون بما يفعلون .. ورغم ذلك فليس هناك بيننا من هو قادر على الوقوف فى وجه هذا الميل الخسيس والخطير فى آن واحد » .

(1) GYGES, Les Israèlites dans la Société Francaise-Paris, 1956.

الصهيونية تنتهز فرصة الحرب العالمية الأولى لاغتصاب فلسطين

وعندما شبت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤ ، وقف اليهود بكل منظماتهم الصهيونية فى البداية منكمشين . ذلك أنهم يريدون دائما كما قلنا أن يكونوا عملاء للاستعمار ، ولكنهم يريدون ذلك فى سبيل تحقيق هدفهم . فتمسكوا بالحذر حتى تتكشف الجولات المختلفة فى هذه الحرب عمن سيكون المنتصر فى النهاية حتى ينضموا اليه ليستفيدوا منه ، ولهذا لم يحدث تحرك يهودى يذكر فى هذه الحرب حتى صيف سنة ١٩١٦ .

كان الأتراك يحاربون انجلترا مع الألمان ، وتوجسوا خيفة من الطلائع اليهودية الصهيونية التى كانت موجودة فى فلسطين ولا سيما المتطرفين منهم . فشددوا الرقابة عليهم ، وراحوا يعتقلون المشتبه فيهم من بينهم ، ويصدرون القرارات بابعاد من لا يحمل اقامة دائمة من اليهود عن البلاد . فهرب من فلسطين شيخ الارهابيين الصهاينة وأستاذهم الأكبر « زئيف جابوتنسكى » واختفى فى القاهرة ، ثم لحق به محارب صهيونى آخر هو «يوسف ترومبلدور » ، واتفق الاثنان على أن ساعة التحرك قد حانت ، وأنه يجب العمل على انشاء « جيش صهيونى » يحارب الأتراك تحت الراية البريطانية . وهكذا يولد حلف جديد مع الاستعمار ينضم الى ما ذكرناه سابقا . وحدثت موقعة غاليبولى الكبرى بين الأتراك وبريطانيا وحلفائها ، فسافر القائدان الصهيونيان على أثرها الى لندن ، وهناك بدآ باستقطاب المتطوعين اليهود الذين

تكونت منهم الفرقة الثامنة والثلاثون من القوات البريطانية المسلحة فى الشرق الأوسط . ودخل جابوتنسكى نفسه هذه الفرقة متطوعا كجندى بسيط تحت السلاح ، ثم رقى الى درجة ملازم ، تقديرا من القيادة البريطانية لما يبديه من عناية بتنظيم هذه الفرقة . وكان من مظاهر هذا التحالف بين الصهيونية والاستعمار صيغة البيان العسكرى الذى أصدره جابوتنسكى لهذه الفرقة اليهودية وهى تستعد لدخول فلسطين ضمن جيوش القائد البريطانى « اللنبى » ، وهى : « اسمع يا اسرائيل . أنصت لصوت قلبك . ان ساعة الاستيلاء على فلسطين قد حانت . وليس من العقل أن نترك الناس من الأمم الأخرى يستولون عليها . أنصت لصوت عقلك . ليس من المنطقى أن يحارب الانجليز هنا أمام أعيننا ، ونحن قاعدون فى بيوتنا حتى يعيدوا الينا هذه البلاد بعد أن يأخذوها بدمائهم . أنصت لما يقوله لك شعورك بالكرامة هل من الممكن أن ننتظر هذه الأرض هدية ممن استولوا عليها بدمائهم دون أن نبذل أرواحنا معهم جنبا الى جنب ؟ ان دماء آبائنا التى سفكت على هذه الأرض منذ آلاف السنين ، ودم الانجليز الذين يساعدوننا على الاستيلاء عليها اليوم لدم مقدس ، وهو يهيب بنا من ثرى هذه الأرض أن تطوعوا للقتال . فلنخرج الى ميدان القتال نحن ومحررونا معا ، ومن الله النجاة ، فاشتدوا وتشجعوا » .

وفى فبراير عام ١٩١٨ ، وصلت الطلائع الأولى من هـذه الفرقة الى فلسطين يقودها الضابط البريطانى الكولونيل باترسون رافعة راية يهودية عليها النجمة السداسية الصهيونية ، ومكتوب عليها بالعبرية « ان نسيتك يا أورشليم نسيتنى يمينى » الآية التى ذكرناها من مزامير داود ، ضمن الشعارات الصهيونية .
فى نفس هذا الوقت ، وكان جابوتنسكى مايزال فى لنـدن ، يفر اليها يهودى ألمانى من كبار علماء الكيماويات والصـناعات الحربية ، هو حاييم وايزمان ، ومعه من أسرار الحرب الالمانية ما ساوم عليه الانجليز ، الى جانب كل تلك المصالح الاستعمارية المتبلورة أمام الحلفاء فى الشرق الأوسط . وكان ذلك هو السبب فى حصول اليهود على الوثيقة المشهورة باسم « وعد بلفور » فى ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ .

وعنـد ما وضعت الحرب العالميـة الأولى أوزارها كانت الصهيونية قد حددت موقفها أيضا وربطت مستقبلها بمستقبل الاستعمار . ولكن قبيل هذا بقليل حدثت هزة أخرى أحـدثت بعض البلبلة فى صفوف اليهودية العالمية ، وكانت هذه الهـزة هى قيام الثورة الشيوعية فى روسيا فى أكتوبر عام ١٩١٧ . فى هذا الوقت فكر أئمة الصهيونية فى أن ينتفعوا من المعسكرين : المعسكر الشيوعى ، والاشتراكيات المختلفة المتعاطفة معه فى العالم والمعسكر الرأسمالى الاستعمارى الغربى . والذى أجبرهم على هذا الموقف هو أن المادة البشرية اليهودية كانت موجودة بكثافة

شديدة فى روسيا وفى دول مجاورة لها ، مثل بولونيا ورومانيا ، وكان أقطاب الصهيونية يريدون أن يحصلوا على تسهيلات تستمر بها الهجرة من أوربا الشرقية الى فلسطين ، فى ظل الشيوعية . تلك الهجرة التى أصبحت تقليدا لدى المخططين للاستعمار اليهودى فى فلسطين منذ هجرة « أحباء صهيون » ، وطلائعها الذين سموا أنفسهم « البيلو » . فبدأ كثير من اليهود فى روسيا وشرق أوربا ينخرطون فى المنظمات الشيوعية ، ويأخذون أماكن قيادية فى صفوف ثورة أكتوبر سنة ١٩١٧ . وكان صدى ذلك فى أوربا الغربية انضواء كثير من المفكرين اليهود تحت لواء الأحزاب الاشتراكية المختلفة . وفطن الاستعمار الى أن ذلك من جانب اليهود لم يكن الا رغبة فى الابقاء على امكانيات لتدعيم الصهيونية فى فلسطين ، باستجداء رضا الطلائع الثورية فى روسيا الشيوعية ، فلم يحركوا ساكنا لوقف تيار الشيوعية والاشتراكية بين اليهود . وعلينا أن نضيف الى ذلك احقاقا للحق ، أن أكثر يهود أوربا الشرقية كانوا فى ظل القيصرية الروسية موضع اضطهادات وألوان من التفرقة الدينية والعنصرية تجعلهم يرحبون بكثير من التفاؤل بكل تغيير يطرأ على نظام الحكم القديم . كان كثيرون منهم يعيشون فى « الجيتو » ، أو فى بعض التجمعات الريفية الفقيرة حياة بؤس وذل وحرمان من التعليم أو العناية الصحية ، ويتعرضون مع ذلك لكراهية الشعب ، وتعسف الحكام. كما كان هناك عدد كبير منهم بين العمال ، يلمسون مظالم الاقطاع ورأس المال والطغيان القيصرى ، بنفس الشعور الذى أحس به ،

كارل ماركس ، وفريدريك انجلز ، اللذان كانا العقــل المفــكر والشرارة المفجرة لثورة الطبقــة العاملة تحت لواء الشــيوعية والاشتراكية . لكن هــذه المادة البشرية المنســاقة بمصالحهــا ووجداناتها شيء ، والتخطيط الصهيوني الأعلى شيء آخــر ، ولذلك فانه سرعان ما اكتشف الشيوعيون الخالصو الولاء لهذه العقيدة حيلة النفاق عند كثير من رفاقهم اليهود ، وحدثت أحداث وأحداث كان من أهمها انفصال اليهودى ليون ترودسكى عن الحزب الشيوعى السوفيتى ، وتمرده ، هو ومن تبعه ، على لينين وعلى ستالين من بعده ، كما اكتشفت فى روسيا السوفيتية أكثر من مؤامرة تثبت أن الشيوعية بالنسبة لكثير من الصــهاينة الروس لم تكن الا جدارا يتسترون وراءه ، ويحتمون به ، وقد ظل هذا الجدار يؤدى مهمته لليهود سنين طويلة ، مما أدى الى استمرار الهجرة من أوربا الشرقية نحو فلسطين دون معوقات تذكر حتى قيام الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩ .

استفادة الصهيونية من الأحداث الدولية فى الفترة مابين الحربين العالميتين :

وكما أن أقطاب الصهيونية كانوا قد أحرجوا أمام الشيوعية والاشتراكية ، فلجأوا الى هذا النفاق السياسى فى فترة ما بين الحربين العالميتين ، فان الشيوعية والاشتراكية والطلائع التقدمية والثورية كانت أيضا بدورها قد أحرجت وتورطت ازاء اليهود فى ظروف سياسية قاسية هى ظهور النازية والهتلرية فى ألمانيــا

وظهور الفاشية والرجعية الامبراطورية فى ايطاليا بزعامة بنيتو موسولينى .

فقد وصل الحزب النازى — الذى كان يصف نفسه بالاشتراكية الوطنية — الى حكم ألمانيا سنة ١٩٣٤ . وكان هذا الحزب قد نظر فى أسباب هزيمة ألمانيا فى الحرب العالمية الأولى ، وجعل هده الهزيمة تعزى كلها الى خيانة اليهود الالمان ، ورتب على ذلك فى برامجه تخطيطا هدفه تخليص ألمانيا من اليهود ، وبدأ هذا المخطط بعمليات ابعاد جماعية وتضييق على هذه الطائفة من الألمان فى العيش ، فكان أثر ذلك المباشر هو هجرة ضخمة من يهود ألمانيا الى فلسطين ، وانطلاق أبواق الدعاية اليهودية ضد هتلر فى أمريكا وأوربا الغربية وروسيا السوفيتية فى آن واحد . وأحست الاشتراكية الماركسية والشيوعية والتقدمية المناوئة لسياسة الغزو والاستعمار بتعاطف مع اليهود اذ كان الطرفان يواجهان عدوا واحدا هو هذه النازية ، وحليفتها الفاشية الايطالية .

الحرب العالمية الثانية وقيام اسرائيل :

كسبت الصهيونية كسبا هائلا من تلك النكسة التى حلت بالانسانية بظهور الدكتاتوريتين الفاشية والنازية ، واشعالهما الحرب العالمية الثانية ، وارتكابهما لسلسلة من أعمال الافناء على الطائفة اليهودية الواقعة تحت حكمهما . ففى ذلك الوقت وجد دعاة الصهيونية سببا وجيها لاقناع العالم بضرورة قيام وطن

خاص لليهود فى فلسطين ، وهو أنهم مطرودون ، ومهددون بالفناء فى أوربا . كما أنهم فى هذه الموجة من الارهاب والفزع استطاعوا بدون جهد كبير اقناع الكثيرين من اليهود المترددين والفاترين بالهجرة الى فلسطين ، خوفا على حياتهم وهربا بدويهم من وجه الاضطهاد النازى . وبعد الحرب ـ التى اندحر فيها النازى ـ كان قيام اسرائيل فى فلسطين نهاية المطاف ، بعد كل مغامرات اليهود فى صفوف المعسكرين المتحالفين على النازية اذ ذاك الشيوعية فى شرق أوربا ، والرأسمالية فى غرب أوربا وأمريكا . أما ضحايا النازية من اليهود فانهم لم يذهبوا سدى ، بل أرغمت حكومة ألمانيا الاتحادية على الاعتراف بأن حكومة اسرائيل هى المطالب الرسمى بدية هؤلاء الأموات والوريث الشرعى لهم ، وهو أمر عجيب لا نظير له فى أية تسوية دولية سابقة . ولكن هكذا كان ، وتدفقت « الغرامات » من ألمانيا الغربية على تل أبيب بالعملات الصعبة ، وعلى شكل أسلحة وعتاد ومؤن ، وأدوات انتاج ، وغيرها ، واستمر تدفقها أكثر من عشرين سنة ، أى ما يغطى حياة دولة اسرائيل منذ اعلانها الى سنوات قلائل مضت ، بل هناك ما يشير الى أنها مازالت تتدفق حتى اليوم .

أما فى الشرق وفى افريقية وآسيا فان اليهود ، بعد أن أصبحوا غير محتاجين لشىء تقريبا من الكتلة الشيوعية قد ساروا بكل قوتهم فى فلك الاستعمار ، فهم الذين عطلوا الوصول الى تسوية سريعة بين الثورة الجزائرية وفرنسا ، وهم الذين تسببوا

فى أكثر من هزة فى سياسات الدول الحديثة الاستقلال فى افريقية وآسيا ، وهم الذين ، بالرغم من ادعائهم التقدمية وظهورهم بمظهر المدافع عن الحريات ، لم يقولوا كلمة واحدة فى صحفهم أو اذاعاتهم عن المظالم التى يوقعها سادتهم الأمريكان بشعب فيتنام ، ولا عن المظالم التى ترتكب فى جنوب افريقيا بواسطة الأقلية البيضاء من المستعمرين ضد أهل البلد الأصليين من الافريقيين . وهم أخيرا الذين كشفوا أنيابهم وأظفارهم ، وكل ما كانوا يعدونه على مدى قرن من الزمان ، ليحاولوا صبه نارا ودمارا على أناس منحوهم أيام قوتهم وبأسهم الأمن والحرية ونور العلم وطمأنينة العدالة والمساواة ، وهم العرب . فاليوم تعبأ كل امكانات الشر والعدوان فى اسرائيل ، فى أغلب الأحيان برغم أنف الطبقة المثقفة المستنيرة منهم ، والطبقة العاملة المحبة للسلام ، لكى تحقق التزاما قائما بين الساسة الاسرائيليين والاستعمار للابقاء فى هذه المنطقة الحيوية من العالم على الفقر والخوف والجوع والتبعية للأجنبى وما يواكب ذلك من تخلف وضعف .

فاسرائيل اليوم ، كما كانت بالأمس ، وكما كانت فى الماضى البعيد ، لها تقليد فى تأييد الاستعمار لا تريد أن تتخلى عنه ، ولن تتخلى عنه الا اذا اجتاز العرب أزمات النمو والتحول التى يمرون بها الآن بحيث لا تجد اسرائيل مناصا من التخلى عن جنونها القديم ، والبحث عن رجال وحلول أكثر مناسبة لانسانية متطلعة الى السلام ، راغبة فى العدل ، كارهة للحرب والاستعمار جميعا .

الصهيونية

الدكتورة عائشة راتب
أستاذة القانون الدولى العام بكلية الحقوق
جامعة القاهرة

تتحدد أهداف الصهيونية(1) بانشاء وطن قومى لليهود ، وقد حددت فلسطين على أنها هذا الوطن اعتبارا من مؤتمر بال الأول سنة ١٨٩٧ ، باعتبارها المكان الذى عاشوا فى ربوعه ، فترة من الزمن منذ آلاف السنين قبل انفراط عقدهم وقبل أن يهيموا على وجوههم فى مشارق الأرض ومغاربها . وقد نجحت الصهيونية فى اقامة كيان أجنبى فى قلب الوطن العربى فى فلسطين بعد أن طردت غالبية سكانها العرب منها ، كما نجحت فى أن تضفى من الناحية القانونية على هذا الفعل طابع المشروعية بحصولها على اعتراف غالبية الدول به واقراره من الأمم المتحدة .

أصل اليهود :

تزوج ابراهيم عليه السلام من سارة فولدت له اسحق ومنه تناسل الشعب اليهودى ، وتزوج من هاجر الجاريه المصرية ، فولدت اسماعيل ومنه تناسل العرب .

---

(1) ظهر هذا التعبير Zionism لاول مرة على يد الكاتب الالمانى ناتان برمبوم Nathan Birmbaum عام١٨٩٣ وقد اشتقه من لفظة صهيون القديمة وكانت هذه الكلمة تطلق على قلعة القدس ثم استعمل للدلالة على القدس ذاتها او المعبد أو جبل صهيون المقدس ثم انتهى بأن أطلق على الارض المقدسة كلها . انظر صوفى ابو طالب ، المجتمع العربى ، ١٩٧٠ ، صفحة ٢١٨ .

وأولئك يسمون العبرانيين أو العبريين نسبة الى كلمة عبرى ، ويسمون أحيانا بنى اسرائيل (نسبة الى اسرائيل وهو اسم يطلق على يعقوب بن اسحق بن ابراهيم) ، وأحيانا أخرى يطلق عليهم اليهود ، وهم عبارة عن مجموعة قبائل سامية هاجرت فى بداية الألف الثانى قبل الميلاد من جنوب وادى الفرات – حسب رواية التوراة واتجهوا صوب جنوب الشام وأقاموا بوادى كنعان حيث كان يقيم الكنعانيون والآراميون والعموريون . ولما حل القحط والجدب بالمنطقة التى حط فيها العبريون رحالهم اتجه بعضهم الى كنعان وأقاموا بها مسالمين بجانب من سبقهم اليها من الكنعانيين والآراميين والعموريين واتجه معظمهم الى مصر فهبطوا أرض جوش (محافظة الشرقية الحالية بمصر) وكان ذلك أثناء اغارة الهكسوس على مصر خلال القرن الثامن عشر قبل الميلاد . وأثناء اقامتهم بمصر وصل بعضهم الى أعلى مراكز الدولة مثل يوسف وموسى عليهما السلام فقد كان الأول وزيرا للمالية والثانى قائدا للجند .

وقد تعرض اليهود أثناء اقامتهم فى مصر للاضطهاد خصوصا فى عهد رمسيس الثانى ، وبسبب هذا الاضطهاد هاجروا من مصر فخرجوا منها على دفعتين : الأولى فى عهد رمسيس الثانى ١٢٥٠ ق.م أو ابنه على الأرجح والثانية بزعامة موسى عليه السلام فى عهد منفتاح الأول ١٢٢٥ ق.م. وظلوا يتجولون فى الصحراء التى تفصل بين مصر وفلسطين سنين عدة ، وفى طور سيناء نزلت

الوصايا العشر . واتجهوا الى كنعان (فلسطين) حيث ووجهوا بشعب قوى هم قبائل الفلسطين Philistines الذين نزحوا فى القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد الى الساحل الجنوبى لأرض كنعان[1] . ولم يتمكن العبريون من الانتصار على الفلسطين ونجحوا فقط بقيادة يوشع بن نون خليفة موسى على بنى اسرائيل من احتلال جزء صغير من فلسطين هو أريحا . وعاشوا بمعزل عن الشعوب الموجودة فيها كأقلية دينية فى خصومة وشقاق . ودفعتهم خصومتهم الشديدة للقبائل المجاورة لهم الى الاتحاد فى ظل شاؤول فكان أول ملك عليهم ، وخلفه فى حكم بنى اسرائيل الملك داوود الذى تمكن من اخضاع الشعوب فى مشرق الأردن وغربه لحكمه واقامة مملكة قديمة من اليهود وجعل من أورشليم عاصمة لها وقام ببناء أول هيكل لليهود على جبل الثريا فى أورشليم . وبعد وفاته عام ٩٧٠ ق.م. خلفه ابنه سليمان الذى وسع رقعة المملكة فشملت فلسطين وما جاورها . وقد تمكن خلال مدة حكمه من توفير الاستقرار لملكه ونشر السلام بين اليهود والعرب . وبعد وفاة سليمان عاد الشقاق بين اليهود فانقسموا الى أنباط الشمال وأنباط الجنوب ، وانقسمت مملكته الى مملكتين احداهما فى الشمال سميت مملكة اسرائيل (١) ،

---

(١) لفظة فلسطين هى النطق اليونانى لكلمة فلامشت الواردة فى التوراة وذلك اللفظ هو الاسم الذى تسمت به القبائل النازحة من بحر ايجه منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، ومنحوا اسمهم للساحل السورى الجنوبى . انظر المرجع السابق صفحة ٢٠٩

وعاصمتها السامرة ، والثانية فى الجنوب وسميت مملكة يهوذا وعاصمتها أورشليم (القدس) . وانتهت الحرب بين المملكتين بالقضاء على مملكة اسرائيل وانضواء أبنائها تحت لواء مملكة يهوذا .

وفى عام ٧٢٢ ق.م فتح سرجون الآشورى السامرة عاصمة مملكة اسرائيل واستولى على مملكة يهوذا ثم استولى عليها المصريون ومن بعدهم البابليون بعدما قام ملكهم بنوخذ نصر بهدم هيكل سليمان وأعمل فيهم القتل وأسر صفوة من تبقى منهم وحملهم معه الى بابل . وقد توالت الفتوحات على فلسطين الى أن سادها الرومان فى القرن الأول قبل الميلاد فامتد سلطانهم عليها وعلى ما جاورها من البقاع ، الآهلة بسكانها العرب من أيدوميين ودوريين وأنباط وعمونيين فى جنوبى وشرقى فلسطين وأسماها الرومان بالاقليم العربى (١) . وفى سنة ٧٠ ق.م اضطر الامبراطور تيتوس الى قمع ثورة اليهود فى القدس ودمر هيكلهم وأخضعهم الى سلطان روما فى مملكة أقام على رأسها أسرة الهيروديين من اليهود ، فحكمت قسما من فلسطين لحساب روما كما يتبين من الأحداث المذكورة فى سيرة السيد المسيح (الأناجيل الأربعة) . وفى عام ١٢٠ بعد الميلاد قام اليهود بثورتهم الأخيرة فى أورشليم فقضى الامبراطور هادريانوس عليهم قضاء مبرما ، وشردهم من فلسطين وحرم عليهم الاقامة فى المدينة وما جاورها وهدم أورشليم

(١) Provincia Arabia

وأقام على أنقاضها مدينة سميت ايليا كابيتولينا . واستمر سلطان روما قائما فى فلسطين الى أن ظهر الاسلام وامتد الى فلسطين فى القرن السابع الميلادى ، وتم فتحها والقضاء على سلطة الامبراطورية الرومانية [1] . واعتبر المؤرخون السريان — ومنهم ميخائيل السريانى الذى عاش وكتب فى القرن الثالث عشر بعد الميلاد أى بعد خمسة قرون من الفتح العربى — هذا الفتح تحريرا للطوائف المسيحية واليهودية التى عانت فى العهد البيزنطى من ضروب الاضطهاد الدينى التى ظلت آثاره مدونة فى كتب التاريخ المسيحى ، مما دفع هذه الطوائف الى الترحيب بالحكم العربى وقبول السيادة العربية على فلسطين فى وثائق معروفة ، وهو اعتراف تحول مع الزمن الى ولاء تقليدى أسوة بسائر سكان فلسطين . ويذهب الكتاب المحدثون أيضا الى وصف الفتح العربى لهذه البلاد بأنه طرد للمغتصبين الأجانب من فرس ورومان الذين حكموا البلاد زهاء ألف عام وتحرير السكان من حكمهم على أيدى أبناء عمومتهم سكان الجزيرة العربية [1] . وتعاقبت السنين ، وشملت مذابح الصليبيين أهل القدس على اختلاف مذاهبهم مسلمين ومسيحيين ويهود — حتى جاء الفتح العثمانى على يد السلطان سليم الأول الذى أقر بدوره عهد الذمة لجميع أهل الكتاب .

وخلال الحروب الصيلبية وبعدها عادت أوروبا الى اضطهاد

---

(١) انظر الكاتبة كتاب العلاقات الدولية العربية ، صفحة ١٢١ وما بعدها .
(٢) انظر صوفى ابو طالب ، المرجع السابق ، صفحة ١٢٢

اليهود وتحقيرهم وهو ما عرف بالشعور اللاسامى فى أوروبا ، فحرم عليهم امتلاك الأراضى وكثير من المهن الحرة ، ولم يسمح لهم الا بالتجارة الصغيرة واقراض النقود . فضلا عن حرمانهم من كل الحقوق السياسية وعدم السماح لهم بالاقامة فى بعض المدن . ومن أهم الأسباب فى اضطهاد اليهود فى أوروبا النظر اليهم باعتبارهم قتلة المسيح عليه السلام وسلوكهم فى المجتمع الأوروبى ـ المستند الى تعاليم ديانتهم ـ الذى يقضى باستغلال غير اليهود واساءة معاملتهم . ونتيجة لهذا الاضطهاد تحول كثير من اليهود الى المسيحية ، ومن بقوا على دينهم تجمعوا فى أحياء منعزلة فى المدن الأوروبية . وحياة العزلة هذه هى التى يسميها اليهود « جيتو » . وعندما اتخذ الكاردينال Ximenes وزير ملك أسبانيا ، فى أوائل القرن السابع عشر قراره الشهير باجلاء اليهود مع من بقى من المسلمين من أرض الاندلس ، لم يجد اليهود ملجأ آمنا سوى المغرب العربى والدولة العثمانية (١) . ووجدوا فى ظلها الحماية التى كانوا ينشدونها دون جدوى فى جميع دول أوربا على اختلاف مذاهبها وسياساتها .

ظهور الصهيونية :

ترتب على حياة العزلة الطويلة التى عاشها يهود أوربا بسبب الاضطهاد طيلة العصور الوسطى أن تكونت لهم شخصية مستقلة داخل الشعوب التى يعايشونها ، وظهر ذلك فى سكناهم فى أحياء

(١) العلاقات الدولية العربية ، للكاتبة ، ص ١٣٢ وما بعدها .

معينة خاصة بهم داخل المدن ، والتزيى بزى معين ، والتعامل مع غير اليهود بطريقة معينة ، بل ان اللغة الوطنية (لغة البلد التى يعيشون فيها) التى يتحدثون بها أخذت طابعا معينا نتيجة لاحلال بعض مفردات عبرية أو آرامية محل مفردات اللغة الوطنية .

وقد حرص اليهود رغم حياة العزلة على استمرار الاتصال ببعضهم فى سائر الدول ، وهكذا ظهرت لغة « البيدش » فى شرق أوروبا ، و « اللادينو » فى غرب أوروبا (١) . وظهر بين اليهود ما عرف بالمشكلة اليهودية أى امكان بقاء اليهود دون اضطهاد فى المجتمعات التى يعيشون فيها .

ولعل أول دعوة علنية لانشاء وطن قومى لليهود (٢) تمهيدا

---

(١) ومن المعروف فى علم اللغة ، أن اللغات الخاصة تنشأ من احتياج الجماعات المضطهدة الى استخدام لغة لا يعرفها مضطهدوها وليست أى من البيدش واللادينو تعبيرا عن حفاظ على لغة قومية . فالاولى وهى لغة الاشكيناز ، عبارة عن لغة المانية قديمة مختلطة بكلمات عبرية وتكتب بالحروف العبرية ، وقد استكملت هذه اللغة مقوماتها خلال القرنين ١٣ و ١٤ . أما الثانية وهى السفارديم فقد ظهرت فى غرب أوروبا وخاصة فى اسبانيا منذ القرن ١٥ وهى لهجة قستلية دخلتها بعض الفاظ عبرية وعربية وتركية وتكتب بحروف عبرية . وقد انتشرت هذه اللغة بين يهود اسبانيا ، وبعد طردهم منها حملوها معهم حيث انتشروا فى شمال افريقيا ومصر وفلسطين والشرق عامة وجنوب أوروبا . انظر صوفى ابو طالب ، المرجع السابق ، صفحة ٢١٦ .

(٢) أنظر للكاتبة ، العلاقات الدولية العربية ، ١٩٧٠ صفحة ١٣١ وما بعدها ، وبحث مشروعية المقاومة المسلحة ، ١٩٧٠ ، صفحة ١ وما بعدها . انظر ايضا قضية فلسطين أمام القانون الدولى للدكتور طلعت الغنيمى ، ١٩٦١ ، ص ٢٠٠ وما بعدها ، والسياسة العربية فى مقاومة الصهيونية واسرائيل ، للدكتور سيد نوفل ، ١٩٦٣ ، ووثائق مؤتمر القانونيين العرب الذى دعا اليه وزير العدل الجزائرى فى يوليو ١٩٦٧ ، وأيضا الشرق الاوسط ومشكلة فلسطين ، للدكتور احمد سويلم العمرى ، صفحة ١٨٥ .

لانشاء امبراطورية عالمية واسعة الأرجاء ، كانت تلك التى أفصح عنها السير هنرى فنش فى كتابه الذى نشر سنة ١٦١٦ بانجلترا تحت عنوان « نداء اليهود » . ولم تتردد أصداء هـذه الدعوة الا بعد أن مر قرنان ، عندما انتهز كتاب اليهود دعوة الحرية التى نادت بها الثورة الامريكية وأكدتها الثورة الفرنسية ، فراحوا يزكون دعوتهم بما نال اليهود من اضطهاد على أيدى الـدول الأوروبية زاعمين أن مشكلة اليهود ترجع الى انعدام الوطـن الجغرافى لهم وأن حلها لن يتأتى الا بخلق وطن يلجأون اليـه ويطمئنون فيه (١) . ومنذ القرن الماضى ظهر تياران متعارضان لحل المشكلة اليهودية ، يدعو أولهما وعلى رأسه موسى مندلسون (١٧٢٩ ــ ١٧٨٦) الى رسالة ثقافية وينادى باندماج اليهود فى

---

(١) ان البلاد التى تقترح احتلالها سوف تضم مصر السفلى بالاضافة الى منطقة تمتد حدودها على خط يسير من عكا الى البحر الميت ، ومن الطرف الجنوبى للبحر الميت الى البحر الاحمر . « ان هذا الموقع المتفوق على ما عداه ، والمتميز عن سائر المواقع فى العالم سوف تجعل منا حين نمخر عباب البحر الاحمر اسياد تجارة الهند والجزيرة العربية وجنوب افريقيا ومشرقيها والحبشة واليوبيا ... ان قرب حلب ودمشق سوف يسهل تجارتنا مع بلاد فارس ، ومن طريق البحر الابيض المتوسط نستطيع اقامة الاتصالات مع فرنسا واسبانيا وايطاليا وسائر انحاء القارة الاوروبية . ان بلادنا الواقعة .. فى مركز الوسط فى العالم سوف تصبح مركزا تجاريا لتوزيع السلع من كل المنتجات الفنية والثمينة على سطح الكرة الارضية . » رسالة يهودى ايطالى الى الاخوان فى الدين سـنة ١٧٩٨ ، انظر
Albert Hyawsan : "Palestine. The Rebirth of an ancient people," London, 1916.

ذكرت فى ملف وثائق فلسطين الذى اصدرته الهيئة العامة للاستعلامات فى الجزء الاول من عام ٦٣٧ الى عام ١٩٤٩ ، صفحة (٣٧) .

سائر طبقات المجتمع التى يعيشون فيها . أما التيار الثانى ، وعلى رأسه تيودور هرتزل (١٨٦٠–١٩٠٤) فيدعو الى رسالة سياسية ، وهى الصهيونية .

وارتبط التوسع الصهيونى فى فلسطين ببداية تنافس الدول الأوروبية على بناء الامبراطوريات ، ففى الوقت الذى هرع فيه المستعمرون والباحثون عن الثروة وبنـاء الامبراطوريات الى افريقيـا فى أواخر القرن التاسع عشر بدأ تدفق الصـهيونيين والمستعمرين الى فلسطين . واعتقد اليهود تحت تأثير فـكرة القوميات التى سادت الفكر السياسى فى أوروبا وقتها ، أن الروابط الدينية والعنصرية المدعاة تصلح أساسا قانونيا de Jure لقومية يهودية تمنح الأمة اليهودية حقوقا قومية معينة منها حق التجمع على اقليم معين وتكوين دولة يهودية على هذا الاقليم .

واستغلت الحركة الصهيونية الأمانى الروحية اليهودية فى العودة الى أرض الأجداد والاتجاهات السياسية التى سادت فى أواخر القـرن ١٩ التى أباحت الاستيلاء على البلاد الافريقيـة والآسيوية فقامت بالمناداة باعتبار فلسطين وطنا لليهود يهاجر اليه كل يهود العالم . واتخذت الصهيونية من التهجير المنظم وسـيلة فى خلق وتجميع أمة جديدة وقامت بدعوة يهود شرق أوروبا الى الهجرة الى فلسطين فى ظل نظام الامتيازات الأجنبية . غير أن الهجرة

فى البداية كانت محدودة للغاية ، ولم يتحمس يهود أوروبا لهـا وفضلوا الهجـرة الى الولايات المتحدة والارجنتين واستراليـا ونيوزيلاندة ، عن عزلة عنصرية فى فلسطين .

ودفع هذا الفشل اليهود الى اعادة دراسة خططهم وقام هرتزل بتحويل الحركة الصهيونية من حركة فكرية الى حركة سياسـية فى أعقاب قضية دريفوس [1] . ونجح هرتزل فى أن يصور فى هذه المأساة الخاصة المأساة العامة التى يكابدها اليهود ، ودعى فى كتابه « الدولة اليهودية » الذى نشر عام ١٨٩٦ الى عقد اجتماع يهودى لوضع سياسة صهيونية منظمة قائلا : « ان قيادة شئون اليهود يجب ألا تلقى على عاتق الأفراد مهما كانت نواياهم طيبة ، ويجب انشاء حلقة Forum يجتمع فى صعيدها اليهود تبحث فيهـا الطائفة ما يجب أن يعمله كل فرد لصالحها وكذلك ما لم يستطع تحقيقه » . كما صرح عام ١٨٩٧ أن هدف الصهيونية هو العمـل على انشاء وطن يهودى له وضعه الخاص فى فلسطين .

واجتمع المؤتمر الصهيونى الأول فى ٢٩ أغسطس سـنة

---

(١) وهو الضابط اليهودى الفرنسى الذى اتهم بالخيـانة عام ١٨٩٤ لنقله اسرارا عسكرية الى الالمان ، وحوكم بقسوة امام المجلس العسكرى ، وجرد من رتبته فى رحبة المدرسة العسكرية فى باريس . وشاءت الظروف أن تثبت براءة دريفوس بعد ادانته .

١٩٨٧ [1] فى مدينة بال بسويسرا ، وانتهى المؤتمر الى أن أمانى الصهيونية هى انشاء وطن للشعب اليهودى يعترف به من الناحيتين الرسمية والقانونية ويصبح فيه الشعب بأسره فى مأمن من الاضطهاد على أن يكون هذا الوطن هو فلسطين . وقرر المؤتمر تحقيقا لهذا الغرض ما يأتى :

(أ) اتباع الوسائل العلمية الفعالة لانشاء مستعمرات زراعية وعمرانية تأوى عمال الزراعة والصناعة من اليهود .

(ب) تنظيم جماعات اليهود بواسطة المنشآت المحلية والدولية الملائمة لهذا الغرض والتى تتمشى مع قوانين البلاد التى يعيش اليهود فى كنفها .

(جـ) تقوية الروح القومية اليهودية وشعور اليهود بشخصيتهم واشعال الحماس فى صدورهم .

(د) الاقدام على خطوات جـــدية للاستفادة من تنافس الدول ومساعدتها فى تحقيق أهداف الصهيونية التى تحددت فى

---

(١) ارسل هرتزل الدعوات الى الجاليات اليهودية فى اجزاء العالم المختلفة لارسال مندوبين عنها لحضور المؤتمر ودام المؤتمر ثلاثة أيام وشهده أكثر من مائتى مندوب يمثلون سائر الهيئات اليهودية العالمية . ولخص هرتزل اهداف المؤتمر فى كلمته الافتتاحية التى قال فيها :

"Nous sommes là pour Jeter les fondations de la maison où le peuple juif ira s'ètablir".

انظر :

Le Zionisme et les Droits Fundamentaux de l'homme, Ligue des Etats Arabes, 1968, P. 4.

ضرورة الحصول على حق شرعى يعترف به فى المجـال الدولى لاستعمار فلسطين .

وقد أفادت الحركة الصهيونية من التجربة التى طبقتها الدول الاستعمارية فى ذلك الحين ، وتتمثل فى انشاء شركات وهيئات تتولى مهمـة توطين المستعمرين تحت ستار التجـارة وتحميها الدول المستعمرة من وراء ستار وتقيم هيئات رسمية تشرف على الاقاليم التابعة وتتابع تنفيذ هذه الوظائف ، أفاد مؤتمر بال من هـذه التجربة فقرر انشاء هيئة تشرف على تنفيذ مخططات الصهيونية فى فلسطين ، فكان انشاء الهيئة الصهيونية العالمية (1) ـ وهى المركز التنظيمى والمالى الرئيسى للصهيونية ـ وتسيطر على نشاط المنظمات الصهيونية وتنظمها وتوجهها فى الدول المختلفة . وانبثق عن هذه المنظمة :

---

(1) ورد فى كتاب الدولة اليهودية لهرتزل ما يلى : « أن اقامة دولة جديدة ليس بالشىء المستحيل . وستكلف وكالتان متخصصتان القيام بهذا العمل هما « جمعية اليهود » والشركة اليهودية وستخول الجمعية السلطات للتفاوض مع الحكومات بكونها ممثلة للشعب اليهودى وسيكون هدفها خلق الدولة اليهودية .. اما الشركة فهى لتمويل هذه العمليات . وتساءل : هل ستكون الدولة فى فلسطين ام فى الارجنتين ، وقال أن الجمعية هى التى ستحدد .. واذا ما وافق السلطان على اعطائها فلسطين فاننا فى مقابل ذلك سنتعهد بتنظيم الاحوال المالية لتركيا . وسنعمل على ان نظل مرتبطين بكل أوروبا التى ستضمن بقاءنا . وستقوم الشركة اليهودية بتنظيم الشئون التجارية والمالية للدولة الجديدة .. اما من حيث تمويل هـذه الشركة فتقوم البنوك اليهودية الكبيرة والصغيرة به . وكذلك سيقوم الرأسماليون اليهود بذلك على صعيد مالى وليس على صعيد انسانى . أى أن هذه الاموال لن تكون هبات منهم بل ستكون للاستثمار » . ملف وثائق فلسطين ، الجزء الاول ، صفحة ٨٣ . كما ورد فى رسالة لهرتزل الى دوق بادن الكبير فى ١٨٩٨/١١/٩ : « ان تأسيس شركة للاراضى على نمط « الشركة القانونية » أو شركة الهند الشرقية كان يبدو أنه الشىء الذى يمكن الحصول عليه بدون اثارة أى شعور بالاستياء عنـد سائر القوى » نفس المرجع ، صفحة ١٢٣ .

(أ) المؤتمر اليهودى العالمى — وهو الهيئة التشريعية العليا فى المنظمة الصهيونية .

(ب) هيئات تنفيذية : وهى لجنة الأعمال والوكالة اليهودية ، وهذه الأخيرة هى الهيئة التنفيذية الرئيسية وتتكون من فرعين أحدهما فى نيويورك والآخر فى مدينة القدس .

(جـ) هيئات مالية : وهى :

١ — البنك الصهيونى (صندوق الائتمان اليهودى للاستعمار) بدأ هرتزل فى اقامته منذ منتصف نوفمبر ١٨٩٧ ولم يعلن عن بدء أعمال البنك جديا حتى انعقد المؤتمر الصهيونى الخامس فى ٢٦ ديسمبر ١٩٠١ . هذا وقد أنشىء بنك فرعى له فى يافا (فلسطين) برأسمال قدره ٥٠ ألف دينار ، وعرف فيما بعد باسم البنك البريطانى الفلسطينى (بنك انجلو فلسطين ليمتد) .

٢ — والصندوق القومى اليهودى ويهدف « للحصول على أراضى فى فلسطين تكون ملكا للشعب اليهودى ولا يمكن التفريط فيها ، وان يكون الصندوق قائما كليا على تبرعات طوعية من اليهود فى جميع أنحاء العالم » وقد تبنى انشاءه المؤتمر الصهيونى الخامس أيضا .

٣ ● الصندوق التأسيسى لفلسطين وأنشىء عام ١٩٢١ بهدف المساهمة فى كل ماله علاقة بوعـد بلفور ويوجه نداءات من أجل اكتتابات فيه أو قروض ، أو هبات ، أو منح ، أو غيرها من الهبات سواء على شكل أموال أو خلافه (١) .

(د) وتعاون المنظمة الصهيونية الدولية مؤسسات للطـوائف ومؤسسات يهودية تجتمع فى المؤتمر اليهودى العالمى .

(هـ) منظمة عسكرية كان اليهود قد طالبوا بانشائها منذ عام ١٨٦٢ (٢) .

---

(١) انظر المنظمة الصهيونية العالمية ، تنظيمها واعمالها ، مركز الدراسات الفلسطينية ، صفحة ٤١ وما بعدها .

(٢) سمحت سلطة الانتداب (وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطانى فى أعقاب الحرب العالمية الاولى) للوكالة اليهودية بانشاء قوة بوليس خاصة . وفى سنة ١٩٣٧ لاحظت لجنـة التحقيق الملكيـة أن « فى استطاعة اليـهود أن يجندوا فى ساحة القتال عشرة آلاف مقاتل مدربين ومجهزين يساندهم احتياطى من اربعين ألف » . وفى سـنة ١٩٤٦ ، اثبتت لجنـة التحقيق الانجلو امريكية أن « الوكالة اليهودية قررت خدمة اجبارية وطنية لمدة سنة » . وقد بدأت بعد عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ ، محاولات لوضع نظام ثابت للحركة الصهيونية كلها . وشكلت لجنة تابعة للمنظمة الصهيونية العالمية لاعادة تنظيم الحركة . وقامت اللجنة بوضع بعض التوصيات اهمها :

(أ) ضرورة وجود منظمة صهيونية قومية واحدة فى كل دولة توجد بها مجموعات صهيونية محددة .

(ب) السماح للافراد بالانضمام الى المنظمات الصهيونية دون ان يشترط تبعيتهم الى جماعة صهيونية محددة .

(جـ) اى جماعة يهودية تؤيد البرنامج الصـهيونى تستطيع الانضمام الى المنظمة الصيونية .

أنظر تفصيلات ذلك فى كتـاب العلاقات الدولية العربية ، ١٩٧٠ ، للكاتبة ، صفحة ٢٢٥ وما بعدها .

وتحاشى اليهود في مؤتمر بال وكذلك فى المؤتمرات اللاحقة حتى عام ١٩٤٢ استعمال تعبير الدولة اليهودية مفضلين عليهـا كلمة وطن منعـا لاثارة حساسيات الدول الأوروبية والشعور العربى وان مهدوا سرا لتحقيق هذا الهدف (١) .

وسعت الصهيونية سعيا متصلا للحصول على تأييد الساسة للقضـية اليهودية ، فبذلت جهدا يائسا مع الحكومـة التركية بوصفها صاحبة السلطة الشرعية على فلسطين لتسمح بالهجرة اليهودية اليها ومنح اليهود استقلالا ذاتيا فيها . غير أن السلطات العثمانية لم تقبل فكرة استيطان جماعة غريبة تسعى لاقامة دولة مسـتقلة على جزء من اقليمها (٢) . وتقدم سـكرتير وزارة

---

(١) « اذا ما أردت تلخيص معنى مؤتمر بال ، وهذا ما لن أفعله علنا ، فانني اقول : فى بال اقمت الدولة اليهودية . واذا ما قلت هذا القول ، اليوم ، بصوت عال ، فسأقابل بسخرية العالم . ولكن من المحتمل بعد خمسة أعوام وبالتأكيد بعد لخمسين عاما ، سيرى الدولة كل العالم . »

ذكرها فائز صائغ فى :

Le Colonialisme Sioniste en Palestine, Centre de Recherches, L'organisation de Libération Palestinenne, P. 3.

(٢) ذكر هرتزل فى يومياته ما نقله نيولفسكى اليه حول رأى السلطان عبد الحميد فى بيع فلسطين لليهود فى ١٨٩٦/٦/١٩ : « قال السلطان لى : اذا كان هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقى فانصحه أن لا يسير أبدا فى هذا الامر . لا أقدر أن أبيع ولو قدما واحدا من البلاد ، لانها ليست لى بل لشعبى . لقد حصل شعبى على هذه الامبراطورية باراقة دمائهم وقد غذوها فيما بعد بدمائهم وسوف نغطيها بدمائنا قبل أن نسمح لاحد باغتصابها منا ... الامبراطورية التركية ليست لى وانما للشعب العثمانى : لا أستطيع أبدا أن أعطى أحدا أى جزء منها . ليحتفظ اليهود بملايينهم ، فاذا قسمت الامبراطورية فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل . انما لن تقسم الا جثثنا ولن أقبل بتشريحنا لاى غرض كان » .

يوميات هرتزل ـ اعداد أنيس صايغ ـ سلسلة كتب فلسطينيه . ورد ذكرها فى كتاب ملف وثائق فلسطين السابق الاشارة اليه ، صفحة ٨٥ .

المستعمرات البريطانية وقتها « جوزيف تشمبرلين » بغرض أراد به ارضاء الصهيونية واجتذابها لصف بريطانيا لتصبح فى المستقبل سلاحا مسلطا على أمانى الشعوب العربية فى الشرق الاوسط ولتهديدها فى عقر دارها .

ويتلخص هذا الرأى الذى عرض على هرتزل [1] عام ١٩٠٣ فى اعطاء اليهود منطقة من مستعمرة أوغندا مع امتياز استعمارها. وهى منطقة توائم الحياة الغربية نظرا لارتفاعها واعتدال مناخها وغناها . غير أن هرتزل رفض قائلا ان « أفريقيا ليست فلسطين ولا يمكن بحال أن تحل محل صهيون » . ورفض المؤتمر الصهيونى

---

(١) ومن المعلوم ان الصهيونية لم تقصر طلباتها على فلسطين على وجه الخصوص ، فقد سبق لها ان اجرت اتصالات مع انجلترا للاستيلاء على قبرص او سيناء او فى اقاليم افريقيا او فى أمريكا اللاتينية (الارجنتين) ولم تتحدد مطالبها بفلسطين الا بعد أن انتصرت المجموعة التى طالبت بفلسطين فى المؤتمر الصهيونى المنعقد عام ١٩٠٤ . فقد ورد فى كتاب Auto Emancipation الذى كتبه Leo Pinsker مايلى : «يجب ان نجد وطنا لهذا الشعب حتى يكف عن التجوال فى العالم وحتى نعيد اقامة الامة اليهودية . ولكننا قبل كل شىء يجب الا نحلم باستعادة ارض يهوذا (اليهودية) القديمة . اننا يجب الا نربط انفسنا بالمكان القديم الذى تحطمت فيه حياتنا السياسية وتوقفت . ان هدفنا فى الوقت الحاضر يجب الا يكون استعادة الارض المقدسة . انما نطالب بأرض لنا .. اية أرض .. اننا لا نريد سوى قطعة من الارض ذات اتساع يستطيع ان يأوى اخواننا البؤساء ، قطعة من الارض تظل ملكا لنا ولا يستطيع احد أن يطردنا منها » . ملف وثائق فلسطين ، صفحة ٦١ .

كما سبق لهرتزل ان اقترح على تشمبرلن توطن اليهود فى سيناء فى رسالة له بتاريخ ١٩٠٢/٧/١٢ ورد فيها : « .. الرجا ان تجد طيه ملخصا عاما لمخطط لتسكين اليهود المشردين فى شبه جزيرة سيناء وفى فلسطين المصرية وفى قبرص . وعندى الى جانب الناحية الانسانية غاية سياسية أيضا .. ان توطين اليهود شرق البحر الابيض المتوسط سيقوى امكان الحصول على فلسطين . وسيكون يهود الشركة الشرقية فى المستعمرة الانجليزية صهيونيين مخلصين تماما كيهود هيرش المستعمرين فى الارجنتين » . ملف وثائق فلسطين ص ١٤١ .

السابع الذى عقد سنة ١٩٠٥ هذا العرض فسحبته بريطانيا نهائيا .

واتقسم دعاة الصهيونية بعد وفاة هرتزل الى فريقين : فريق يتمسك بمبادىء هرتزل فى المحافظة على الصفة السياسية للحركة ومواصلة السعى بالطرق السياسية والدبلوماسية لاقامة الوطن الصهيونى فى فلسطين ، وفريق عملى نادى بعدم التقيد بهذه الوسائل ودخول فلسطين واستعمارها بشتى الوسائل العلمية والفعلية دون تعليق ذلك على موافقة السلطان أو الحصول منه على ضمانات قانونية مسبقة . وبدأت الصهيونية — وبعد أن فشلت فى صبغ استعمارها بالصبغة القانونية — تعمل على استعمار فلسطين استعمارا فعليا de Facto وتكوين قوة بشرية تستخدمها فى الوقت المناسب للحصول على الاعتراف السياسى . وساعدها على ذلك تزايد هجرة اليهود من أوروبا الشرقية والبلقان ووصولهم بأعداد كبيرة الى أوروبا الغربية والولايات المتحدة الأمريكية . واستطاعت الحركة الصهيونية بفضل ما أنشأته من منظمات مختلفة انتشرت فى مختلف الأوساط وتأثيرها على التيارات الفكرية فى الدول العربية أن تثير الاهتمام بفكرة انشاء وطن قومى يهودى وأن تسير تدريجيا فى طريق استعمار فلسطين متبعة فى ذلك كافة الوسائل السياسية والعملية . وترددت الدول الأوروبية فى ابداء تأييدها الصريح لانشاء وطن قومى يهودى فى فلسطين ، واستمر ذلك التردد حتى الحرب العالمية الأولى ، وذلك

بسبب ما كانت تشعر به من قلق بشأن رد الفعل العربى وبسبب ما يوجد بينها من منافسات حول ممارسة نفوذها فى فلسطين وحول حماية الأماكن المقدسة .

وعد بلفور :

وعندما بدأت نذر الحرب العالمية الأولى ، واتفقت الدول الكبرى على اقتسام أملاك السلطان العثمانى ، وجدت الصهيونية فرصتها فى الوصول الى أرض الميعاد . فلما دخلت تركيا الحرب الى جانب الحلفاء عمل حاييم وايزمان على توثيق علاقاته بكبار الساسة الانجليز ، ووعدهم ببذل الجهد لوضع فلسطين تحت الحماية البريطانية اذا أيدتهم بريطانيا فى تحقيق أمانيهم فى الوطن القومى ، فاطمأن لويد جورج الى قبول الصهيونيون الحماية البريطانية على فلسطين وآمن بأن انشاء دولة يهودية فى فلسطين معناه ايجاد دولة موالية لبريطانيا [1] بجوار قناة السويس ، وأن اليهود « وحدهم يستطيعون بناء مملكة جديدة على البحر الأبيض المتوسط ترتبط بهذه البلاد (انجلترا) منذ البداية فى العمل الامبريالى ، وتكون فى آن واحد : وقاية ضد الشرق

---

(1) ورد فى التوصيات التى قدمها مؤتمر لندن الاستعمارى عام ١٩٠٧ لرئيس الوزراء البريطانى كامبل بنرمان التوصية التالية :

« ان اقامة حاجز بشرى وغريب على الجسر البرى الذى يربط أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معا بالبحر الابيض المتوسط بحيث يشكل فى هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة عدوة لشعب المنطقة ، وصديقة للدول الاوربية ومصالحها هو التنفيذ العملى للوسائل والسبل المقترحة » .

ملف وثائق فلسطين ، الجزء الاول ص ٥٠٢ .

الغريب ووسيطا بينه وبيننا ، ومدنية تتميز عن مدنيتنا ولكنها متشربة بأفكارنا السياسية تقف فى المرحلة نفسها من التطور السياسى ، وتدشن حياتها الثانية كأمة تكن الوفاء وعرفان الجميل لهذه البلاد باعتبارها الأم الثانية لها » (١) ونجح وايزمان (٢) ، بمساعدة صديقه بلفور الذى أصبح وزيرا للخارجية ، فى الحصول من الحكومة البريطانية على وعد يحقق التحالف بين بريطانيا والصهيونية ضد حركة القومية العربية فصدر عن وزارة الخارجية البريطانية ، بعد أن سبق وضمنت انجلترا السيادة والاستقلال العربى على الأراضى العربية فى مراسلات حسين ــ مكماهون ، كتابا بتوقيع بلفور ورد فيه : « ان بريطانيا تعد بالنظر بعين العطف والرعاية الى أمل الصهيونية فى انشاء وطن قــومى لليهود فى فلسطين ، وأن بريطانيا ستستخدم كل ما فى وسعها لتحقيق هذا

---

(١) وبذلك نقلت بريطانيا الى فلسطين الحل الهندى ، وهو اقامة نظام الدولة الفاصلة أو الحائلة Buffer State والذى اقيمت بمقتضاه افغانستان على الحدود الهندية « فلا بد من اسكان شعب فى الرقعة الجديدة يتمتع بالمرحلة نفسها من التطور السياسى الذى بلغنــاه .. » أنظر « عرض كتــاب بريطــانيا العظمى وفلسطين » لهربرت سايد بوثام ، سنة ١٩٣٧ . ورد ذكره فى ملف وثائق فلسطين ، الجزء الاول ، صفحة ٦٣٣ .

(٢) حينما اصبح معروفا ان وايزمان يقوم باتصالات مع الحكومة البريطانية قام مونتفيور رئيس الجمعية البريطانية والكسندر رئيس مجلس ممثلى اليهود البريطانيين بالاحتجاج على هذا الامر وبمعارضة الافكار الصهيونية علنا على اساس انها لا تتفق مع مبادىء الدين اليهودى ، وعلى اساس انها تقيم قومية يهودية غير موجودة مما يضعف من مركز اليهود الذين اندمجوا فى المجتمعات الاوربية . كما قامت اللجنة الامريكية التى كان يراسها فى ذلك الوقت شيف ومارشال وسولزبرجر بمعارضة الحركة الصهيونية على أسس مشابهة ، كما عارضها الاليانس الفرنسى اليهودى ، انظر للكاتبة العلاقات الدولية العربية ، ١٩٧٠ صفحة ١٤٠ وما بعدها وبحث مشروعية المقاومة الفلسطينية صفحة ٦ وما بعدها .

الأمل ، على ألا ينتج عن ذلك أى أضرار أو تعريض للحقوق المدنية والدينية للهيئات غير اليهودية الموجودة فى فلسطين ، أو أن يؤثر ذلك على الحقوق أو الأوضاع السياسية لليهـود فى البلاد الأخرى » .

ويتضمن هذا الوعد ثلاثة أقسام :

القسم الأول :

ويشمل الوعد نفسه « أن بريطانيا تعد بالنظر بعين العطف والرعاية الى أمل الصهيونية فى انشاء وطن قـومى لليهود فى فلسطين وأن بريطانيا ستستخدم كل ما فى وسعها لتحقيق هذا الأمل » ، ويلاحظ أن هذا القسم يشير الى وطن قومى فى فلسطين ولم يصرح بتاتا بتحويل فلسطين الى وطن قومى وبشرط مراعاة التحفظات الواردة فى القسمين التاليين .

القسم الثانى :

على ألا ينتج عن ذلك أى أضرار أو تعريض للحقوق المدنية والدينية للهيئات غير اليهودية الموجودة بفلسطين .. » والمقصود هنا بالهيئات غير اليهودية عرب فلسطين المسيحيين منهم والمسلمين، وقد ورد ذكرهم بطريقة تحمل على الظن أنهم لا يكونون الأغلبية وواقع الأمر أن العرب الذين لم ترد الاشارة اليهم بصريح العبارة كانوا يكونون ٩٢ ٪ من عدد سكان فلسطين .

القسم الثالث :

« أو ان يؤثر ذلك على الحقوق والأوضاع السياسية لليهود

فى البلاد الأخرى » وواضح أن هذا النص من شأنه تأكيد الروابط القانونية والسياسية التى تربط بين اليهود وبين الدول التى يقيمون فيها ، ويعطى للدول الأوروبية حرية السماح لمواطنيها من اليهود بالهجرة الى فلسطين ، ويبطل دعوى الصهيونية فى الولاء المزدوج اذ يبقى ليهود الدول الاخرى الحق فى رفض فكرة النقاوة العنصرية وحرية الاندماج فى المجتمعات التى يكونون جزءا منها (١) .

وتضمن الوعد بهذه الصورة مجموعة متعارضة من الالتزامات يصعب التوفيق بينها خصوصا فى ضوء التفسير الصهيونى الذى يدعى أن المقصود بالوطن القومى كل فلسطين (٢) .

---

(١) ورد فى خطاب هرتزل فى المؤتمر الصهيونى الاول المنعقد فى بال فى ١٢٩ اغسطس ١٨٩٧ ما يلى :

« أن الصهيونية ببساطة هى حركة صانعة للسلام . وهى تعانى نفس خط حركات السلام فى كونها مضطرة الى أن تحارب أكثر من اى حركة اخرى .. ولن نتكلم أبدا عن موضوع خروج اليهود جميعا . فان هؤلاء القادرين او الراغبين فى الاندماج سوف يتركون حيث يمتصون . عندما يتم التوصل الى اتفاق مرض مع الوحدات السياسية المختلفة المشتركة وتبدأ هجرة يهودية منظمة فانها سوف لن تستمر فى اى بلد أطول مما يرغب هذا البلد فى التخلص من اليهود » .

ملف وثائق فلسطين ، الجزء الثانى ، صفحة ١٣ .

(٢) أصدر تشرشل وزير المستعمرات البريطانى فى أول يوليو ١٩٢٢ تصريحا حدد فيه معنى الوعد قال فيه :

"Unauthorised statements have been made to the effect that the purpose in view is to create a wholly jewish Palestine. Phrases have been used such as that Palestine is to become "as Jewish as England is English." His Majesty's Government regard any such expectation as impracticable and have no such aim in view... The terms of the Declaration referred to do not contemplate that Palestine as a whole, should be converted into a jewish National Home but that such a home should be founded in Palestine."

وأذيع وعد بلفور بعد بضعة أيام من صدوره كما افتضحت اتفاقية سايكس بيكو . وحدث رد فعل لهذا الوعد دفع الحليفتين بريطانيا وفرنسا الى نشر بيان مشترك فى ٧ فبراير سنة ١٩١٨ ورد فيه : « ولا رغبة لهما فى أن تفرضا على أهالى هذه البلاد أى نظام معين وانما تريدان بتأييدها وبالمساعدة الكافية ، أن تكفلا حسن سير الحكومات والادارات التى يختارها الأهالى اختيارا حرا . والسياسة التى تؤيدها الحكـومات المتحالفة فى البلاد المحررة هى ضمان المساواة والعدل النزيه للجميع ، وتيسير التقدم الاقتصادى للبلاد وتشجيع النشاط المحلى ونشر التعليم والقضاء على الخلافات والمنازعات » .

وزادت الهجرة اليهودية وشهد عام ١٩١٩ معارك سياسية عنيفة يائسة خاضها العرب فى سبيل فلسطين . ففى يناير من تلك السنة ، انعقد مؤتمر الصلح فى فرساى بفرنسا ، وطالب العرب فيه باستقلال البلاد العربية ووحدتها فى دولة عربية مستقلة تضم فلسطين . ودعم العرب طلبهم بالحقوق الطبيعية المشروعة التى يتمتع العرب بها فى فلسطين ، فضـلا عن العهود والتأكيدات الصادرة عن بريطانيا والحلفاء ، وان العرب كانوا عنصرا فعالا فى كسب الحرب . كما قدم وفـد المنظمة الصهيونية الى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح بباريس فى ٨ فبراير سنة ١٩١٩ مـذكرة تضمنت طلباتها وتتلخص فيما يلى :

١ — الاعتراف بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين والاعتراف بحق اليهود فى اعادة تكوين وطن قومى لهم بها .

٢ — اقامة حدود معينة لفلسطين على أن تضم الجزء الجنوبى من لبنان وجبل هرمون والعقبة والاردن .

٣ — وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى (١) .

٤ — الاعتراف بوعد بلفور والعمل على تحقيقه .

٥ — تسهيل الاستعمار اليهودى لفلسطين .

٦ — اقامة مجلس تمثيلى ليهود فلسطين ويهود العالم للمساعدة فى اقامة الوطن القومى لهم فى فلسطين .

وفى ١٩١٩/٦/١٨ تم التوقيع على ميثاق عصبة الأمم فى فرساى ، وبه أقيم نظام جديد هو نظام الانتداب قصد به أن يطبق على بعض الاقاليم — ومنها فلسطين — بوصفها من الاقاليم التى كانت تابعة للامبراطورية العثمانية .

الانتداب البريطانى على فلسطين :

لم يعمل المؤتمرون فى فرساى على ايجاد حلّ عام موحد

---

(١) تضمنت المذكرة الاسباب التى دفعتها الى اختيار بريطانيا كدولة منتدبة وعددت مآثر بريطانيا على اليهود والصهيونية والعروض المختلفة التى قدمتها بريطانيا للصهيونية لانشاء الوطن القومى :

(أ) العريش عام ١٩٠١

(ب) شرق افريقيا عام ١٩٠٣

(ج) واخيرا وعد بلفور عام ١٩١٧

للمزيد من التفصيلات ارجع الى ملف وثائق فلسطين ، الجزء الثانى ، صفحة ٧٩ وما بعدها .

للمشكلة الاستعمارية ، واقتصر عملهم فعلا على بحث مشكلة سياسية معينة هى تحديد مصير الاقاليم والمستعمرات التى كانت تابعة لألمانيا وتركيا والتى تقرر سلخها منها . وقـد انتهى بحث الحلفاء الى اخضاع ادارة هذه الأقاليم والمستعمرات الى نظام دولى جديد تضمنه نص المادة ٢٢ من عهد عصبة الأمم ، وهو نظام جاء فى الواقع نتيجة للرغبة فى التوفيق بين أعمال قواعد القانون الدولى التقليدى فى هذا الشأن والتى تقضى بضم هذه الاقاليم الى ممتلكات الدولة المنتصرة نتيجة لحق الفتح ، وبين مبادىء الحرية والمساواة والعدالة وحق تقرير المصير التى نادى بها ولسون وطالب بتطبيقها على أساس مبدأ عدم مشروعية ضم الاقاليم التى تم الاستيلاء عليها بالقوة . وتتضمن هـذه المادة ما يلى :

(أ) تطبق المبادىء التالية على المستعمرات والاقاليم التى لم تعد بعد الحرب تحت سيادة الدول التى كانت تحكمها من قبل والتى كانت تسكنها شعوب غير قادرة بعد على أن توجه نفسها بنفسها ، لا سيما فى ظروف مدنية العـالم الحديث القاسية .. ان رفاهية وتقدم هذه الشعوب يعتبر أمانة مقدسة فى عنق المدنية وأنه من المتعين أن يحوى العهد الحالى ضمانات لأداء هذه المهمة .

(ب) ان الطريقة الفضلى لتحقيق هذا المبدأ هو أن يعهد بالوصاية على هذه الشعوب الى أمم راقية .. تمارس تلك الوصاية بصفتها منتدبة وباسم العصبة .

(جـ) أن بعض الجماعات التى كانت تتبع الدولة العثمانية فيما مضى قد بلغت درجة من الرقى والتقدم يستطاع معها الاعتراف بها أمما مستقلة بشرط أن تسدى الدولة صاحبة الانتداب النصح والمعونة حتى يأتى الوقت الذى تستطيع فيه أن تعتمد على نفسها ... ويجب أن تؤخذ رغبات هذه الجماعات بعين الاعتبار عند اختيار الدولة صاحبة الانتداب .

ويختلف وضع الاقليم الخاضع للانتداب ، طبقا لأحكام هذه المادة ، عن وضع المستعمرة ، فالأخيرة تخضع لسيادة الدولة المستعمرة طبقا لقواعد القانون الدولى التى كانت سائدة حتى ذلك الوقت ، فى حين لا تمتد سيادة الدولة المنتدبة الى الاقاليم الخاضعة لانتدابها ، اذ تمارس الدولة المنتدبة الوصاية عليها باسم عصبة الأمم (1) .

ويترتب على هذا القول ما يلى :

١ — ان تحديد سلطات عصبة الأمم ازاء ادارة المستعمرات

---

(1) أصدر مجلس العصبة قرارا فصل فيه هذه الاحكام فى ٦ سبتمبر ١٩٢٧ وأكدته محكمة العدل الدولية .

انظر Les Problèmes territoriaux dans la Juris prudence de La Cour internationale de Justice, R.D.C. 1963, 111, P. 365

يحددها الاتفاق الدولى الجماعى الذى انشأها وهو عهد العصبة والمادة ٢٢ منه على وجه الخصوص . والسلطات التى منحها عهد العصبة للعصبة هى سلطات أو بمعنى آخر اختصاصات نص عليها القانون وليست مظهرا من مظاهر السيادة تمارسه المنظمة على الاقاليم التى تشرف على ادارتها . وبالتالى فان العصبة لا تملك وحدها التصرف فى مصير الاقاليم الموضوعة تحت الانتداب اذ لا يملك هذا الحق سوى شعب الاقليم نفسه ، بشرط أن تتاح له فرصة التعبير عن ارادته فى جو محايد وحرية تامة .

٢ — أن مباشرة العصبة لهذه السلطات ليست حقا وانما هى واجب مفروض عليها يجب عليها مباشرتها لأداء الوظائف وتحقيق الأهداف التى تقررت من أجلها ، فى الحدود التى رسمت لها وليست بطريقة تحكمية تخضع للأهواء الشخصية والمصالح الخاصة للدول الكبرى دون مراعاة العدالة .

٣ — أن السيادة فى الشعب الخاضع للانتداب فى حين تمارس مظاهر هذه السيادة الدولة القائمة بالانتداب : فالمهمة التى عهد بها للدولة المنتدبة مهمة حضارية ووظيفة اجتماعية خطيرة . وهى تكليف يصدر من سلطة لها اختصاص التكليف واختصاص الرقابة واختصاص السحب

وهى عصبة الأمم ، أما السيادة فهى ثابتة لشعوب الاقاليم الموضوعة تحت نظام الانتداب ، وهى تعد سيادة معلقة على شرط واقف هو اكتمال عناصر الاستقلال لهذه الاقاليم وشعوبها واكتسابها لوصف الشخصية القانونية الدولية الكاملة (١) .

وفى ٢٥ أبريل سنة ١٩٢٠ اتفق الحلفاء على وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى وتقدموا بمشروع وثيقة الانتداب الى عصبة الأمم دون أن يؤخذ رأى شعب فلسطين وفقا لأحكام المادة ٤/٢٢ من عهد العصبة . وجاء فى هذه الوثيقة ما يلى :

« وحيث أن دول الحلفاء الكبرى وافقت أيضا على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ التصريح الذى صرحت بهحكومة

---

(١) حامد سلطان ، القانون الدولى العام وقت السلم ، ١٩٦٢ صفحة ٤٦٣ .

وهذا الوضع يتفق مع الروح العامة لنظام الانتداب وهو ما دفع لجنة « الانتداب الدائمة » الى الاعتراض على كل بيان او نص تشريعى صادر من الدولة المنتدبة يمكن ان يصور للراى العام العالمى ان السيادة على الاقاليم المنتدبة للدول التى تتولى ادارتها . هذا وقد تمتعت هذه الاقاليم فعلا ببعض مظاهر الشخصية المتميزة فى القانون الدولى ، فقد ورد النص صراحة فى المادة (٤) من وثيقة انتداب سوريا ولبنان والمادة (٥) من وثيقة انتداب فلسطين على ضرورة احترام سلامة الاقليم المنتدب وعدم جواز التصرف فى اى جزء منه أو ضمه الى الاقاليم الاخرى التابعة لسيادة الدولة المنتدبة ، واعترف لسكان الاقليم الاصليين بجنسية مستقلة عن جنسية الدولة المنتدبة ، كما نص على عدم سريان المعاهدات التى تعقدها الدولة المنتدبة بقوة القانون على الاقاليم التى تتولى ادارتها وانما تسرى هذه المعاهدات اذا تعاقدت الدولة المنتدبة بصفتها هذه كممثلة للاقليم المنتدب ، على أساس ان نظام الانتداب قد خولها حق ممارسة الشئون الخارجية للاقليم . انظر العلاقات الدولية العربية ، ١٩٧٠ ، ١٤٩ وما بعدها . وأيضا مشروعية المقاومة المسلحة صفحة ١٠ . انظر ايضا : Le Partage de la Palestine الذى اصدره معهد الدراسات الفلسطينية ، ١٩٦٧ ، صفحة ٨ وما بعدها .

ملك بريطانيا فى ٢٠ نوفمبر ١٩١٧ للشعب اليهودى مع البيان الجلى بأن لا يفعل شىء يضر الحقوق أو المركز السياسى الذى يتمتع به اليهود فى البلدان الأخرى ..

وحيث أن ذلك اعتراف بالصلة التاريخية التى تربط الشعب اليهودى فى فلسطين والبواعث التى تبعث على اعادة انشاء وطنهم اليهودى القومى فى تلك البلاد ... » .

وقد ضمنت الحكومة البريطانية هذا التصريح وثيقة الانتداب لتضفى عليه الصفة الشرعية التى يفتقدها . وهو عمل باطل قانونا وكان يتعين على عصبة الأمم عدم قبوله . فوعد بلفور صدر من غير ذى صفة وفاقد الشىء لا يعطيه ، كما صدر لغير ذى صفة ، اذ صدر فى صورة خطاب للبارون روتشيلد وهو فرد عادى ليس له أى كيان دولى ومن ثم فيما يجرى بينه وبين الحكومة البريطانية لا تحكمه قواعد القانون الدولى (١) . واذا كانت المادة (٥) من نفس وثيقة الانتداب (٢) الزمت الدولة المنتدبة بعدم التنازل عن شىء من أراضى فلسطين أو تأجيره أو وضعه تحت سيادة دولة أجنبية ، فمن باب أولى يمتنع عليها التنازل عن أراضى فلسطين العربية للصهيونية كى تجعل منها اقليما لدولة

---

(١) فضلا من ان عبارة الوطن القومى التى وردت فى وثيقة الانتداب لا تفيد أبدا انشاء دولة يهودية او تحويل فلسطين الى مجتمع سياسى يهودى كما سبق القول ، وانما تفيد انشاء ملاذ عاطفى ودينى وثقافى لليهود .

(٢) وافقت الحكومة الامريكية عام ١٩٢٤ على ما جاء بوثيقة الانتداب على فلسطين بخصوص انشاء وطن قومى لليهود فيها .

يهودية مستقلة وتمكين جماعة من الأجانب من الاستيطان فيها والاستيلاء عليها .

وهكذا تجاهلت قرارات سان ريمو (١) ما قررته نصوص انتداب (أ) التى قررت للشرق الأوسط ، من وعود بحرية الاختيار وتحقيق رغبة العرب فى الاستقلال . وسهلت وثيقة الانتداب بموادها المختلفة ، اهدار حقوق شعب فلسطين وسمحت للوكالة اليهودية بكيان قانونى كهيئة عمومية رسمية تشير وتعاون فى ادارة شئون فلسطين فى الشئون الاجتماعية والاقتصادية كما اعترفت باللغة العبرية لغة رسمية . ولم تحقق الدولة المنتدبة حتى اليسير مما نصت عليه وثيقة الانتداب لحماية وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين بصرف النظر عن الجنس أو الدين . ففتحت باب الهجرة الى فلسطين ولم تعمل على انشاء حكومة لها ، كى تنفذ بذلك أهم ما كان يقع عليها من واجبات بوصفها الدولة المنتدبة وحكمتها حكما مباشرا كما كانت تحكم المستعمرات (٢) .

---

(١) عقد مؤتمر سان ريمو بين الدول الخمس الكبرى المتحالفة (بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا واليابان) فى ١٩٢٠/٤/٢٥ وقرر وضع فلسطين تحت الانتداب البريطانى على أن تلتزم بريطانيا بتنفيذ وعد بلفور .

(٢) دفعت البعض الى القول بان مجلس الدول الخمس الكبرى المتحالفة (بريطانيا والولايات المتحدة وفرنسا وايطاليا واليابان) لم يفعل فى سان ريمو فى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ ، باقتسامه البلاد العربية بين أعضائه اشباعا لمطامع غير مشروعة غير ما فعله فى مايو ١٩١٩ عندما اقتسم المستعمرات الالمانية .
انظر :

A History of the world in the twentieth Century, D.C. watt Frank Spencer, Neville Brown, 1968, P. 371.

الوكالة اليهودية :

اعترفت المادة الرابعة من وثيقة الانتداب بوكالة يهودية مناسبة تعتبر كهيئة عامة تقوم بتقديم المشورة للادارة الفلسطينية وتتعاون معها فى شتى المسائل الاقتصادية والاجتماعية وغيرها من المسائل التى قد تؤثر فى قيام الوطن القومى اليهودى ومصالح السكان اليهود فى فلسطين وتخضع لسيطرة ادارة فلسطين لكى تساعد فى انماء البلاد وتشترك فيه . وقد اعتبرت الوثيقة المنظمة الصهيونية على أنها تلك الوكالة . غير أن المنظمــة اقترحت انشاء وكالة يهودية موسعة يتحقق فيها تمثيل اليهود غير الصهيونيين التمثيل الكافى كى يتمكنوا ، بالاشتراك مع المنظمة الصهيونيــة ، من المشاركة فى امتيازات الوكالة اليهودية ومسئولياتها . وفى ١٤ أغسطس سنة ١٩٢٩ تم التوقيع فى زيورخ على الاتفاق المتضمن لدستور الوكالة التى تحددت أهدافها فيما يلى :

١ — تشجيع الهجرة اليهودية ومساعدتها الى أبعد حد ممكن مع التسليم بأن كلا من العمــال المهاجرين والمهاجرين أصحاب الدخل المستقل سوف يحظى بالعطف والاعتبار.

٢ — تعمل الوكالة على ضمان الحاجات الدينية اليهودية مــع العلم بصورة واضحة أن حرية الوجدان الفردية سوف تبقى مصونة ومؤكدة .

٣ — رعاية اللغة العبرية والثقافة اليهودية والاعتناء بهما .

٤ — يتم ابتياع الأراضى كأملاك يهودية ، وتسجل ملكية الأراضى المباعة ، وفقا لما تنص عليه المادة العاشرة فى هذا الاتفاق (١) ، باسم الصندوق القومى اليهودى ، على أن تصبح فيما بعد الملكية الشرعية الثابتة للشعب اليهودى.

٥ — تعمل الوكالة على انجاح الاستيطان الزراعى القائم على العمل اليهودى وترقيته ، وتعتبر من المسائل الأولية ضرورة استخدام الطاقة العمالية اليهودية فى جميع الأعمال والمشاريع التى تقوم الوكالة بتنفيذها أو مساعدتها . والوكالة هى التى تقدر الصلاحية الاقتصادية لأى مشروع مقترح للاستيطان قبل أن تقدم الأموال اللازمة للمستوطنين .

---

(١) تنص الفقرة الثانية من هذه المادة : « فيما عدا ما يأتى ذكره هنا بالتخصيص ، يجرى شراء جميع الاراضى التى يتم الحصول عليها بالاموال الواردة من الوكالة اليهودية تحت اشراف الوكالة وادارتها وبواسطة الصندوق القومى اليهودى . ويتم تسجيل تلك الاراضى باسم الصندوق القومى اليهودى لكى تصبح فيما بعد الملكية الشرعية التابعة للشعب اليهودى . ويشترط فى ذلك أن توافق الوكالة اليهودية وتصادق على البنود التى يمكن بموجبها لاى شخص او جمعية أو هيئة أن يستعمل هذه الاملاك التى يسيطر عليها الصندوق القومى اليهودى او يحتلها او يستأجرها أو يملكها ، وأن اية تغييرات او تعديلات يمكن القيام بها فى هذا الصدد يجب ان تحظى بموافقة الوكالة اليهودية ومصادقتها . ولا يقصد من هذا عدم تشجيع شراء الاراضى بالاموال الخاصة ، طالما لا يجرى ابتياعها بقصد المضاربة او كمبادرة عدائية لمشروعات الصندوق القومى اليهودى او الوكالة اليهودية ، وان تتمكن الوكالة ، حسب تقديرها ، من توظيف جزء من اموالها فى شراء الحصص والسندات والاسهم أو غيرها من ضمانات اية مؤسسة قائمة حاليا او يتم تنظيمها فيما بعد لتسهيل شراء الاراضى فى فلسطين من الافراد بصفتهم الخاصة . ولا يقصد منها التدخل فى عملية تنفيذ اية سياسة قد تتبناها الوكالة اليهودية لمساعدة اولئك الذين يسعون للاستيطان فى الاراضى بوسائلهم الخاصة بطريقة وشروط معينة تتعارض مع السياسة الاساسية المنصوص عليها هنا ».

انظر دستور الوكالة ، ملف وثائق فلسطين ، صفحة ٤٠٣ .

ومثلت الوكالة اليهودية الموسعة ، الشعب اليهودى بصورة شكلية ، ففاوضت باسمه واتخذت القرارات فيما يتعلق بكل الشئون والمسائل التى تعود الى اقامة وطن قومى يهودى . وحصرت المنظمــة الصهيونية عملهــا فى النشاطات التعليميــة فى المنفى والنشاطات التنظيمية . غير أن هذه التغييرات لم تكن ســوى تغييرات سطحية اذ لم تكن الوكالة اليهودية الا أداة بيد المنظمة الصهيونية العالمية .

وفى أغسطس ١٩٧٠ أعيد تنظيم الوكالة اليهودية حيث قطع تنظيمها الجديد كل علاقاتها مع المنظمة الصهيونية العالمية ، وأصبحت هيئة مستقلة يشارك فيها مديرو صناديق اعانة اسرائيل فى الخارج بدور مماثل لدور الزعماء الصهيونيين ، كما أكد العلاقة بين يهود اسرائيل ويهود العالم .

وهكذا سارت الصهيونية طوال سنوات الانتداب البريطانى على تدعيم الهجرة اليهودية الى فلسطين وأخذت بسياسة اقتلاع الأراضى من أصحابها العرب بعد أن تهاونت انجلترا فى اقامة سلطة وطنية عربية . وساعدت الأوضاع التى كانت سائدة فى فلسطين فى حصولهم على الأرض بطريقة قانونية عن طريق الاقراض ثم نزع الملكية لعدم السداد أو عن طريق الشراء . فاذا رفض أصحابها بيعها دخلت هذه الأراضى ، باتفاق الوكالة مع سلطات الانتداب ضمن ما تتقرر نزع ملكيته من أجل المرافق العامة واقامة العمران. وهكذا نشأت المزارع اليهودية « الكيبوتز » وأرضــها ملك

للوكالة اليهودية ضمانا لاستمرارها حتى ولو عاد المهاجر فغادر فلسطين على أساس أن « الأرض » ملك للشعب اليهودى كله . ودخلت فلسطين أعداد تفوق طاقة استيعابها بكثير ، وبلغ عـدد اليهود الذين هاجروا بطريق علنى الى فلسطين خلال فترة الانتداب ما يقرب من ٣٧٠٠٠٠ نفس وبذا تضاعف عدد اليهود الى سبعة أمثال ما كان عليه عند بدء الانتداب وارتفعت نسبتهم من ٨ ٪ الى ٣٥ ٪ . ومما يزيد هذه الزيادة فى حجم الطائفة اليهودية غرابة أن المعدل للزيادة الطبيعية بين العرب الفلسطينيين كانت حوالى ٥٠ ٪ أعلى منها بين اليهود الفلسطينيين (١) . وتمكنوا من تملك ما يزيد على ٣٠ ٪ من مجموع الأراضى الزراعية خـلال فترة الانتداب : فحتى نهاية عام ١٩١٩ كانت الممتلكات والأراضى اليهودية فى فلسطين قليلة ومبعثرة حول يافا وبحيرة طبرية ، وكان جملة ما يملكونه من الأراضى عند انتداب بريطانيا ٢ ٪ فقط (حـوالى ١٦٢٥٠٠ فدان) من مجمـوع الأراضى البـالغ ٦٥٨٠٧٥٥ فدانا (٢) . وأصبحت هذه الممتلكات عام ١٩٣٩ تشمل الساحل الفلسطينى كله تقريبا وتمتد الى الداخل فى حين اتصلت الأراضى حول بحيرة طبرية بالأراضى اليهودية فى حيفا

(١) أنظر :

Government of Palestine : A Survey of Palestine 1945-1946, P. 144, 242

ورد ذكره فى بحوث المؤتمر الدولى للبرلمانيين حول قضية الشرق الاوسط المنعقد بالقاهرة ص ٢ ـ ٥ فبراير ١٩٧٠ .

(٢) أنظر العلاقات الدولية العربية للمؤلفة ، للمزيد من التفصيلات . صفحة ١٥٦ وما بعدها .

ويافا بل وامتدت حتى الحدود السورية اللبنانية ، كما أصبح النقب يعج بالمستعمرات اليهودية وبلغت أملاكهم حوالى أربعة أمثال ما كانوا يملكونه قبل الانتداب (١) . وتخلى المهاجرون عن جنسيتهم الأصلية واكتسبوا الرعوية البريطانية بصفتهم مواطنين فى فلسطين ، وخططت الصهيونية لطرد المواطنين الأصليين وعارضت فكرة الدولة الواحدة أو حتى الدولة الاتحادية ورفعت شعار التقسيم للحصول على اقليم غالبية سكانه من اليهود لتشكل الدولة الجديدة منطقة ارتكاز لكل توسع مقبل. ووافقت انجلترا من حيث المبدأ على تقسيم فلسطين فى ١٩٣٧/٧/٧ وعينت لجنة وودهيد لبحثه فنيا تمهيدا لتنفيذه . وتحركت الشعوب العربية فى ثورة عارمة تؤيد شعب فلسطين وترفض التقسيم . وأمام الثورة العربية لم تجد الحكومة البريطانية بدا من اعلان العدول عن التقسيم . وأصدرت يوم ١٩٣٨/١١/٩ بيانا نصت فيه على أن التقسيم غير عملى وأعربت عن نيتها فى دعوة الدول العربية وعرب فلسطين والوكالة اليهودية الى التداول بلندن فى أقرب فرصة ممكنة حول السياسة المقبلة لفلسطين . ورفض العرب الاجتماع مع الوكالة اليهودية وشعرت انجلترا بضرورة استرضاء العرب ومهادنتهم والتريث فى تنفيذ أهداف الصهيونية فى فلسطين . وأصدرت فى ١٩٣٩/٥/١٧ الكتاب الأبيض الذى أعلنت فيه نهائيا العدول عن مشروع التقسيم ،

(١) انظر بحوث مؤتمر القانونيين العرب المنعقد بالجزائر فى يوليو عام ١٩٦٧ م

وقيام دولة فلسطينية (دولة تجمع بين قوميتين) مستقلة خلال عشر سنوات يشترك فيها العرب واليهود فى الحكم ، ووضع قيود على بيع الأراضى ، وحددت عدد اليهود الذين يسمح لهم بالهجرة الى فلسطين خلال الخمس سنوات التالية بخمسة وسبعين ألفا على ألا يسمح بعد هذه الفترة بأية هجرة لليهود الى فلسطين ما لم يأذن العرب بذلك .

وبصدور هذا الكتاب أصيبت آمال الصهيونية بخيبة أمل شديدة فى سرعة الاستحواذ على فلسطين وتهيئتها لاستقبال الاعداد المتزايدة من يهود أوربا ، فى وقت ظهرت فيه نية الحكومة الألمانية فى الانتقام منهم على تسببهم فى هزيمتها فى الحرب العالمية الأولى ، وهاجم وايزمان انجلترا هجوما شديدا على ما أسماه تراجع بريطانيا عن وعودها . غير أن انجلترا ــ فى سبيل المحافظة على الهدوء والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط أرض البترول وطريقها البرى والبحرى الى الهند واستراليا ــ اضطرت الى اهمال مطالب الصهيونية لفترة مؤقتة[1] . وجندت الصهيونية

---

(1) ولا شك ان المسئولية الكبرى والاولى عن نكبة فلسطين تقع على عاتق الدولة المنتدبة بريطانيا . وقد عبر عن ذلك أرنولد توينبى ـ الكاتب البريطانى والمؤرخ المشهور ، بقوله : « ان الدولة الغربية التى تتحمل حصة الاسد فى المسئولية عن الفشل فى فترة ما بين الحربين لانقاذ الموقف فى فلسطين ، هى بريطانيا التى كانت أولا الدولة المحتلة ، وبعد ذلك الدولة المنتدبة والتى ادارت شئون الانتداب حتى سنة ١٩٤٨ . وتميز موقف بريطانيا ، طوال هذه السنوات الثلاثين الحرجة بالتمامى الجدير بالادانة ، والذى شمل جميع الاحزاب وسارت عليه الحكومات المتعاقبة » .

انظر المؤلفة ، العلاقات الدولية العربية ، ١٩٧٠ ، ص ١٦٢ .

امكاناتها فى العالم وفى الولايات المتحدة للضغط على بريطانيا ، ووجهت مذكرة يوم ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٢ عن طريق نواب وشيوخ الكونجرس الأمريكى مطالبين روزفلت بتبنى القضية الفلسطينية جاء فيها : « ان الغاية من وعد بلفور هى فتح أبواب فلسطين لجموع اليهود الذين لا مأوى لهم والتمهيد لاقامة دولة يهودية فيها » . واستغلت الحملة الانتخابية لرياسة الولايات المتحدة الأمريكية سنة ١٩٤٤ ، ووقفت وراء ترومان حتى نجح ، فسعى لدى بريطانيا لانشاء جيش يهودى فكان انشاء هذا الجيش سنة ١٩٤٤ ، يهوديا بجنوده وضباطه وأعلامه ، وأعدت الوكالةاليهودية مراكز فى كثير من البلدان لتدريب اليهود وحشدت الاسلحة والمعدات استعدادا لاعتداء مسلح داخل فلسطين التى استطاعت تحت ظروف الحرب العالمية الثانية وبسببها ، أن تدخل اليها أعدادا كثيرة من المستوطنين اليهود الذين تدفقت بهم السفن الى الساحل الفلسطينى .

وصارت مشكلة عام ١٩٤٧ هى مشكلة ستمائة ألف يهودى تجمعوا فى فلسطين أثناء فترة الانتداب ، يريدون اقامة دولة فى أرض يمتلكها مليون وربع مليون عربى منذ أكثر من أربعة عشر قرنا . وحشد اليهود كافة طاقتهم العسكرية والمالية والادارية بمساندة الصهيونية العالمية لتنفيد هذه الخطة . وأصبحت الوكالة اليهودية أداة ادارية مؤقتة لتأليف الأجهزة الحكومية اللازمة وتتسيق وحدات العسكرية من العصابات اليهوديه المتعددة

كعصابة شتيرن والارجون وقوات البالماخ والهاجاناه التى خلعت على نفسها اسم جيش الدفاع الاسرائيلى . وقامت هذه العصابات بعمليات ارهابية مسلحة ضد عرب فلسطين المسلمين منهم والمسيحيين بل وضد اليهود الفلسطينيين الذين كانوا يميلون الى المصالحة . ولم تشتمل العمليات الحربية الصهيونية فقط على الأرض التى خصصتها توصية التقسيم للدولة اليهودية ، وانما اشتملت على أرض مخصصة للدولة العربية . ومن الثابت أن قوات الهاجاناه احتلت يافا وعكا ـ وكانتا طبقا لقرار التقسيم ضمن حدود الدولة العربية ـ قبل انسحاب القوات البريطانية من فلسطين .

قرار التقسيم : (١)

انعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٤٧ بناء على طلب الحكومة البريطانية للنظر فى قضية فلسطين . واتخذت قرارا بتشكيل لجنة تحقيق لا يكون من أعضائها أى من الدول الخمس الكبرى بحجة ضمان حيادها . وناقشت الجمعية العامة تقرير هذه اللجنة وأصدرت فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٤٧ قرارها رقم ١٨١ الذى تضمن التوصية بتقسيم فلسطين ، تحت

---

(١) قرار التقسيم : اعطى اليهود ٥٦ ٪ من اراضى فلسطين والعرب ٤٢ ٪ وجعل لمدينة القدس كيانا منفصلا Corpus Separatum يخضع لنظام دولى خاص وتتولى الامم المتحدة ادارتها ويعين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطة الادارية نيابة عن الامم المتحدة . كما نص على اعلان حيادها واعتبارها منطقة منزوعة السلاح . ويلاحظ أن الدولة اليهودية طبقا لقرار التقسيم تضم ٤٦٨٫٠٠٠ يهودى يمتلكون ١٠ ٪ فقط من الاراضى و ٧٩٤٫٠٠٠ من العرب . والدولة العربية تضم ٧٢٥٫٠٠٠ من العرب . و ١٠٫٠٠٠ من اليهود .

تأثير الولايات المتحدة الأمريكية والأمين العام للأمم المتحدة تريجفى لى الذى كان معروفا بميوله الصهيونية . وأعلن القرار انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين [1] .

ويلاحظ على هذا القرار :

أولا : تجاهلت الجمعية العامة بقرارها هذا حق شعب فلسطين فى تقرير مصيره ، وخالفت بذلك أحكام المادة (٢٢) من عهد العصبة التى اعترفت بأن أقاليم انتداب (أ) قد وصلت الى حالة من التقدم تسمح بالاعتراف مؤقتا بوجودها كأمة مستقلة الى أن يأتى اليوم الذى تصبح فيه قادرة على ادارة شئونها بنفسها .

ثانيا : أهملت الجمعية العامة أعمال المادة (٨٠) من ميثاق الأمم المتحدة التى تقرر أنه « فيما عدا ما يتفق عليه من اتفاقات الوصاية الفردية التى تبرم وفق أحكام المواد ٧٧ ، ٧٩ ، ٨١ وبمقتضاها توضع الأقاليم تحت الوصاية والى أن تعقد مثل هذه الاتفاقات لا يجوز تأويل نص أى حكم من أحكام هذا الفصل ولا تخريجه تأويلا أو تخريجا من شأنه أن يغير بطريقة ما أية حقوق لأية دول أو شعوب ، أو يغير شروط الاتفاقات الدولية القائمة

---

(١) لم يتضمن قرار الجمعية العامة النص على وسائل تنفيذه ، وهو ما دفع مندوب الولايات المتحدة الى المطالبة بوضع فلسطين تحت وصاية مجلس الامن . وقام مندوب الوكالة اليهودية باخطار المجلس فى ١٩٤٨/٣/٢٤ بأن الشعب اليهودى سيقاوم كل مشروع يهدف الى منع او تأجيل انشاء الدولة اليهودية ، وهو يرفض كل وصاية على فلسطين ، ويجب على لجنة فلسطين أن تعترف بالمجلس المؤقت أو الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية بدون اى تأخير ، وأنه فى نهاية الانتداب والادارة المنتدبة ، التى يجب الا تتأخر عن ١٦ مايو ١٩٤٨ ، يجب أن تبدأ حكومة مؤقتة يهودية عملها بالتعاون مع مندوب الامم المتحدة فى فلسطين .

التى قد تكون أعضاء « الأمم المتحدة » أطرافا فيها . وهو ما يمنع من تعيير الأوضاع القائمة Statu quo الا بموافقة شعوب هذه الأقاليم . والدولة اليهودية التى نص عليها قرار التقسيم وأعطى مقاليد الحكم فيها لحكومة يهودية كان العرب يكونون أكثر من نصف عدد سكانها فضلا عن تملكهم ٩٠ ٪ من أراضيها .

ثالثا : وميثاق الأمم المتحدة لا يعطى الجمعية العامة ولا لأى فرع آخر من فروع الأمم المتحـدة سلطة القيام بتقسيم اقليم لا تملك عليه أى سيادة أصلية أو بطريق الميراث لا من عصـبة الأمم أو من غيرها . واختصاص الجمعية العامة لم يكن يتعدى أحد طريقين مفتوحين أمامها :

(ا) أن تقرر استقلال فلسطين وتقبلها عضوا بالمنظمة أسوة بما حدث بالنسبة لأقاليم الانتداب الأخرى كسوريا ولبنان والعراق[1] .

(ب) أن تدعو السلطة المنتدبة لكى تضع فلسطين تحت نظـام الوصاية الدولى المنصوص عليه فى الفصـلين الثانى عشر والثالث عشر من الميثاق .

---

(1) والقيد الوحيد الذى يرد على حرية فلسطين المستقلة فى هذه الحالة هو القيد الخاص الذى تتضمنه المـادة (٢٨) بتخويل العصبة سلطة اتخاذ الاجراءات اللازمة للمحافظة على ما ورد فى المواد ١٣ ، ١٤ خاصا بالمناطق المقدسـة وضرورة مراعاة هذه الحكومة تنفيذ الالتزامات المـالية المشروعة التى عقـدتها الادارة الفلسطينية طوال فترة الانتداب .

قيام اسرائيل :

وما أن أعلنت بريطانيا انهاء انتدابها على فلسطين فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، حتى أعلن بن جوريون قيام دولة يهودية فى فلسطين باسم اسرائيل (١) . وتضمن التصريح الخاص بانشاء دولة اسرائيل نداء موجها الى جميع اليهود المهاجرين الى اسرائيل : « نحن نوجه الدعوة الى كل اليهود فى سائر العالم لكى يجتمعوا حول يهود اسرائيل لمساندتهم فى مهمة تنظيم الهجرة والتنمية» . ووجهت جامعة الدول العربية مذكرة الى الأمم المتحدة ورد فيها : « ونظرا لأن أمن فلسطين وديعة مقدسة فى عنق الدول العربية .. ورغبة فى منع انتشار الاضطراب والفوضى من فلسطين الى البلاد العربية المجاورة وفى سد الفراغ الحادث فى الجهاز الحكومى بفلسطين نتيجة لزوال الانتداب وعدم قيام سلطة شرعية تخلفه ، قد رأت حكومات الدول العربية نفسها مضطرة الى التدخل فى فلسطين لمجرد مساعدة سكانها على اعادة السلم والأمن وحكم القانون والعدل الى بلادهم وحقنا للدماء .. » .

---

(١) وبعدها بساعات اعترف البيت الابيض بالحكومة المؤقتة فى دولة اسرائيل الجديدة اعترافا فعليا فسره فيليب جيسوب وكان وقتها رئيس وفد امريكا فى مجلس الامن — فى خطاب له فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ عند النظر فى انضمام اسرائيل الى عضوية الامم المتحدة ، بما يلى : « لقد اعترفت الولايات المتحدة بدولة اسرائيل فى الحال اعترافا تاما كاملا . وربما يثار بعض اللبس بين الاعتراف بدولة اسرائيل والاعتراف بالحكومة المؤقتة لاسرائيل . فبالنسبة للاعتراف بدولة اسرائيل فان الولايات المتحدة قد اعترفت بدولة اسرائيل اعترافا تاما وفوريا ، وكان اعترافا غير مشروط ولم يكن اعترافا واقعيا de Facto أما فيما يختص بالحكومة المؤقتة لاسرائيل فان الولايات المتحدة قد اعترفت بالحكومة المؤقتة لاسرائيل اعترافا واقعيا de Facto » ، وقررت انجلترا وقتها الامتناع عن الاعتراف لعدم توافر مقومات الدولة أو عناصرها فى الدولة الجديدة .

« وتعترف حكومات الدول العربية أن استقلال فلسطين ـ الذى حجبه حتى الآن الانتداب البريطانى ـ قد أصبح حقيقة واقعة لسكان فلسطين الشرعيين وهم وحدهم أصحاب الحق فى تزويد بلادهم بالنظم والمؤسسات الحكومية بمطلق سيادتهم وسلطانهم والذين يمارسون خصائص استقلالهم بوسائلهم الخاصة دون أى تدخل خارجى من أى نوع كان بمجرد أن يعود الى البلاد الأمن والسلم وحكم القانون » . وعندما بدأت الجيوش العربية زحفها على فلسطين من الشمال والشرق والجنوب كانت القوات الصهيونية قد احتلت جميع المناطق المخصصة للدولة اليهودية بالاضافة الى أجزاء من الدولة العربية وقطاع القدس . وتقدمت جيوش الدول العربية ، وتآمر الغرب فأعلنت الهدنة الأولى ، ثم الهدنة الثانية ، ثم قامت اسرائيل على أشلاء العرب . وبعد الحرب احتلت اسرائيل حوالى ٨٠٪ من أراضى فلسطين ، وتشرد حوالى ٧٥٠٫٠٠٠ عربى غادر منهم البلاد ٤٠٠٫٠٠٠ ألف عربى قبل ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ ، وبين هذا التاريخ ، وتاريخ توقيع اتفاق الهدنة غادر فلسطين ٣٥٠٫٠٠٠ عربى . وتم الفصل الأخير من مؤامرة طرد شعب فلسطين من أرضه ، واقامة دولة من مجموعة من العصابات الصهيونية لتحقيق حلم لا أساس له ولا سند من تاريخ أو منطق . وبذلك نجح الاستعمار والصهيونية العالمية فى حرمان شعب فلسطين من حقوقه وأرضه لصالح طائفة دخيلة أراد الاستعمار من التحالف معها أن يحتاط للمستقبل فيكون له فى منطقة الشرق الأوسط تكئة يستند اليها فيما

لو تطورت الأوضاع فى المنطقة العربية وأثمرت حركة القومية العربية ثمارها الطبيعية بقيام دولة عربية تضم كل الوطن العربى .

وفى مايو ١٩٤٩ قبلت اسرائيل كعضو فى الأمم المتحدة عقب اقرار بروتوكول لوزان الذى تعهدت فيه بعودة الفلسطينيين الى ديارهم ودفع التعويضات للذين لا يرغبون فى العودة[1] ، طبقا لقرارات الأمم المتحدة ، وهو تعهد لم تف به حتى يومنا هذا . وترك التعهد الثلاثى[2] ، الذى شاركت فى اصداره الدول الكبرى الثلاث انجلترا وفرنسا وأمريكا وضمنت فيه الكيان الاسرائيلى الجديد عام ١٩٥٠ ، لاسرائيل مساحة من الأرض تبلغ ربع المساحة التى قررها قرار التقسيم .

وفى ٥ يوليو سنة ١٩٥٠ أصدرت اسرائيل قانون العودة الذى تنص المادة الأولى منه على أن « لكل يهودى الحق فى أن يعود الى البلاد بوصفه مهاجرا » وقضت على أى تحديد لهجرة اليهود الى فلسطين بل ووضعت التزاما على عاتق كل يهودى بالاستقرار والتوطن فى اسرائيل .

وهكذا لم يستطع عرب فلسطين ، وبعد ضغوط ثلاثين عاما متوالية ، مقاومة الارهاب الصهيونى المسلح والمؤيد من الجماعة الأوروبية الأمريكية . وفقد معركة السيطرة على بلاده بل وفقد وطنه نفسه . وتم طرد الفلسطينيين بالقوة وحرمت فلسطين من

(١) القرار رقم ١٩٤ الصادر فى ١٩٤٩/١٢/١١ .
(٢) الصادر فى ٣٠ مايو ١٩٥٠ .

شعبها الأصلى وفتحت أبوابها لاستيطان تنظمه الصهيونية العالمية ، وتم تنفيذ هذا المخطط بسرعة حتى يواجه الرأى العـام العالمى بأمر واقع لا خلاص منه . وما زالت اسرائيل تنفذ مخططـات الصهيونية فقامت بهجوم على الاراضى العربية عام ١٩٥٦ وأخيرا فى يونيو ١٩٦٧ ، واحتلت أجزاء من سوريا والاردن والجمهورية العربية المتحدة فضلا عن قطاع غـزة الذى كان تحت الادارة المصرية .

اسرائيل الكبرى (١)

أهداف الصهيونية :

ليس من الصعب علينا تبين أهداف الصهيونية وسياسـتها العدوانية فى فلسطين وسائر أرجاء الوطن العربى . وذلك أنه اذا كان فقد فلسطين فى حد ذاته كارثة فان الاعتقاد بأن اسرائيل تريد أن تقف عند حـدود فلسـطين اعتقـاد خاطىء ووهم كبير . فالصهيونية ترمى الى اقامة دولة يهودية تتسع لكل يهود العـالم البالغ عددهم حوالى ٢٠ مليون ، وتعيد بناء مجد اسرائيل وتضم جميع الأراضى التى تنقلت فيها القبائل اليهودية فى العصـور القديمة . وقد تشعبت وجهات نظر زعماء الحركة الصهيونية فى البداية حول تحديد الرقعة الجغرافية المراد اقامة الوطن القومى عليها ، فقصرها البعض على فلسطين بحدودها الدولية التى كانت

---

(١) صرح ايجال آلون فى اعقاب حرب ١٩٦٧ : « علينـا ان نقيم اسرائيل الكبرى ، وعلى العرب وبقية العالم الامتثال للامر الواقع » .

معروفة بها وقت الانتداب ، بينما ذهب البعض الآخر الى ضم أجزاء من أراضى لبنان وسوريا وشرق الاردن وشـبه جزيرة سيناء ، فى حين نادى فريق متطرف منهم بتحديد حدود ما أسموه اسرائيل الكبرى بالرقعة الجغرافية الممتدة من النيل الى الفرات. ووجد كل رأى من هذه الآراء الثلاثة سندا سياسيا أو اقتصاديا أو نصا من نصوص التوراة يدعم بها وجهة نظره . وقد انتصرت وجهة النظر الأخيرة فى أعقاب اقامة اسرائيل وحددت الصهيونية حلمها الكبير بما كتبته على الكنيست وقالت فيه : « حـدودك يا اسرائيل من الفرات الى النيل » . وطوال سبعين عاما ابتداء من مؤتمر بال حتى هذه الايام ، تحالفت الصهيونية فى سبيل تحقيق أغراضها ، مع قوى الاستعمار التقليدى والجـديد وارتبطت مطامعها مع مطامعه واستباح الاثنان كل الوسائل غير المشروعة فى سبيل تحقيق الاهداف المشتركة . وانتهجت اسرائيل ، منذ قيامها ، سياسة قوامها التوسع وحشد كل اليهود من كل بلاد العالم لتقوى على حساب العرب من أهل البلاد الأصليين ورفضت منذ قيامها تعيين حدود دولية معترف بها وعملت على ايجاد توتر مستمر على حدود الهدنة تمهيدا لتوسع منتظم مطرد تفرض به أمر واقع على العالم العربى . وشـعار الأمن الاسرائيلى الذى ترفعه اسرائيل حاليا لا يعنى الا توسع جديد على حساب الأرض العربية وضمان حدود جـديدة لاسرائيل تفرضـها سياسـتها التوسعية . فالأمن الاسرائيلى فى أعقاب اتفاقات الهدنة ١٩٤٩ شىء آخر طبقا لما ورد فى قرار التقسيم ، والأمن بعد عدوان

١٩٥٦ هو شيء آخر غيره بعد اتفاقات الهدنة ، والأمن بعد يونيو ١٩٦٧ يختلف عنه قبل هذا التاريخ وهلم جرا ..

وقد تحددت وسائل تحقيق هدف اقامة اسرائيل الكبرى تبعاً للظروف الدولية وحالة الدول العربية . ونستطيع أن نجمل الوسائل التي اتبعتها فيما يلي :

اولا : الاستعمار الصهيوني الاستيطاني الاحلالي :

عملت الصهيونية فى بداية الأمر على تكوين دولة هى فى واقع الأمر امتداد عنصرى لأوروبا فى قلب الوطن العربى . دولة تمثل احدى صور الاستعمار الاوروبى الاستيطانى التى اتخذت دائما شكل هجرة بعض مئات الألوف من أبناء أوروبا الى أقاليم بعيدة عنها يسيطرون عليها وينشئون عليها دولة غربية « فيما وراء البحار » كما يقال بلغة القرن الماضى . والفرق بين الاستعمار الصهيونى لفلسطين وبين الاستعمار الاستيطانى الاوروبى يتحدد فيما يلى :

١ — فى حين اندفع المستعمرون الأوروبيون لاسباب اقتصادية وسياسية الى استغلال الاقاليم المستعمرة ومواردها الطبيعية ومهدوا الطريق أمام الحكومات الأوروبية الطامعة فى ضم هذه الاقاليم ، عنيت الصهيونية باستعمار اقليم تكون عليه دولة يهودية لا تتبع أى من الحكومات الموجودة ــ وأخذت المنظمة الصهيونية ، منذ تأسيسها ، على عاتقها عبء المسئولية الرئيسية فى اقامة هده الدولة .

٢ — تمتع المستوطنون الأوروبيون من الناحيــة القانونية ، بجنسية احدى الدول الاوروبية فى حين اعتبرت اسرائيل نفسها — وكما ورد فى القانون التشريعى الذى أقره الكنيست الاسرائيلى فى ٢٤ نوفمبــر ١٩٥٢ — صــنيعة الشعب اليهودى بأسره وفتحت أبوابها أمام كل يهودى يرغب فى المهاجرة اليها . واستكملت أحكام قانون العودة (١) الذى أعطى لكل يهودى الحق فى العودة ودخول الدولة بصفته مهاجرا ، بقانون الجنسية الصادر سنة ١٩٥٢ والذى نص فى مادته الثانية أن كل مهاجر بالمعنى المقصــود بقانون العودة يصبح اسرائيليــا ، وبذلك علق هذا القــانون التجنس على شرط دينى وخالف بذلك القواعد الدولية المتفق عليها فيما يتعلق باكتساب الجنسية (٢) .

٣ — قدم كثير من المستوطنين من البلاد العربيــة تحت تأثير الســياسة الخاطئة التى عمدت اليهــا بعض الحكومات العربية فى الخمسينيات . وهذا الفريق من الاسرائيليين

---

(١) المــادة الاولى من قانون العودة ، وترى الصهيونية فى هذا القانون الرباط الحقيقى الذى يجمع بين يهود العالم . وتقرير منح جنسـية اسرائيل لاى يهــودى فى العالم يعتبر — بناء على هذا القانون — حقا له أيا كانت جنسيته الاصلية وهو حق يستمده من كونه يهوديا .

(٢) والقواعد الدولية تقرر جواز اكتسـاب جنسـية الدولة اذا ما توافرت فى الشخص شروط معينة ، اختلف المشرعون فى تشديدها أو تيسيرها باختــلاف حاجات دولهم واحوالها الاجتماعية والسياسـية والاقتصادية ولا دخل فى هــذه الشروط الموضوعية التى تتطلبها اغلب الدول فيما يتعلق بالتجنس لعامل الدين . أنظر المــادة (٢) من الاعلان العالمى لحقوق الانسان ، والمــادة (٣) أيضا من الاتفاقية الخاصة بحقوق الانسان الصادرة عن الجمعية العامة للامم المتحدة فى ١٩٦٦/١٢/١٦ .

ليس أوروبيا ولا يفكر فى العودة الى أوربا . فضلا عن نشأة جيل جديد من الاسرائيليين « السابرا » ولد بها وسط دعاية مركزة تفهمه أن تلك هى أرضه وارض أجداده ولا يعرف لنفسه وطنا آخر (1) .

٤ — قبل المستعمرون الأوربيون وجود الشعوب الأصلية وتعايشوا معها وان أخذوا بمبدأ تفوق الرجل الأبيض وطبقوا سياسة التفرقة العنصرية ، فى حين رفض الاستعمار الصهيونى الاحلالى الوجود العربى ، ولم يقبل التعايش مع العرب ، تمهيدا للتخلص منهم نهائيا وطردهم خارج الحدود حتى تستوعب اسرائيل الأعداد اليهودية المهاجرة.

والتشابه واضح بين هذه السياسة وبين ما ورد فى كتاب كفاحى لأدولف هتلر : « يجب أن تضمن السياسة العنصرية للدولة وسائل المعيشة على هذا الكوكب للعنصر الذى تضمه الدولة ، وذلك باقامة تنسيق سليم قابل للاستمرار ومتفق مع القوانين الطبيعية بين زيادة عدد السكان من جهة وبين اتساع رقعة الاقليم من جهة أخرى » . وتطبيقا لذلك ميز القانون الألمانى الصادر فى ١٥ ديسمبر عام ١٩٣٥ بين الألمان الذين من أصل ألمانى وغيرهم من الرعايا الألمان ، وقصر التمتع بالحقوق السياسية على الألمان ذوى « الدم الألمانى » . وهو قانون تم الغاؤه بعد زوال

---

(1) انظر كتاب « فى مواجهة اسرائيل » ، للدكتور اسماعيل صبرى عبدالله .

الحكم النازى فى ألمانيا نتيجة لهزيمتها فى الحرب العالمية الثانية . واذا كان هتلر قد نادى بنظرية نقاوة الدم الألمانى فان الصهيونية ترى — هى أيضا — أن النقاوة العنصرية هى الطريق الوحيد لخلاص يهود العالم وتحقيق وحدتهم القومية (١) . واذا كان هدف الصهيونية الأساسى هو اقامة دولة يهودية كبرى وتوسيع حدودها واقامة « ملكوت اسرائيل الثالثة » على حد قول

---

(١) صرح Marin Rubes وهو يهودى غير متعصب :
"The majority of the jewish people preferred to learn from Hitler rather than from us. Hitler showed that History does not go the way of the spirit but the way of power, and if a people is powerful enough, it can kill with impunity."

وصرح وزير الدفاع الاسرائيلى فى اعقاب عدوان ١٩٦٧ :
"I don't want Arabs in my Jewish State

انظر :

Vada Hart Nabky, The June wars in the light of the Aftermath, June 1967 - Summer 1969, P. 14.

وكتب الصحفى الانجليزى ميكائيل آدمز فى اول فبراير سنة ١٩٦٨ فى تقرير له من غزه الى صحيفة الجازيان البريطانية :

"I had my ups and downs during four years as a prisoner of war in Germany but the Germans never treated me as harshly as the Israelis are treating the Arabs of the Gaza Strip, the majority of whom are women and children".

وحينما سئل بن جوريون عن مشاعره فى اعقاب حرب يونيو ١٩٦٧ أجاب قائلا :
"Tell the west to send me three million young jews."

انظر ، نامكى ، المرجع السابق ، صفحة ٣٢ . كما صرح قائلا :

"La securité d'Israel, ce n'est aucune arme qui l'assurera quelle que soit l'importance de son équipement. Ce qui l'assurera c'est le retour rapide à Israel de deux millions de juifs au moins par an jusqu'au retour de tous les juifs du monde."

انظر : الصهيونية وحقوق الانسان ، جامعة الدول العربية ، صفحة ١٢ .
وايضا : الاستعمار الصهيونى فى فلسطين ، لفايز صائغ ، صفحة ٤ وما بعدها .

بن جوريون ، فان هذا الهدف بالضرورة يؤدى الى استبعاد كل عنصر غير يهـودى والتخلص من العرب المسـلمين والمسيحيين أصحاب أرض فلسطين الشرعيين حتى يحـل محلهم مهاجرون آخرون . ولهذا لجأت اسرائيل الى ممارسة صور التفرقة العنصرية ضد عرب فلسطين الأصليين لاجبارهم على ترك البـلاد وترك أموالهم وممتلكاتهم بها .

ويقول البعض ان اسرائيل ليست استعمارا استيطانيا لأن الأخير فى نظرهم يقوم على فكرة استغلال قوة عمل أهل البـلاد الأصـليين ، وسياسة اسرائيل هى الحلول محـل العرب أهل فلسطين . والواقع أن أشد تجارب الاستيطان بشاعة تمت على أساس ابادة أهل البلاد الأصليين (الهنود الحمر فى الأمريكيتين والأهالى الأصليين فى أوستراليا ونيوزيلنده) . وهو هدف فى حد ذاته يقع تحت مفهوم جريمة ابادة الأجناس التى حرمهـا الأمم المتحدة فى قراراتها المختلفة .

هذا وتطبق اسرائيل حاليا سياسة التفرقة العنصرية على عرب فلسطين المقيمين بها وعلى اليهود الشرقيين أنفسـهم . فالقوى الصهيونية والاستعمارية لا تثق الا فى عناصرها من اليهـود الغربيين . « تعيش الكتلة الأساسية من السكان العرب فى دغل من المساكن القذرة المبنية من أنقاض العصور القديمة . وأمثال هـذه التناقضات واضحة فى كل مكان وهى ثمرة التمييز الذى

يشين حياة اسرائيل . والواقع أنه مما يثير السخرية أن أناسا حاربوا طويلا ضد الاضطهاد الواقع عليهم يصبحون هم أنفسهم مضطهدين للآخرين . وأكثر الناس بؤسا هم اليهود من أصول آسيوية وأفريقية حيث يصل دخل الواحد منهم الى نصف دخل غيرهم من العمال . وكذلك يعانى العمال العرب من الدخل المنخفض والفقر الحاد » (١) .

وهناك أوجه شبه كثيرة بين الوضع الذى يعانيه العرب فى اسرائيل وبين الأوضاع الناجمة عن سياسة التفرقة العنصرية فى جنوب أفريقيا . وتتجلى هذه المشابهة فى المركز القانونى للأشخاص ــ الذين من أصل عربى ــ كما تتجلى فى قوانين الملكية (٢) .

والعنصرية فى الدولة الصهيونية لا تقتصر على العرب فقط بل تمتد الى عناصر يهودية كاليهود الشرقيين وهم اليهود الذين

---

(١) من الكاتب اليهودى هيمان ليمر فى مقالة له بجريدة الووكر ، الاهرام فى ٩ سبتمبر ١٩٦٧ ، ويضيف الكاتب فى مقالته : « وتقوم سياسة حكومة اسرائيل على الاستعداد لشن الحرب . وهى مستمرة فى الارتباط بامبريالية الولايات المتحدة وبريطانيا والمانيا الغربية وترفض الاعتراف بحقوق ما يزيد عن مليون لاجىء عربى » .

انظر للكاتبة العلاقات الدولية العربية ، صفحة ٢٠٠ وما بعدها .

(٢) ومن العناصر اليهودية الاخرى التى تعانى من آلام التفرقة فى اسرائيل ، الملونين وهم الذين هاجروا اليها من بعض دول آسيا كيهود الهند ــ مثلا ــ بالاضافة الى الذين ولدوا نتيجة تزاوج بين اليهود والزنوج ، ومعظم هذه الزيجات تمت فى الخارج لان المجلس الحاخامى اليهودى فى اسرائيل يمنع بحكم القانون زواج الاسرائيليين البيض بالاسرائيليين الملونين .

هاجروا الى اسرائيل من دول أوروبا الشرقية وآسيا وشـمال أفريقيا ومنهم أيضا اليهود الذين ولدوا فى الأرض الفلسطينية أو الذين كانوا يقيمون فيها قبل احتلالها . فهؤلاء اليهود يعانون من اضـطهاد واضح من جانب اليهـود الغربيين الذين جاءوا لاسرائيل من أوروبا الغربية وأمريكا . والسبب فى هذا الاضطهاد أن يهود الغرب يعتبرون أنفسهم أكثر حضارة ومدنية وثقافة من اليهود الشرقيين ويسيطرون على جميع أوجه الحياة السـياسية والاقتصادية والاجتماعية داخل اسرائيل . وتقول الاحصاءات أن ٩٤ ٪ من الوظائف الرئيسية فى اسرائيل يتقلدها يهود من أصل أوروبى . كما أنهم يتقلدون ٧٢ ٪ من المراكز الصغيرة . أما الوظائف الباقية فيتقلدها يهود أمريكا ثم اليهود الشرقيين الذين يعمل معظمهم فى مجالات الانشـاءات كبناء المساكن أو رصف الطرق ومجال الصناعات الخفيفة واليدوية . أما ميـدان الانتاج الصناعى فيحتكره يهود الغرب (١) .

وواقع الأمر أن الصهيونية تؤمن بنظـرية التفوق الغربى وحضارة الرجل الأبيض وتقدم اسرائيل للغرب على أنها جزء من حضارته وتضع مصائر اسرائيل بيد يهود أوروبيين يقيمون دولة مصـطنعة هى امتداد لأوروبا فى قلب الوطن العـربى ، وهو

---

(١) انظر البحث الذى قدمه الوفد الجزائرى فى مؤتمر القانونيين العرب الذى انعقد بالجزائر فى يوليو سنة ١٩٦٧ بعنوان الاقلية العربية فى اسرائيل . انظر أيضا للكاتبة ، العلاقات الدولية العربية ، هامش الصفحة ١٩٢ ، ١٩٣ ، ١٩٦ و ١٩٧ .

ما يدفعهم الى رفض المعيشة مع أهل المنطقة كجزء منها . كما أنها تعتبر نفسها جزءا من الاستعمار الغربى ولا تسعى الا لمجرد التميز فى داخله للاشتراك ، كطرف مستقل ، فى اقتسام الكرة الأرضية (1) .

ثانيا : التوسع الاقليمى :

تضمن التصريح الخاص بانشاء دولة اسرائيل نداء موجها الى جميع اليهود للمهاجرة الى اسرائيل :

« نحن نوجه الدعوة الى كل اليهود فى سائر العالم لكى يجتمعوا حول يهود اسرائيل لمساندتهم فى مهمة تنظيم الهجرة والتنمية ... » كما نصت المادة الأولى من قانون العودة — وكما سبق القول — على اعطاء كل يهودى الحق فى أن يعود الى البلاد بوصفه مهاجرا . وقضت بالتالى على أى تحديد لهجرة اليهود الى فلسطين بل ووضعت التزاما على عاتق كل يهودى بالاستقرار فى

---

(1) كتب هرتزل الى قيصر المانيا فى 1899/3/10 يقول : « هناك فروق بين السير سيسيل رودس وبينى . هناك فروق شخصية ليست فى صالحى . ولكن الفروق فى الاهداف هى فى صالح حركتنا لان بين أيدينا رأسمال يختلف كل الاختلاف عما عنده من رأس المال . ولان عندنا موارد انسانية عظيمة فى جميع انحاء أوروبا الشرقية » .

ملف وثائق فلسطين — الجزء الاول — ص 127 .

كما ورد فى كتابه الدولة اليهودية ما يلى :

« لو أعطانا السلطان فلسطين ، فاننا سنقوم بتوفير ما يلزم لسد نقص الميزانية التركية . وسنعمل على ان نقيم فى فلسطين درعا لاوروبا فى وجه آسيا وحصنا متقدما للمدنية ضد البربرية والتخلف . وسنظل ، بوصفنا دولة محايدة ، على علاقات مستمرة مع أوروبا التى يجب ان تضمن لنا وجودنا » .

هرتزل ، الدولة اليهودية ، صفحة 95 .

اسرائيل . واقرار الهجرة اليهودية المنتظمة الى اسرائيل يفرض عليها التوسع الاقليمى المستمر على حساب جيرانها العرب .

وقد أقر القانون التشريعى الذى أصدره الكنيست الاسرائيلى فى ٢٤ نوفمبر سنة ١٩٥٢ هذه السياسة التوسعية فى مواده المختلفة التى تحدد العلاقة بين المنظمة الصهيونية واسرائيل . وتتضمن هذه المواد ما يلى :

١ — تعتبر دولة اسرائيل نفسها صنيعة الشعب اليهودى بأسره ، وتمشيا مع قوانينها تفتح أبوابها أمام كل يهودى يرغب فى المهاجرة اليها (١) .

---

(١) قرر المؤتمر الثامن لنصرة الصهيونية رفض اى عملية استعمارية خارج فلسطين والبلاد المجاورة لها واصدر التوصية التالية :

"L'organisation sioniste s'entient fermement au principe fondamental du porgrammae de Bâle à savoir "la création d'une patrie garantie par le droit public pour le peuple jeuif en Palestine". et dédine, aussi bien comme but que comme moyen, toute action colonisatrice en dehors de la Palestine, et des Pays avoisinants".

وأعلن المؤتمر بذلك مبدأ استعمار فلسطين ونية التوسع على حساب الاراضى المجاورة . كما قرر أن البنك الاستعمارى اليهودى :

"Bien que fondée comme une banque ordinaire devant S'occuper d'opérations de crédit, d'encouragement à l'agriculture, au commerce, et à l'industrie, en Palestine et en Orient, poursuivait neamoins un but essentiellement politique".

انظر :

La Question Palestinienne, Colloque De Juristes Arabes sur la Palestine, Alger 22-27 Jiullet 1967.

٢ — ان المنظمة الصهيونية العالمية ، منذ تأسيسها ، قبل نصف قرن قد سارت فى طليعة حركة الشعب اليهودى ومساعيه لتحقيق رؤيا الأجيال بالعودة الى وطنه وأخذت على عاتقها ، بمساعدة أوساط وهيئات يهودية أخرى عبء المسئولية الرئيسية فى اقامة دولة اسرائيل .

٣ — تنذر المنظمة الصهيونية العالمية — الوكالة اليهودية لفلسطين — نفسها كما فعلت فى الماضى ، لدفع عجلة الهجرة الى اسرائيل ، وتدبر مشاريع الاستيعاب والاستيطان فى الدولة .

٤ — تعترف دولة اسرائيل بالمنظمة الصهيونية العالمية على أنها الوكالة المخولة السلطات فى متابعة عملها فى دولة اسرائيل لتوطين البلاد وتطويرها ، واستيعاب المهاجرين من « الدياسبورا » ، وتنسيق أوجه نشاط المؤسسات والجمعيات العاملة فى هذه الحقول فى اسرائيل .

٥ — ان مهمة جمع شمل المنفيين ، وهى الواجب الرئيسى لكل من دولة اسرائيل والحركة الصهيونية فى أيامنا هذه تتطلب من الشعب اليهودى فى الدياسبورا الاستمرار فى بذل الجهود ، ولذلك تتطلع دولة اسرائيل صوب مشاركة جميع اليهود والهيئات اليهودية فى بناء صرح الدولة

ومساعدة الهجرة الجماعية اليها وتعترف بالحاجة الى توحيد جميع الفئات والجماعات اليهودية لهذه الغاية [1] .

كما حدد التشريع الوضع القانونى للمنظمة الصهيونية فى اسرائيل وقرر الزام اسرائيل بتقديم كل صور التعاون والتنسيق للمنظمة وفقا لقوانين الدولة ولما تحدده المؤتمرات الصهيونية .

والواقع أن المتتبع لتاريخ الحركة الصهيونية يجد توافقا غريبا ومنتظما فى تاريخ الانتصارات الصهيونية : مؤتمر بال الأول عام ١٨٩٧ — وعد بلفور عام ١٩١٧ — أول مشروع لتقسيم فلسطين عام ١٩٣٧ — توصية الجمعية العامة بتقسيم فلسطين عام

---

(١) صرح اسحاق رابين فى ٢٤ سبتمبر ١٩٦٧ فى المؤتمر الصهيونى الذى عقد للاحتفال بمرور سبعين عاما على انعقاد مؤتمر بال الاول وطالب فيه بزيادة عدد يهود اسرائيل بسرعة الى ٥ مليون يهودى :

« لقد انتهت الحرب ، ولكن السلم لم يتحقق بعد . ان موقفنا اليوم يختلف تماما عما كان عليه منذ سبعين عاما حينما عقد المؤتمر الصهيونى لانشاء دولة يهودية فى اسرائيل القديمة ، اليوم توجد هذه الدولة ، ويعيش أبناؤها فى ظل حكومة يهودية لتحقيق شخصيتهم وابرازها . وواجب الصهيونية هو تقوية اسرائيل وحمايتها وضمان وجودها » .

كما ورد فى الانباء أخيرا أن اسرائيل تستعد لتوجيه نداء الى يهود العالم لجمع الف مليون دولار خلال ١٩٧١ لتغطية ما تسميه باحتياجاتها غير الدفاعية . ومنذ انشاء اسرائيل عام ١٩٤٨ ، ويهود العالم يدفعون نفقات استيعاب المهاجرين الى اسرائيل ، على أساس ان نقلهم اليها هو خدمة لجميع اليهود ولا ينبغى أن يتحمل نفقاته أولئك الذين استوطنوا فيها وحدهم . وان كانت المصادر الاسرائيلية تقول أنه على طوال السنوات الماضية لم تزد قيمة أموال المساهمات الاجنبية عن نسبة ٦٠ أو ٧٠٪ من نفقات استيعاب المهاجرين ، وتتحمل الحكومة الاسرائيلية الباقى من ايرادات الضرائب . اما بالنسبة للسنة القادمة التى ستبلغ فيها ميزانية الحكومة الاسرائيلية اربعة أمثال ما كانت عليه عام ١٩٦٦ ، فان اسرائيل تطلب من يهود العالم أن يستوعبوا كل النفقات .

١٩٤٧ (٢) ـ العدوان الثلاثى ومرور اسرائيل من مضايق تيران عام ١٩٥٦/١٩٥٧ ـ العدوان الأخير عام ١٩٦٧ الذى احتلت اسرائيل فى أعقابه أجزاء كبيرة من سوريا والأردن والجمهورية العربية المتحدة .

وقد يبدو من هذا أن هناك مخططا صهيونيا للتوسع كل عشر أو عشرين سنة . فالصهيونية فى طمع جغرافى مســتمر وتوسع اســتيطانى متزايد يقابله من الجانب العربى خســارة مستمرة ومنتظمة ـ لتحقيق غزو سكانى متزايد ورهيب ويدل على ذلك زيادتها العددية بمقدار ٤٠٠ ٪ فى العشرين سنة الأخيرة .

والتوسع الاقليمى حتمية ملازمة للوجود الصهيونى فى المنطقة وذلك حتى تستوعب اسرائيل ٢٠ مليون يهودى . وقد استطاعت الصهيونية أن تجند قواها وضمنت لدولتها فى البداية الموارد المالية التى تمكنها من تحقيق تقدم اقتصادى واجتماعى وعسكرى منتظم مبنى على الايمان بتفوق الحضارة الأوروبية فاستولت على

---

(٢) عند مناقشة مشروع التقسيم الذى اقترحته الجمعية العــامة اشترط مندوب الوكالة اليهودية لكى يقبل قرار التقسيم الاقرار بمبدأ تعديل الحدود فى المستقبل (الكتاب السنوى للامم المتحدة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ صفحة ٢٣٤) . وفى أثناء انعقاد مؤتمر كرين كيميث الذى انعقد فى ٨ أغسطس سنة ١٩٥١ فى بيت المقدس أعلن الحاخام سيمون بصفته الممثل الرسمى للحكومة الاسرائيلية ان هناك أعباء كثيرة ما زالت تنتظرها وان دولة اسرائيل كلها التى تمتد حدودها من النيل الى الفرات سوف تعرض على هذه المنظمة . وفى سنة ١٩٥٥ أعلنت اسرائيل فى كتابها السنوى الحكومى عن رضائها عن السياسة التوسعية بقولها : « ان انشاء الدولة الجديدة لا يقضى بحال على الحدود التاريخية لارض اسرائيل » أنظر أبحاث مؤتمر الجزائر ، يوليو ١٩٦٧ .

ممتلكات الفلسطينيين الذين طردتهم من أرضهم ، وقامت بفرض الحراسة على أموال الغائبين (وتقدر بحوالى ٧٠٠ مليون جنيه استرلينى) ، فضلا عن أرصدة فلسطين الاسترلينية المتجمدة التى أفرجت عنها انجلترا لحساب اسرائيل عام ١٩٤٨ . وقامت ألمانيا بدفع مبلغ ١٫٦١١ مليون دولار كتعويضات ـ رغم أن ألمانيا لم تعوض اليهود غير الاسرائيليين ـ ودفعت للحكومة الاسرائيلية مبلغ ٧٦٤ مليون دولار مباشرة مع ما فى ذلك من اعتراف بهـا كممثلة لليهود فى كل أرجاء العالم وأيا كانت جنسيتهم . كل ذلك بالاضافة للتبرعات اليهودية ، وأكثرها يجىء من يهود الولايات المتحدة التى تؤيد حكومتها حركة التبرع هذه وتخصمها من الدخل الخاضع للضريبة الأمريكية أيا كانت قيمتها ، وهبـات الحكومة الأمريكية والقروض والاستثمارات التى تساهم فيها الحكومة الأمريكية مبـاشرة أو عن طريق بنك « الاستيراد والتصدير » المملوك لها ، ومنها السندات التى تصدرها اسرائيل ويغطيها كلها اليهود الأمريكيون والشركات الاحتكارية الأمريكية، كما تقوم بالاستثمارات الاحتكارات الأمريكية (فورد ـ كريزلد ـ فريوز ـ كوكاكولا) وبعض الاحتكارات الألمانية والفرنسية . وبهذه الموارد الضخمة استوعبت اسرائيل موجات الهجرة وحققت ارتفاعا فى دخل الفرد ولم تكن فى مبدأ الأمر بحاجة الى التوسع. غير أن الأمور تغيرت منذ عام ١٩٦٤ فقد استنفذت التعويضات الألمانية وألقت أقساط القروض أعباء اضافية على ميزان المدفوعات

وقل جمع التبرعات . وانعكس هذا الوضع على كل الحياة الاقتصادية وارتفعت نسبة البطالة الأمر الذى ترتب عليه عدم اقبال يهود أوروبا وأمريكا على الهجرة الى اسرائيل فضلا عن مغادرة كثير من سكان اسرائيل من اليهود للبلاد وعودتهم الى بلادهم الأصلية لدرجة أن عدد المهاجرين الجدد الى اسرائيل أصبح عام ١٩٦٦ أقل من عدد الاسرائيليين الذين يهاجرون منها . فاذا مالاحظنا أن كثافة السكان فى اسرائيل أصبحت كبيرة نسبياً وأن الأراضى القابلة للزراعة بها محدودة والموارد المائية قليلة ومشروعات الرى باهظة التكاليف والمعادن قليلة وأن المزارع التى أقيمت فى النقب تخدم فى الواقع أغراضا عسكرية لوضح السبب الرئيسى الذى يكمن وراء حرب ١٩٦٧ ألا وهو التوسع الاقليمى.

والتوسع الاقليمى يدفع الصهيونية واسرائيل الى انتهاج سياسة مؤداها :

الأمر الأول : ممارسة التوسع الاقليمى بصفة مستمرة اضرارا بجيرانها العرب ، ويقطع بذلك تاريخها الطويل منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ١٩٦٧ (١) . والحركة الصهيونية واسرائيل لم تجذب

---

(١) اصدر ابا ايبان تصريحا فى ١٦ يونيو ١٩٦٧ ورد فيه :

"Even if the U.N. Votes by 121 to one, we will not withdraw from the territory we have occupied"

كما اعلن فى يوليو ١٩٦٥ :

"It is not impossible to imagine Arab leaders in the future asking for a return to 1966 or 1967 boundaries, just as they ask now for the return to the 1947 boundaries which they refused then."

اليها حتى الآن داخل فلسطين أكثر من ٢ مليون ونصف مليون يهودى من مجموع ٢٠ مليون يهودى فى العالم . واذا كانت ترمى الى اتساع دولتها لهذا المجموع كله فلا بد من أرض جديدة غير التى تحتلها تتسع لاستيعاب هذا العدد . ويجب — فى نظرها — أن تشمل منابع نهر الأردن حتى تستكمل مشاريع مياهها التى تؤمن لها مساحات واسعة فى النقب .

الأمر الثانى : فرض الوجود الاسرائيلى على الأرض العربية المحتلة فى فلسطين وتأكيد هذا الوجود بالحصول على الاعتراف العربى باسرائيل وبالتالى تصفية القضية الفلسطينية وحقوق شعب فلسطين ووضع نهاية لها . والواقع أن الأمر الحيوى بالنسبة لاسرائيل ليس اعتراف البلاد العربية بها فقط وليس توقيع معاهدات بل ضم بعض المناطق المستولى عليها فى يونيو ١٩٦٧ والتى تعتبرها اسرائيل ضرورية لأمنها وسلامتها .

الأمر الثالث : تعمل الصهيونية حاليا — وبعد أن حققت الجزء الأكبر من أحلامها — على التمكين لدولتها على حساب البلاد العربية الأخرى واثبات القوة الاسرائيلية ونشأتها كدولة عسكرية قوية فى الشرق الأوسط حتى تشجع اليهود المترددين فى الهجرة على استمرار التدفق على اسرائيل . وذلك بتأكيد قدرتها على تحقيق الاستقرار لمجتمعها وحماية كيانها فوق الأرض المحتلة . ولم يكن يتأتى هذا التأكيد الا بعدوان على العرب تحاول عن طريقه توسيع موقعها الجغرافى والاقتصادى لتخدم بذلك قضيتها

الصهيونية وتحقق جزءا من حلمها لانشاء اسرائيل الكبرى ولتظهر قدرتها على استيعاب مهاجرين جدد . ومما يؤكد ذلك أن العالم قد شهد عقب عدوان ٥ يونيو ١٩٦٧ حملات واسعة النطاق قامت بها المنظمات الصهيونية ورحلات خارجية متعددة قام بها الزعماء الاسرائيليين لاجتـذاب اليهود الغربيين وحملهم على الهجـرة لاسرائيل . وكانت جميع المنظمات وتصريحات الزعماء فى الخارج تعمل على اظهار الكيان الصهيونى المفتعل بمظهر الكيان الذى حقق لنفسه استقرارا سياسيا واقتصاديا كنتيجة لهذه الحروب . وكان واضحا أن المادة الأساسية التى استخدمت كانت تتمثل فى النتائج العسكرية السريعة التى استطاعت تحقيقها خلال هـذا العدوان . ويلاحظ أن الحكومة الاسرائيلية فى كل التصريحات الحديثة لها توجه نداء حادا لزيادة الهجرة خصوصا وأن الزيادة الطبيعية للشعب اليهودى بالنسبة للشعب العربى يهدد بالاخلال بالتوازن الحالى الموجود بها [1] .

---

(١) يلاحظ أن اليهود ، عند ما فكروا بادىء الامر فى العودة الى فلسطين ، لم تكن تراودهم فكرة طرد العرب من اهلها ، فهذه الفكرة لم تظهر الا فى القرن التاسع عشر ، عندما اندمجت الناحية الروحية بالناحية السياسية .

وقد عبر عن هذا احد زعمـائهم حين قال : « أن فلسطين وطن بلا شعب فيجب أن تعطى لشعب بلا وطن وواجب اليهود فى المستقبل أن يضيقوا الخناق على سكان فلسطين العرب حتى يضطروهم الى الخروج منها » . اسرائيل زانكويل مؤسس منظمة استعمار الاراضى ، الهيئة العربية العليا ، اللاجئون الفلسطينيون ، ص ٨ . انظر مشكلة اللاجئين الفلسطينيين لادوار سيدهم ، ص ، ١٣ . ومن ذلك مثلا ما قاله سميلانسكى « أن فلسطين يجب أن تكون وطنا للشعب اليهودى ، وأنه من الممكن نقل اهل فلسطين الى الاقطار المجاورة » وقال ألفريد موفد أحد زعمائهم « ان اليوم الذى سيعاد فيه بناء الهيكل أضحى قريبا ، وانني سأخصص بقية =

ثالثا : السيطرة الاقتصادية :

تحددت الرغبة فى استعمار المنطقة العربية منذ بداية الكتابات الصهيونية فورد فى احداها ما يلى : « انه يجب العمل بالوسائل التالية لتحقيق هذا المشروع المقدس وهى اقامة مجلس ينتخبه اليهود المقيمون فى الخمس عشرة بلدا التالية وهى : ايطاليا ، سويسرا ، المجر ، بولونيا ، روسيا ، بلاد الشمال ، بريطانيا العظمى ، أسبانيا ، بلاد ولس ، السويد ، ألمانيا ، تركيا ، آسيا ، وأفريقيا . فاللجنة الممثلة لليهود المقيمين فى هذه البلدان كلها يمكنها أن تبحث فى مهمتها وتتخذ من القرارات فى صددها . ويكون من الواجب على جميع اليهود أن يقبلوا هذه القرارات ويجعلوها بمثابة قانون لا مفر لهم من الخضوع له . أما البلاد التى ننوى قبولها بالاتفاق مع فرنسا فهى اقليم الوجه البحرى من مصر مع حفظ منطقة واسعة يمتد خطها من مدينة عكا الى البحر الميت ومن جنوب هذا البحر الى البحر الأحمر . فهذا المركز

= حيالى لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الاقصى » . وكشف جابوتنسكى احد زعمائهم عن خطة اليهود التى ترمى الى طرد العرب وتحقيق مشكلة اللاجئين عندما قال : « ان فلسطين يجب أن تكون لليهود واما العرب فلهم الصحراء . وان اتباع سياسة اللين مع العرب للتوصل الى توطيد أركان الوطن القومى اليهودى فى فلسطين ، واجلاء العرب عنها تدريجيا مع الزمن ، سياسة مملة يطول شرحها ، لانه أصبح معروفا لدى العرب ما هى الغايات التى يسعى اليها اليهود ، ولذلك بات من الضرورى مجابهة العرب بالأمر الواقع وافهامهم ضرورة الجلاء الى الصحراء » .

وصرح ليفى أشكول فى كلمة ألقاها فى الكنيست فى ٥ يوليو عام ١٩٦٦ « ان مسألة تهجير اليهود من الدول الغنية والكبيرة مسألة من طليعة المسائل التى تشغل اهتمامنا لاننا نعمل على أن يصل تعداد السكان فى اسرائيل قبل نهاية القرن الحالى الى خمسة ملايين يهودى » .

انظر العلاقات الدولية العربية ، صفحة ١٧٣ وما بعدها .

الممتاز الملائم أكثر من أى مركز آخر فى العالم يجعلنا بواسطة سير الملاحة الآتية من البحر الأحمر قابضين على ناحيــة تجارة الهند وبلاد العرب وأفريقيا الشمالية والجنوبية . ولا شك أن بلاد أثيوبية والحبشة لا تتأخر عن اقامة علاقاتها التجارية معنا بملء الرضا والارتياح . وهى البلاد التى كانت تقــدم للملك سليمان الذهب والعاج والحجارة الكريمة . ثم أن مجاورة حلب ودمشق لنا تسهل تجارتنا . وموقع بلادنا على البحر المتوسط يمكننا من اقامة المواصلات بسهولة مع فرنسا وايطاليا وأسبانيا وغيرها من بلدان أوروبا . ولما كانت بلادنا فى موقع متوسط فى العالم بأنها ستصبح كمستودع لجميع الحاصلات التى تنتجهـا الأراضى الغنية .. » (١) .

وقد طمعت الصهيونية منذ البداية فى منطقة الشرق الأوسط وبذلت جهودا مستميتة لاقرار تكوين الوطن القومى اليهودى بها . وقد دفعها الى هذا توافر عناصر معينة فى المنطقة العربيــة تجعل منها منطقة من أشد مناطق العالم خطورة وتأثيرا فى مجريات العلاقات الدولية .

أولا : العامل الجغرافى :

من أهم ما يميز الموقع الجغرافى للبلاد العربية ، أنها كانت طوال عصور التاريخ معبرا يربط بين قارات العالم القديم الثلاث

(١) انظر نداء شبتاى زى الى اليهود عام ١٧٩٨ ، ملف وثائق فلسطين ، الجزء الاول ، صفحة ٣٥ .

آسيا وأفريقيا وأوروبا ، فاكتسب ازاء هذا خاصيته الجغرافية الأساسية التى جعلته معبرا يربط بين الشرق والغرب . ولهـذا لعب العرب ، بفضل هذا الموقع الفريد ، دور الوسيط فى التجارة والحضارة [1] . وقد قامت الحروب الصليبية التى اتخذت الدين ذريعة للقضاء على نفوذ العرب والسيطرة على طريق الشرق ، غير أن هذه الحروب لم تحقق أهدافها . وفقدت البلاد العربيـة أهميتها مؤقتا بعد اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح . ثم كان شق قناة السويس التى أحدثت ثورة فى جغرافية العالم فى القرن ١٩ وأصبح البحر الأحمـر هو الطريق الطبيعى للوصول الى الثروات الهائلة الموجودة فى الشرق الأقصى وفى أفريقيا الشرقية . ولهذا فان من يسيطر على المنطقة العربية يسيطر على أهم طريق للمواصلات الدولية ويضمن التحكم فى نقل البترول شمالى قناة السويس اما عن طريق القناة أو عن طريق أنابيب البترول .

ثانيا : العامل الاقتصادى : تتمتع المنطقة العربية بامكانيات طبيعية وبشرية ضـخمة تشكل قوة اقتصـادية هامة فى المجـال الدولى . فالبلاد العربية ــ بما فيها فلسطين ــ تشـتمل على مساحة واسعة تمثل ٨ر٣ ٪ من مساحة العالم ، وتتمتع نظرا لهذه المساحة الكبيرة المتباينة التضاريس والمناخ بكثير من المواد

---

(١) انظر كتاب دروس فى المجتمع العربى للدكتور صوفى ابو طالب ، ١٩٦٦ ، ص ١٣٢ وما بعدها والمقومات الجغرافية للوطن العربى للدكتورين ابراهيم رزقانه ومحمد صفى الدين ابو العز ، كتاب المجتمع العربى ، ١٩٦٤ ، ص ٢١ وما بعدها وايضا العلاقات الدولية العربية للكاتبة ، صفحة ١٨ وما بعدها .

الأولية ومن المنتجات الزراعية المتباينة . كما تحتوى البلاد العربية بتقديرات سنة ١٩٦٧ على حوالى ٦١ ٪ من احتياطى الزيت الخام المعلن والذى قدر بحوالى ٤٠٠ مليون برميل . وهـذه النسبة الضخمة تبين مدى أهمية البلاد العربية فى الميدان الدولى ، وهى أهمية تتزايد مع الزمن وذلك لاستمرار اكتشاف احتياطات جديدة فى البلاد العربية ولعدم اكتشاف احتياطات جديدة فى المنـاطق الأخرى المنتجة للبترول مع استمرار استهلاك الموجود منهـا وازدياد الاحتياجات الى البترول .

والأهميـة الحقيقية لأى منطقة انتاجية تدل عليهـا نسبة مساهمتها فى حركة البترول العالمية وتجارته ، ومقدار ما تسهم به فى اشباع الاحتياجات العالمية من الزيت . وترجع أهمية المنطقـة العربية فى هذا المجال الى أنها أعظم مصدر لامدادات الزيت فى العالم . وفى ١٩٦٧ ساهم البترول العربى بنسبة ٥٤ ٪ من اجمالى صادرات البترول العالمية التى بلغت حوالى ٨٥٠ مليون طن . وتنتج البلدان العربية أكثر من ٤٦ ٪ من استهلاك العالم ، باستثناء الولايات المتحدة . واذا كان اتساع الرقعة الجغرافية والكثافة السكانية العربيـة يحول بين الصهيونية وبين وضع يدها على المنطقة كلها ، واذا كانت الأمة العربية بمقوماتها الحضارية تقف فى وجه ما تهدف اليه الصهيونية ، فان الصهيونية تسعى حاليا لتحقيق سيطرتها الاقتصادية على المنطقة ونشر الحضارة الأوروبية فيها وصبغها بصبغتها تمهيدا للقضاء على مقومات الأمة العربية

فى النهاية فمن الصعب على الصهيونية القيام بطرد جميع السكان العرب أبناء المنطقة واحلال يهود محلهم كما أنه من الصعب عليها احتلالها عسكريا ولذلك فانها تهدف الى تحقيق السيطرة الاقتصادية ووضع اليد على خيرات وثروات المنطقة واليد العاملة الرخيصة الموجودة بها . وتحلم الصهيونية بتحقيق التكامل الاقتصادى للشرق الأوسط على أساس أن تكون اسرائيل قاعدته الصناعية الضخمة المسيطرة تتجمع فيها الاحتكارات العالمية وتقيم فيها مصانع التجميع والتركيب والتجهيز لمنتجاتها ، وتكون الأقطار العربية مورد المواد الأولية وسوق تصريف المنتجات الصناعية .

كما تحلم الصهيونية بالبترول العربى وبأن تكون شريكا فى استغلاله واسرائيل قاعدة لتصديره ومركزا لتصنيعه تستقر فيه صناعة بتروكيميائية ضخمة تغطى احتياجات المنطقة كلها (١) . وخطر السيطرة الاقتصادية هنا يمتد الى المشرق العربى والمغرب العربى سواء بسواء والذى يقف بين اسرائيل وبين تحقيق حلمها هو موقف مصر وصمودها ، فاذا ما أمكنها التغلب عليها فمن فى المنطقة العربية سيحول بين اسرائيل وبين تحقيق أحلامها فى ظل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى تعيشها الأمة العربية حاليا؟

---

(١) والخلاف فى اسرائيل بين المتطرفين والمعتدلين ليس خلافا حول الهدف وانما حول الوسائل . المتطرفون يريدون فرض السيطرة بالقوة بأساليب الاستعمار القديم ، والمعتدلون يريدون الاعتماد على أسلوب الاستعمار الجديد عن طريق الروابط الاقتصادية والفئات الاجتماعية الموالية وبث الفرقة والشقاق على أسس قومية أو اقليمية أو قبلية .

الادعاءات الصهيونية :

أولا : الروابط الروحية والدينية :

أول الحجج التى تستند اليها الصهيونية هى الدعوى الخاصة بالروابط التى تربط بين اليهود وفلسطين على أساس الوعد الالهى لبنى اسرائيل فى أرض كنعان . وتستخرج الصهيونية من نصوص التوراة ما تبرر به ادعاءاتها : اقامة الدولة الصهيونية ، فى رأيهم على أرض العرب وانتزاعها من أصحابها ومساندتها ليس أمرا مشروعا فحسب بل انه استجابة لمشيئة الرب . والصهيونية على هذا الأساس تقيم وزنا للعشرين عاما التى مضت على اقامة دولتها اسرائيل وتهدر الألفى عام التى عاشها العرب على أرض فلسطين . والواقع أنه اذا كان هناك مجال للتمسك بهذا الوعد فان الوعد صدر لذرية ابراهيم والعرب وهم أولاد اسماعيل من زوجته هاجر لهم نفس الحق فى أن يرثوا الأرض (١) ، مثلهم فى ذلك

(١) "... two considerations rule out the conception of an independent jewish Palestine for practical politics. The first is that the province as we know it is not jewish, and that neither Mohammedan nor Arab would accept jewish authority, the second that the capital, Jerusalem is equally sacred to three faiths, jewish, christian and Moslem, and should never, if it can be avoded be put under the exclusive control of any local Faction, no matter how carefully the rights of the other two may be safeguarded".

Cab. 24/28, British government Record Office, Circulated by the secretary of State for India, British government Official Records.

ملف وثائق فلسطين – الجزء الثانى – صفحة ٦٠٦ .

مثل أبناء عمومتهم ذرية اسحق . واذا كانت الوصايا العشر قد أعطيت لليهود فوق أرض سيناء واذا كانت فلسطين تلعب دورا كبيرا فى التاريخ اليهودى فان الأمر كذلك بالنسبة للتاريخ المسيحى (١) وللتاريخ الاسلامى . وقد ساندت الدول الأوروبية وساعدت فى انتشار هذه الدعوى كذريعة للتخلص من الأعداد اليهودية الموجودة بها (٢) .

= ويدعى بنو اسرائيل انهم شعب الله المختار وفى سبيل الوصول الى تقرير هذه النتيجة وصموا غيرهم من الشعوب بالدنس وصبوا عليهم لعنة الخالق . واستبعدت النصوص الدينية من رحمة الله كل الشعوب عدا بنى اسرائيل رغم ما ورد فى نص التوراة (سند التكوين الاصحاح ١٥) من وعد نسل ابراهيم دون تمييز بالارض التى تقع بين الفرات والنيل والنص يقول « ... فى ذلك اليوم قطع الرب من ابراهيم ميثاقا قائلا : « لنسلك أعطى هذه الارض : من نهر مصر الى النهر الكبير نهر الفرات » .

صوفى ابو طالب ، المرجع السابق ، ٢١٢ وما بعدها .

(١) « انى أرفض الربط بين اليهود وبين فلسطين أو أن فلسطين هى المكان الملائم ليعيشوا فيه . لقد صدرت الوصايا العشر لليهود فى سيناء . حقيقة ان فلسطين تلعب دورا كبيرا فى التاريخ اليهودى ، غير أنها تلعب نفس الدور فى التاريخ الاسلامى الحديث ، كما أنها تلعب دورا أكبر من أى دور يلعبه بلد آخر فى التاريخ المسيحى . لعل المعبد كان موجودا فى فلسطين ولكن ملاحظة السيد المسيح لتلاميذه على الجبل والصلب قد حدث أيضا فى فلسطين . اننى لا أنكر على اليهود حقوقا استعمارية مساوية لغيرهم ممن يعتنقون أديانا أخرى ولكن اعتبار الدين اختبارا لازما للحصول على اليهودية الوطنية يبدو أمرا لا يقره الا الذين تتسم نظرتهم الى حقبة معينة فى تاريخ فلسطين بالتعصب وضيق الافق ومن ثم فهم يطالبون لليهود بمركز لا حق لهم فيه » .

أنظر وثائق الحكومة البريطانية السابق الاشارة اليها ، نفس المرجع صفحة ٥٩٧ .

أنظر للكاتبة ، العلاقات الدولية العربية ١٩٧٠ صفحة ١٤٣ وما بعدها .

(٢) ورد فى رسالة هرتزل أى القيصر فى ١٨٩٨/٥/٢٥ : « ... ان العنصر الحضارى الذى يمكنه ، ان يحتل فلسطين هو اليهود ... وانى ارى اوروبا مستعدة ان تشجع اليهود على الاحتلال أكثر من غيرهم ، وربما كان هذا التشجيع ليس لأن لهم الحق التاريخى الذى يضمنه لهم أقدس كتب البشرية ، وانما بسبب الشعور السائد فى كل مكان ، شعور العمل على اخراج اليهود ... » ملف وثائق فلسطين — الجزء الاول — ص ١٢٣ .

ثانيا : الحجة التاريخية : تتمسك الصهيونية بحجة تاريخية مضمونها أن اليهود كانت لهم دولة فى فلسطين وما جاورها فترة من الزمن ازدهرت فى عهد داود وابنه سليمان . وحقيقة الأمر أن أرض فلسطين قبل دخول اليهود اليها فى بداية الألف الأولى قبل الميلاد كانت سامية أى عربية فى الواقع باعتبار أن العرق السامى عربى فى أصوله الجغرافية ، وغدت نصرانية فى عهـد الرومان البيزنطيين ولكنها ظلت سامية من حيث العرق والسلالة البشرية ، ثم أصبحت اسلامية من حيث الدين وظلت عربية سامية من حيث التكوين والسلالة ، عاش فى نطاقهـا ، المسلمون والمسيحيون واليهود ، تحت الحكم العربى أحرارا مسالمين . واليهود الذين وجدوا خارج فلسطين سواء فى العصور القديمة أم الحديثـة لا يمتون بصلة ليهود فلسطين القدامى الا فى القليل النادر بعد المذابح التى تعرض لها يهود فلسطين على أيدى الرومان (١) . والكثرة الغالبيـة منهم تنتمى الى أجنـاس غير سامية اعتنقت اليهودية فى فترات مختلفة فى التاريخ . فأكبر طائفة يهودية فى العالم حاليا هم الاشكيناز الذين يتكلمون لغة البيدش ، وهم يهود شرق أوروبا ووسطها . وهم أحفاد الخزر وهو شعب بالقرب من البحر الأسود دخل جملة فى الديانة اليهودية فى القرنين السابع والثامن الميلادى ، وعلى رأسهم ملكهم بولان ملك مملكة الخزر فى روسيا الجنوبية الشرقية .

---

(١) ذلك أن الرومان بعدما هدموا هيكل سليمان امعنوا فى تقتيل اليهود وشردوا من نجا منهم من الموت وحرموا عليهم دخول اورشليم .

ولو أخذنا بمنطق اليهود فى القول بأن أجدادهم استوطنوا فلسطين وأقاموا فيها دولة فترة معينة من الزمن لترتب على ذلك ضرورة اعادة النظر فى توزيع دول العـالم المعاصرة ، ولخرج الأمريكيون من أمريكا تاركين اياها للهنود الحمر ولخرج الأسبان من أسبانيا تاركين اياها للعرب والأمثلة على ذلك كثيرة متعددة .

ثالثا : القومية اليهودية : ومن أهم الادعاءات الصـهيونية الادعاء الخاص بأن اصطلاح اليهودى ليس اصطلاحا دينيـا بقدر ما هو اصطلاح سياسى يعبر عن وجود قومية معينة هى القومية اليهودية ، وهى قومية متميزة بتاريخها وجنسها وثقافتها ولغتها وآمالها .

١ — والقول بوجود تاريخ مشترك لليهود قول يفنده الواقع ، فقـد عاش اليهود فى خلال السـنوات الألفين الماضية منتشرين داخل دول مختلفة يحملون ذكريات هذه الدول وتاريخها فى الحاضر والماضى ويمرون بما مرت به شعوبها المتعددة من تجارب . ولم تكن لليهود سيادة فى مملكة خاصة بهم على بعض أجزاء من فلسطين الا فى خلال حقبة محدودة من العهد القديم . فمملكة داود وسليمان لم تستمر الا ما يقرب من ثمانين عاما من سنة ١٠٠٠ قبل الميلاد الى سنة ٩٢٠ قبل الميلاد . كما أن مملكتى يهوذا

واسرائيل اللتين ورثتا المملكة المتحدة كان دورهما فى تاريخ اليهود محدودا للغاية ، فقد انصهرت اسرائيل فى قلب الامبراطورية الأشورية حوالى سنة ٧٢٢ قبل الميلاد ، وسقطت يهوذا فى يد الكلدانيين سنة ٥٨٦ قبل الميلاد . وذكريات هذه الممالك القصيرة الأجل تتصل بالدين والعاطفة أكثر من اتصالها بالتاريخ السياسى والاجتماعى . وقد أكد هذه الحقيقة المجمع اليهودى العام الذى انعقد أثر منح نابليون يهود فرنسا الجنسية الفرنسية وأجاب على سؤال طرحه نابليون خاصا بولاء اليهود وهل هم يكونون أمة مستقلة عن الأمة الفرنسية فكانت الاجابة بالنفى وأن اليهود فى العالم يكونون أجزاء من الأمم التى يعيشون فيها كفرنسيين وانجليز وألمان الخ ...

٢ — لا يكون اليهود وحدة جنسية منسجمة ، واذا كان بعض المتعصبين من اليهود يعتقدون بأنهم سلالة عناصر سامية نقية مختارة — على أساس أنهم من نسل رجل واحد هو ابراهيم عليه السلام — فان هذا الاعتقاد مجرد وهم لا يسنده البحث الأنتروبولوجى ، والواقع أن الشعب اليهودى خليط من أجناس مختلفة ، فقد اختلط اليهود بالشعوب الأخرى قبل ظهور شريعة موسى ، واعتنق كثير

منهم بعده الاسلام والمسيحة (١) ، فضلا عن أن الشريعة الموسوية تجيز التزاوج من غير يهودية اذا ما اعتنقت الدين اليهودى . وقد كانت أوروبا هى موطن اضطهاد اليهود (٢) ولكن الثورة الفرنسية استطاعت تصفية الوضع الخاص بتمييز الأقليات اليهودية (٣) ، وحين نمت الرأسمالية فى أوروبا الغربية على مستوى المجتمع كله اختفت المشكلة اليهودية لأن أوروبا الغربية غدت كما قال ماركس ـ كلها يهودية ، أى رأسمالية . وتأكدت

---

(١) تحول الى المسيحية كثير من اليهود الذين نجوا من المذابح الرومانية واندمجوا فى الشعوب التى عاشوا معها فاقتبسوا لغاتهم وعاداتهم خصوصا بعدما اصبحت المسيحية هى الدين الرسمى للدولة ومعاملة اليهود باعتبارهم قتلة المسيح . وقد ترتب على ذلك تعرضهم للقتل والتنكيل بهم فى سائر أرجاء الامبراطورية ولم ينعم منهم بالمساواة الا من عاش فى ممتلكات الدولة البيزنطية التى سقطت فى أيدى العرب المسيحيين منذ القرن السابع الميلادى . ونتج عن الاضطهاد الذى صاحب الحروب الصليبية تحول اعداد جديدة من اليهود الى المسيحية ، ومن بقوا على دينهم تجمعوا فى الاحياء المنعزلة « الجيتو » فى المدن الاوروبية . صوفى أبو طالب ، المرجع السابق ، ص ٢١٥ .

(٢) احترف اليهود فى القرون الوسطى تجارة المال والاقراض بفائدة ، وكانوا الراسماليين فى وسط مجتمع اقطاعى ، فحل بهم سخط الاقطاعيين ورفيق الارض فى آن واحد . اسماعيل صبرى عبد الله ، فى كتابه « فى مواجهة اسرائيل ».

(٣) أيد قياصرة الروس الصهيونية ، وبعد الثورة الروسية ألغيت كل القيود التى كانت مفروضة على اليهود ، بل واتاحت لهم الثورة تكوين اقليم مستقل استقلالا ذاتيا (اقليم بيروبيجان) ، غير أن العدد الاكبر منهم فضل الاندماج فى الشعوب السوفيتية المختلفة . وهاجر قادة « البوند » أى الرابطة او التنظيم التى كونها اليهود فى عهد القيصرية الى العالم الغربى وكان منهم وايزمان وبن جوريون وجولدا مائير وموسى شاريث . واستفادت الصهيونية من الثورة المضادة فى البلاد المجاورة لروسيا وظهور الاتجاهات الفاشية والنازية لتأكيد الدعوة الى الهجرة الى فلسطين . أنظر المرجع السابق ، لاسماعيل صبرى عبد الله .

التفرقة فى شرق أوروبا ولم يندمجوا فيها لتخلف الثورة بها . ولما ابتدأت هذه البلاد تموج بالتيارات الثورية كانت الدعوة السائدة هى تحقيق الاندماج والمساواة الكاملة لحل المشكلة اليهودية . غير أن الدعوة الصهيونية ولدت بالذات فى تلك الفترة وناضلت ضد الاندماج فى حين أيد الرأسماليون اليهود فكرة الاندماج لاسقاط الحواجز القانونية التى تحول بينهم وبين التمتع بكل ما تضفيه الثورة عليهم من مزايا . ولاقت الأفكار الصهيونية رواجا بين الطبقات الشعبية واستفادت الصهيونية من هذا الاتجاه لاقامة نوع من الدولة الاستعمارية فى المنطقة العربية . فالقضية لم تكن ايمانا بالوعد الالهى فى أرض كنعان وانما رغبة الصهيونية كقوة متميزة فى المشاركة فى اقتسام الامبراطورية التركية .

٣ — لا تجمع اليهود لغة واحدة مشتركة ، بل تختلف لغات اليهود باختلاف المجتمعات التى يعيشون فيها . ودعوة الصهيونية الى احياء اللغة العبرية وفرضها على اليهود هى دعوة لاحياء لغة منسية وفرضها على جماعات أجنبية عنها.

٤ — تختلف عادات اليهود وتقاليدهم وفقا لاختلاف المجتمعات التى يعيشون فيها والتى تنتشر فى كافة جهات العالم .

وعلى ذلك فالرابطة التى تجمع بين اليهود على مختلف جنسياتهم هى رابطة الدين فقط وليست رابطة القومية كما ادعت

الصهيونية على أمل ادماج الحركة الصهيونية فى دائرة الحركات القومية ، وهذه الحقيقة العلمية يسلم بها اليهود غير الصهيونيين كقاعدة عامة (١) .

فاليهودية ليست الصهيونية وليست هى اسرائيل ، وهى أولا وقبــل كل شيء كالمسيحية والاسلام دين وليست قوميــة . واليهودى انسان يؤمن باليهودية ، ولكن هذا الايمان لا يمنحه جنسية معينــة (٢) ودعوى اسرائيل فى الولاء المزدوج دعوى

---

(١) 'I assert that there is not a jewish nation. The members of my family, for instance, who have been in this country for generations; have no sort or kind of community of view or of desire with any jewish family in any other country beyond the fact that they profess to a greater or lesser degree the same religion. It is no more true to say that a jewish English man and a jewish moor are of the same nation than it is say that a christian Englishman and a christian Frenchman are of the same nation, of the same race, perhaps, traced back through the centuries — through centuries of the history of a peculiarly adaptable race". Cab. 24/24, Circulated by the Secretary of State for India.

وقد كتبه مونتاجو الذى كان وزيرا فى الوزارة الانجليزية ، وهو يهودى غير متعصب . انظر ملف وثائق فلسطين ، صفحة ٥١٧ وما بعدها .

(٢) قرر الحاخام هرمان آدلر الحاخام الاكبر لانجلترا ١٨٧٨ ما يلى :
« منذ غزو فلسطين بواسطة الرومان أصبح اليهود لا يكونون مجتمعا سياسيا، اننا كيهود ننتمى سياسيا الى البلاد التى نعيش فيها . أننا بكل بساطة انجليز او فرنسيون أو المـان . اننا نمارس بالضرورة بعض العقائد الدينية الخاصة بنا ، ولكننا لا نختلف فى هذا الشأن مع المواطنين الذين يعتنقون اى دين آخر ، اننـا نشاركهم فى المساهمة فى رفاهية الوطن ونطالب بحقوق وواجبات المواطنين » .

ولقد أكد هذا المعنى الحاخام الامريكى ويس فى سنة ١٨٨٣ ، كما أقره رجال الدين اليهود فى كل مكان ونشير هنا بصفة خاصة الى القرار الذى صـــدر عن مؤتمر يهودى عقد فى مدينة بتسبورج الامريكية فى سنة ١٨٨٥ ونصه كالآتى :
« اننا اليهود لا نعتبر أنفسنا أمة بل مجرد جماعة دينية ، وعلى هذا لا نفكر فى العودة الى فلسطين ولا نرغب فى احياء أية قوانين متعلقة بالدولة اليهودية » .

وقد عانوا وما برحوا يعانون من الاستبداد الاستعمارى والتمييز العنصرى . غير أن أنهم يعارضون فى أن يكون الحل على حساب الشعب العربى والأرض العربية ، ويؤيدون ــ وبشدة وباصرار ــ ضرورة العمل على توفير الظروف الصحية الطبيعية القانونية والسياسية والاجتماعية داخل كل بلد لــكى يندمج فى شعوبها وقومياتها التاريخية أبناؤها من اليهود كمواطنين لهم ما لجميع المواطنين من ديانات أخرى من حقوق وواجبات .

واذا كان رجال الدين اليهود الذين عاصروا نشــأة الحركة الصهيونية رفضوا فكرة وجود شعب يهودى يرتبط برابطــة القومية فان هذه المعارضة ما زالت مستمرة حتى الآن تتزعمهــا الجماعات اليهودية غير الصهيونية . خصوصا وأن التسليم بفكرة القومية اليهودية يؤدى الى اعتبار اليهود فى كل بلد أقلية قومية ، ويثير قضية الولاء المزدوج لليهودى (١) ويؤدى فى النهاية الى

(١) اصدرت السفارة الامريكية ببيروت فى شهر سبتمبر ١٩٦٩ بيانا اعلنت فيه : « ان الرعايا الاسرائيليين الذين من أصل أمريكى يســـتطيعون الاحتفاظ بجنسيتهم الامريكية حتى اذا خدموا فى القوات الاسرائيلية » وهو بيان يتعارض مع القوانين العسكرية الامريكية التى تسقط الجنسية عمن يحارب تحت علم غير امريكى. وقد بررت الولايات المتحدة هذا البيان بأن معظم هؤلاء الاشخاص يحملون جنسية مزدوجة (اسرائيلية ـ امريكية) وهو تاكيد لفكرة الولاء المزدوج التى تنادى بها اسرائيل . وقامت ج.ع.م. بارسال مذكرة الى الامين العام للامم المتحــدة والى رئيس مجلس الامن توضح فيها رأيها فى هذا البيان الذى يتضمن مشاركة الولايات المتحدة فى العدوان متخفية وراء الجنسية الاسرائيلية لرعاياها اليهود .

باطلة . فالجنسية فى علم القانون هى علاقة قانونية تربط فردا معينا بدولة معينة أو بتعبير آخر هى وصف فى الفرد يقيد انتسابه الى دولة معينة . وعلاقة الجنسية التى تربط الفرد بالدولة تقوم على أساس الحماية من جانب الدولة ، والخضوع من جانب الفرد ، واليهودى يكسب جنسيته من انتمائه للبلد الذى ولد فيه ونشأ وارتبط مصيره به تاريخيا . والعرب سواء أكانوا يدينون بالاسلام أم بالمسيحية أو اليهودية ينظرون للأجانب تبعا لجنسيتهم بغض النظر عن الدين الذى يؤمنون به سواء أكانوا مسيحيين أم يهود أم مسلمين . ولذلك فهم ضد الصهيونية التى تسعى فى ظل قاعدة عنصرية استعمارية الى فرض وجودها والتوسع على حساب شعوب وأقاليم المنطقة العربية . بل ويعترف العرب بوجود ما يسمى « بالمشكلة اليهودية » التى تولدت عن حركة المعاداة للسامية فى القرون الوسطى وبلغت ذروتها مع قيام النازية فى ألمانيا ، وهم على استعداد للمشاركة فى حلها حلا جذريا يقضى على كل اضطهاد للانسان بسبب دينه أو معتقداته أو جنسه أو لونه . وجوهر اللاسامية هو انكار صفة الأوروبى على اليهودى الأوروبى ورده الى مرتبته العنصرية بين « العناصر الدنيا » فى سلم التمييز العنصرى : فاللاسامية ليست الا أحد مظاهر الاتجاه العنصرى الأصيل الذى يتمثل فى الموقف من الصفر أو من السود أو من الشعوب الملونة كلها . والعرب هم أيضا بمنطق العنصرية من ناحية الأصل ساميون كاليهود تماما

بعث المعاداة للسامية من جديد (١) . ويدفع البعض بأن مصالح اسرائيـــل كشعب وكدولة أصبحت متميزة الآن عن الحـــركة الصهيونية العالمية واتجاهاتها ، وأنه يمكن القـــول الآن بوجود قومية اسرائيلية بالنسبة للاسرائيليين الذين ولدوا فى اسرائيل « السابرا » وللذين يتكلمون العبرية منـــذ طفولتهم فأصبحت لغتهم الأصلية . وهو قول مردود : فعنصر الزمن لا يكفى لتكوين أمة متميزة كما أن التمسك بالسيطرة على أرض ما لا يعبر دائما عن شعور وطنى ، ويوجد فى اسرائيل انقسام حضارى بين اليهود الأوروبيين واليهود الشرقيين جوهره احساس الأول بتفوقهم على

---

(١) ورد فى خطاب مونتاجو السابق الاشارة اليه ما يلى :

"When the jews are told that Palestine is their national home, every country will immediately desire to get rid of its jewish citizens, and you will find a population in Palestine driving out its present inhabitants, taking all the best in the country, drawn from all quarters of the globe, speaking every language on the face of the earth, and incapable of communicating with one another except by means of an interpreter. I claim that the lives that British jews have led, that the aims that they have had before then, that the part that thet they have played in our public life and our public institutions, have entitled them to be regarded, not as British jews, but as jewish Britons. I would willingly disnationalise every Zionist. I would be almost tempted to prescribe the Zionist organisation as illegal and against the national interest. But I would ask of the British goverment sufficient tolerance to refuse to endorse a conclusion which makes aliens and foreigners by implication, if not at once by law, of all their jewish fellow-citizens.

المرجع السابق ، صفحة ٥٩٦ .

الآخرين ، كما أن القول بوجود قومية اسرائيلية ينفى بالضرورة فكرة القومية اليهودية . والأهداف الصهيونية تتخطى بطبيعتها الأهداف القومية اذ أنها لا تتصل فقط بتكوين دولة يهودية فى فلسطين بل تمتد أيضا لكى تشمل تأمين سلامة يهود العالم وحل المشكلة اليهودية .

والواقع أن يهود العالم لا تتوافر فيهم الشروط التى تتطلبها التفسيرات التى قدمت لتفسير معنى « الشعب » الذى يتمتع بحق تقرير المصير طبقا لاتفاقات حقوق الانســان الصادرة عن الجمعية العامة عام ١٩٦٦ : فاذا أخذنا بتفسير « الشعب » على أنه رعايا الدولة من الجنسين الذين يقطنون اقليمها ويخضعون لسلطانها وتربطهم بها رابطة الولاء فان يهود العالم الذين تفتح لهم أبواب فلسطين يتمتعون بجنسيات الدول التى يشكلون جزءا من شعبها ولا تتوافر فيهم هذه الشروط . واذا أخذنا بمد معنى الشعب حتى يغطى « الأمة » كجمع من الناس تربطهم فيما بينهم روابط مشــتركة من حيث الجنس والدين واللغة والعــادات والتقاليد ، فان يهود العالم لا تتوافر فيهم هذه المقومات لاختلافها باختلاف المجتمعات التى يعيشون فيها كما سبق لنا أن أوضحنا .

وخلاصة القول أن الرابطة الوحيدة التى تجمع بين اليهود هى رابطــة الدين وهى رابطــة مشابهة لتلك التى تربط بين المسيحيين والمسلمين . وهى ليست برابطة القومية التى يكون لها

الحق فى تقرير مصـيرها أو فى المطالبة بتكوين دولة (١) . ومن الخطأ الربط بين ما يدعيه اليهود من حقوق فى فلسطين وبين حق تقرير المصير لأن اليهود لا يطالبون بحقهم فى التحرر من السيادة الأجنبيـة بل يطالبون بالاستيلاء على اقليم مسكون بقوميـة أخرى ، وهم لا يطالبون بحقوق فى الدول التى يعيشون فيها ، وانما يطالبون بالقضاء على شعب آخر والحلول محله .

وضع اسرائيل الخاص داخل المعسكر الاستعمارى :

حدد جون كينـدى عام ١٩٦٠ فى كتابه « اسـتراتيجية

---

(١) "Les Jnifs ne constituent pas un clan, une tribu, une nation, au sens strict de ce mot... A la lumière de leur passé, il est etrange que l'on considére souvent les juifs comme une race distincte et que l'on fasse tant d'efforts pour le prouver... il n'existe aucune preuve decisive pour pretendre que les juifs forment une entité raciale, du moins selon les criteres traditionnels d'une classification sociale..."

انظر رسالة دكتوراة Marcel Bernfeld, Sionisme, 1920, P. 458.
ورد ذكرها فى كتاب La Question Palestinienne. Colloque de Juristes Arabes sur la Palestine, Alger 22-27 Juillet 1967. P. 29.

(٢) كما ورد فى المرجع السابق خطاب ذكره W.T. Mallison Jr. فى مقالته Zionist-Israel Juridical claims..., George Washington, Law Review 1964, P. 1075
ما يلى : "Le Departement d'Etat ne reconnait pas de rapports Juridico-politiques fondees sur la filiation religions des citoyens americains. Par consequent il est evident que le Departement D'Etat ne considere pas le concept de peuple juif comme un concept de droit international".

انظر المرجع السابق ، صفحة ٤١ .

السلام » (١) .. حقائق سبع تعطى لمنطقة الشرق الأوسط وضعا متميزا وأهمية خاصة . هذه الحقائق هى على التوالى : الأهمية الاستراتيجية للمنطقة التى تسكنها ملايين غير منحازة ، البترول ، التسلل الشيوعى ، أحوال المنطقة الاقتصادية والاجتماعية ، بروز القومية العربية وثورة المنطقة ضد الاستعمار الغربى ، بروز مصر كزعيمة للعالم العربى والوحدة العربيـة وتزعمها لحركة الوقوف فى وجه الغرب ، وقرر أن الحقيقة الأخيرة هى أن طبيعة الشرق الأوسط سيحددها فى الأجيال القادمة عامل لم يكن وجودا من قبل هو دولة اسرائيل .

وقدم لنا رئيس الولايات المتحدة كيندى تلخيصا وافيـا لحقيقة الموقف فى المنطقة العربية ، وأبرز لنا بطريق غـير مباشر ، حقيقة الرابطة التى تربط القـوى الاستعمارية واسرائيل . وهى رابطة متشابكة متشعبة تتصـارع فيها الأطراف المعنية ، وكل واحد منها يبغى تحقيق مصالحه على حسـاب مصالح الطرف الآخر : القوى الاستعمارية من جهة ، وترمى الى فرض استمرار بقاء نفوذها فى المنطقة العربية بمحاربة كل قوى التحرر الاقتصادى والسياسى والعسكرى الموجودة فيها ، والسيطرة على اسرائيل بوصفها احدى دول المنطقة واستخدامها كرادع لأى دولة عربية ترفع راية العصيان فى وجه السيطرة الأجنبية ، واسرائيل من جهة

(١) انظر ملف وثائق فلسطين صفحة ١٢٣٢
Strategy of peace by J. Kennedy.

أخرى التى تضع نفسها مرحليا فى خدمة هذه القوى حتى تصل الىتحقيق حلم الصهيونية الأكبر وهو انشاء اسرائيلالكبرى(١).

والأرض العربية ــ وكما سبق لنا أن أوضحنا ــ تتوافر فيها عدة عوامل تجعلهــا أشد مناطق العالم خطورة فى نظــر قوى الاستعمار التقليدى والحديث ، يتصارع الجميع فى ســبيل السيطرة والاستحواذ عليها . فموقع البلاد العربية الجغرافى الفريد بوصفها الطريق الموصل لأسواق الشرق الأقصى الهائلة ومعبرا للمواد الخام المستوردة منه ، فضلا عن أهميتهــا الاستراتيجية والاقتصادية ، يدفع بالدول الغربية الى الرغبة فى استمرار بقــاء الأرض العربيــة ضمن مناطق نفوذها لاحكام حصار الاتحــاد السوفيتى وضمان التفوق العسكرى والمادى بالســيطرة على الممرات المائية (٢) والمناطق الغنية بالبترول .

---

(١) قديما قال حكماء صهيون : « اضربوهم وهم يضحكون .. اسرقوهم وهم لاهون .. قيدوا ارجلهم وانتم راكعون .. ادخلوا بيوتهم واهدموها .. تسللوا الى قلوبهم ومزقوها .. وعلى انقاضهم اقيموا عرش اسرائيل ... » .

(٢) وقناة السويس هى اهم ممر مائى للتجارة الدولية فيما بين الشرق والغرب ، بين مصادر المواد الخام واسواق الاستهلاك وبين البلاد الصناعية ، وفى عام ١٩٦٦ مر فيها من السلع ما يمثل ١٤٪ من التجارة العالمية كما مر بها ١٨٪ من تجارة البترول فى العالم بين مصادر انتاجه واسواق استهلاكه .

يلاحظ انه لم يتم حتى الان اكتشاف كل الامكانيات البترولية فى اجزاء كثيرة من البلدان فى شمال افريقيا ، وفى الصحراء الغربية ، وفى خليج السويس وفى المناطق البرية والبحرية بالخليج العربى . انظر للكاتبة ، العلاقات الدولية العربية ، ١٩٧٠ ، صفحة ٢١ .

وقد أدت زيادة أهمية البترول بوصفه مادة أولية فى كثير من الصناعات الجديدة التى تسمى بالصناعات « البتروكيميائية» الى زيادة تمسك الاستعمار بفرض سيطرته الاقتصادية والسياسية على البلاد العربية ومحاربته لحركة تحرر هذه البلاد التى ترتبط بالقومية العربية والتى من أهدافها تحرير البلاد من كل سيطرة أجنبية اقتصادية أم غيرها . ولهذا عملت الدول الاستعمارية على الحيلولة دون نجاح الثورة العربية ودون تحقيق وحدة الأمة العربية ، وعمدت الى فرض التجزئة على البلاد العربية ، تحت ستار السيادة المصطنعة ، وعملت على قطع الطريق امام دعاة الوحدة الشاملة باثارة النعرات الدينية أو الطائفية أو الاقليمية وفرضت النظم الموالية الحاكمة ، وبطشت بكل حركات المقاومة الوطنية ، بدون احترام للقوانين أو للمواثيق الدولية . ورغم كل المعاهدات والاتفاقات التى اعلنت استقلال بعض البلاد العربية ، فان النفوذ الأجنبى ما زال موجودا بها يطور أحوالها السياسية الداخلية والخارجية وفقا لمصالحه الخاصة ، ويرتبط البعض الآخر منها ارتباطا وثيقا بالدول الاستعمارية باتفاقات استعمارية تسمح لها بوضع قواعد عسكرية على أراض عربية وتجعل من البلد العربى بلدا خاضعا تابعا . كما عمدت الدول الاستعمارية ـــ حينما تأكدت من قرب انتهاء سيطرتها على البلاد العربية بعد الحرب العالمية الثانية ـــ الى اقامة اسرائيل فى قلب البلاد العربية لتتخذ منها أداة لاستمرار هذه السيطرة . ونجحت انجلترا ـــ بعد أن ساهمت فى التوطن اليهودى فى أرض فلسطين خلال سنوات

انتدابها عليها ـ بمساعدة الولايات المتحدة الامريكية فى خلق كيان أوروبى فى قلب الوطن العربى يكون وجوده سببا يبرر استمرار النفوذ الغربى فى المنطقة طبقا للحجة التقليدية الخاصة بالمحافظة على التوازن .. التوازن بين العرب واسرائيل . وبهذا المنطق تلاقت ، فى هذه المرحلة ، أهداف الصهيونية ، وتسعى الى تحقيق حلمها فى اقامة اسرائيل الكبرى التى تسـيطر سياسيا واقتصاديا فى المنطقة ، والأهداف الاستعمارية التى ترمى الى استمرار بقاء البـلاد العربية تدور فى فلك النفـوذ الغربى الاستعمارى وتأكد اشارته .

والواقـع أن أى دولة عربية لا تمتلك بمفردها من الموارد والامكانيات وتكامل عناصر الانتاج بحدودها الراهنة ما يمكنها من أن تحقق لسكانها رخاء حقيقيا مستمرا أو قوة اقتصادية كبيرة على الصعيد العالمى . ولهذا فان البلاد العربية فى أمس الحاجة الى تخطيط جديد يشمل النواحى الاقتصادية بما يحقق التكامل والوحدة ويكفل لها البقاء والاستمرار فى وجه الاطماع الصهيونية والاستعمارية المتزايدة . ويكفى للمرء أن يتصـور اقتصادا عربيا متكاملا موحدا لا تنافس فيه فى ظل دولة عربية موحدة تبلغ مساحتها مساحة أوروبا تقريبا ، دولة عربية تملك أعظم موقع جغرافى فى العالم ، وتسيطر على أهم طريق بحرى ، دولة يبلغ عدد سكانها تسعين مليونا من العرب ولديها الامكانيات الاقتصادية المتكاملة والتراث الحضارى المشترك ، دولة تستطيع

الحصول على المزايا الاقتصادية التى تترتب على التكتل فى النطاق الاقتصادى الدولى ، بدلا من التجزئة العربية التى تحيط بها أخطار اقتصادية ، من سيطرة أجنبية الى خطر صهيونى خلقه الاستعمار فى وسط البلاد العربية ، حتى يتضح له ان الوحدة بين البلاد العربية ضرورة اقتصادية قبل أن تكون ضرورة سياسية .

اهداف الدول الاستعمارية من اقامة اسرائيل :

أولا — خلق فاصل جغرافى أبدى بين شبه الجزيرة العربية والعراق وسوريا ولبنان والاردن وبين مصر وشمال أفريقيا العربية غربا ، وخلق مشكلة دائمة للعالم العربى تمنعه من الاستقرار والتطور الاقتصادى والاجتماعى الذى يسمح له بالوحدة والتكامل سياسيا واقتصاديا واجتماعيا . وقد عبر عن ذلك الفيلسوف الراحل برتراند راسل (1) بقوله « وكثيرا ما يقال لنا أننا يجب أ نتعاطف مع اسرائيل بسبب ما عاناه اليهود فى أوروبا على أيدى النازى ، ولا أرى فى هذا القول سببا يدعو الى استمرار الآلام . فما تقوم به اسرائيل اليوم لا يمكن ان يغتفر ، واثارة أهوال الماضى لتبرير أهوال الحاضر نفاق صارخ ، فاسرائيل لا تحكم فحسب على عدد كبير من اللاجئين بالبؤس ، ولا تخضع فحسب كثيرا من العرب فى الأراضى المحتلة للحكم العسكرى ، ولكنها كذلك تحكم على البلاد العربية التى خرجت

---

(1) انظر رسالته الى « المؤتمر الدولى للبرلمانيين بشان ازمة الشرق الاوسط » مجموعة وثائق المؤتمر ، القاهرة من ٢ — ٥ فبراير ١٩٧٠ ، صفحة ٦٥ .

لتوها من وضعها كمستعمرات بالاستمرار فى الفقر ، اذ تصبح للاحتياجات العسكرية الاسبقية على احتياجات التنمية القومية». ومساندة الاستعمار لاقامة اسرائيل لا ترجع الى أسباب دينية أو عنصرية وانما ترجع الى رغبته فى استمرار استغلال ثروات هذا الجزء الهام من العالم والاحتفاظ بمزايا استراتيجية فيه ، واصراره وأد على حركات التحرر الوطنى التى تستهدف تحقيق التقدم الاجتماعى والاقتصادى لشعوب المنطقة. ووجود اسرائيل فى جسم العالم العربى وفى الشرق الأوسط كلف البلاد العربية حتى عام ١٩٦٧ مبالغ طائلة (ثلاثة آلاف مليون جنيه) لتحمى تطوراتها ، وكانت هذه النفقات تكفى لتصنيع العالم العربى ورفع مستواه الى أرقى المستويات فى آسيا وأفريقيا (١) .

ثانيا ــ استخدام اسرائيل فى المؤامرات المستمرة التى تحاك ضد الوحدة والقومية العربية : يكشف المتتبع لتاريخ الحرب والسلام بين الدول العربية واسرائيل ارتباط الأعمال العدوانية الاسرائيلية دائما من حيث التوقيت بعمليات « من خارج المنطقة» فحرب ١٩٤٨ كانت فرصة ذهبية للاستعمار والرجعية العربية لضرب الحركة الوطنية واعتقال العناصر الثورية الوطنية التى كانت تناضل الارتباطات الاستعمارية ، وقيام اسرائيل باحتلال المنطقة المنزوعة السلاح على طول الحدود المصرية الاسرائيلية

---

(١) المشكلة الفلسطينية ، المؤتمر الدولى للبرلمانيين حول قضية الشرق الاوسط ، ١٩٧٠ ، صفحة ١٢٠ .

كان ردا على رفض مصر لحلف بغداد ومقاومتها له ، وعدوان عام ١٩٥٦ أسبابه متعــددة ــ منها عقد مصر لصفقة الأسلحة التشيكوسلوفاكية وتأييدها للثورة الجزائرية وقيامها بتأميم قناة السويس ــ دفعت انجلترا والولايات المتحــدة الى سحب عرض تمويل السد العالى كما دفعت الاحتكارات البترولية الى الضغط على اسرائيل فكان العدوان الثلاثى . والاستفزازات المتعــددة لاسرائيل على حدود البلاد العربية وطرد العرب وقيامها بالأعمال التخريبية داخل البلاد العربية وعدوان ١٩٦٧ هو النتيجة المنطقية لذعر القوى الاستعمارية والاحتكارات العالمية من امتداد الثورة العربية واقترابها من منطقة الخليج العربى ــ أرض البترول ــ بعد نجاح الثورة اليمنية .

وقد تأكدت العلاقة العضوية بين مؤسسات الحرب الأمريكية والاسرائيلية فى بداية أكتوبر ١٩٦٩ حين أعلنت الولايات المتحدة أن الخدمة فى جيش اسرائيل لا تتناقض مع مصــالح الولايات المتحدة ، فضلا عن المساعدات العسكرية الأمريكية الضخمة التى بدأت تقــديمها الى اسرائيل عشية عدوان ١٩٦٧ . وتمــارس الصهيونية ضغطها على يهود العالم ، وباسم الصهيونية تطارد اسرائيل يهود العــالم بفكرة الولاء المزدوج وهو ما يؤدى الى تزايد العسكرية الاسرائيلية والى تحويل المنظمــات العســكرية اليهودية الى مؤسسة تحكم المجتمع الاسرائيلى . ويتأكد الطابع العسكرى لاسرائيل يوما بعد يوم وتتزايد نفقاتها العسكرية عاما بعد عام وتتحول تدريجيا الى أكبر قاعدة عسكرية غربية خارج

الكتلة الغربية التى تزيد من مساعداتها للوجود اليهودى العسكرى فى الأرض العربية بصفة مستمرة ليساندها فى كفاحها ضد الكتلة الشرقية خاصة وقد رفض الشرق العربى الانضمام الى الأحلاف العسكرية .

ثالثا — اقامة الوطن القومى لليهود فى قلب الوطن العربى ، وفى وسط العالم الآسيوى والأفريقى يجعل الصهيونيه تساند الدول الاستعمارية فى صراعها مع الحركات التحررية فى العالم العربى وفى دول « العالم الثالث » .

واسرائيل باعتداءاتها المتكررة على البلاد العربية وهى دول شاركت منذ البداية فى موكب دول عدم الانحياز وتزعمتها ، تعرض ايمان الشعوب والحكومات المستقلة لاهتزاز شديد . فدول « العالم الثالث » كلها دول صغيرة حديثة الاستقلال ، وكلها دول متخلفة اقتصاديا واجتماعيا ترى فى الاستقرار الدولى وسيادة قواعد القانون والعدالة وانتفاء التهديد بالأعمال العدوانية الضمان الوحيد لخلق جو دولى ملائم لتتفرغ لمهام التنمية القومية ولتوجه بالتالى القسم الأكبر من ميزانياتها لأعمال الخدمات والتنمية لتتغلب على الهوة الواسعة التى تفصل بين الشعوب والحكومات الغنية ، والشعوب والحكومات الصغيرة. واستخدام الوجود العسكرى الصهيونى بصفة مستمرة ضد الدور التحررى الذى تقوم به مصر والدول العربية واستمرار هذا الوجود وأعماله العدوانية دون رادع معناه رضاء المجتمع

الدولى وارتياحه لأعمال العدوان التى يقوم بها ، وهو ما يؤدى فى نهاية الأمر الى هدم مراكز الحركة والقوة فى دول عدم الانحياز والى تصفية دور الدول حديثة التحرر .

والوجود الصهيونى بهذه الصورة وصراعه الدائم مع العرب هو صراع بين الاستعمار العالمى الذى تتزعمه حاليا الولايات المتحدة – بعد هجرها لسياسة العزلة وشجبها لها – وبين حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى فى المنطقة العربية ، أكثر مناطق دول عدم الانحياز حساسية وأبعدها تأثيرا .

رابعا – جعل اسرائيل الجسر الذى تعبر عليه الصناعات الاستعمارية والاستعمار الجديد الى أفريقيا وآسيا :

هدفت الدول الاستعمارية فى بداية الأمر الى تعزيز وجود اسرائيل وتمكينها من تحقيق معدل مرتفع للتنمية الاقتصادية يتيح لها الاحتفاظ بمستوى معيشى مرتفع يناسب الوافدين من أوروبا تشجيعا لهم على الهجرة الى اسرائيل . غير أن تغلغل رأس المال الأجنبى فى جميع اقتصاديات اسرائيل قد خلق فى النهاية الشروط الضرورية لجعل اسرائيل قاعدة للتوسع والسيطرة تقدمها الدول الاستعمارية الى دول آسيا وأفريقيا كوجه للحضارة الأوروبية مبنى على الايمان بتفوق الحضارة الغربية (١) . فللدول الغربية ، وعلى رأسها الولايات المتحدة وألمانيا الغربية استثمارات

---

(١) حرب يونيو ١٩٦٧ ، دلالاتها وآثارها السياسية والاقتصادية ، المؤتمر الدولى للبرلمانيين حول قضية الشرق الاوسط ، القاهرة من ٢ – ٥ فبراير ١٩٧٠ .

طائلة فى اسرائيل تسيطر على الاقتصاد الاسرائيلى وتتحكم فى سياسة اسرائيل ، هى على التفصيل التالى :

١ — ساهمت المدخرات الأجنبية بالنصيب الأكبر فى عملية تكوين رأس المال فى اسرائيل ، فقد بلغت نسبتها الى اجمالى تكوين رأس المال ٨٥ ٪ فى السنوات ١٩٥٣ الى ١٩٥٥ ، وحوالى ٧٥ ٪ فى السنوات ١٩٦٢ الى ١٩٦٤ بينما لم يبلغ الادخار المحلى الا نسبة ١ ٪ فى المتوسط من الناتج الصافى عن الفترة الاخيرة . وفيما بين عامى ١٩٥٠ الى ١٩٦٥ قدرت رءوس الأموال المستثمرة فى الصناعة بحوالى ١٣٠٠ مليون دولار منها جزء كبير من الأموال الأجنبية . ويمثل رأس المال الأمريكى ٦٠ ٪ من مجموع رءوس الأموال الأجنبية (١) .

٢ — يأتى البترول فى مقدمة ما تهتم به الاحتكارات الأمريكية (٢)

---

(١) بلغت قيمة الاموال الاجنبية التى دخلت اسرائيل فى مدى اربعة عشر عاما من ١٩٥٠ الى ١٩٦٤ حوالى ٧ آلاف مليون دولار ، نصفها هبات مجانية . انظر كتاب الامم المتحدة « تمويل التنمية الاقتصادية — العرض الاقتصادى العالمى ١٩٦٥ » الجزء الاول ، المنشور فى ١٩٦٦ ، ورد ذكره فى المرجع السابق صفحة ١٦ وما بعدها .

(٢) تعمل هذه الاحتكارات حاليا مع راس المال الصهيونى الذى يجمعه روتشيلد « ٢٠٠ مليون دولار » لاتمام بناء خط عملاق لانابيب البترول من ميناء ايلات على خليج العقبة الى ميناء عسقلون على البحر المتوسط ، وهم يريدون لهذا الخط ان يحل محل قناة السويس فى نقل البترول من شبه الجزيرة العربية ومن ايران الى الغرب . وعقب حرب يونيو اجتمع فى اغسطس ١٩٦٧ انعقد اول « مؤتمر لرجال الاعمال » وهو المؤتمر الذى قرر المشاركة فى تمويل مشروع خط انابيب البترول ايلات الى عسقلون . وفى ابريل ١٩٦٨ ، اجتمع المؤتمر الثانى الذى قرر

فى الاقتصاد الاسرائيلى وتهدف هذه الاحتكارات حاليا الى اخضاع نقل البترول العربى لسيطرة اسرائيل مما يسمح لها بمصدر جديد للدخل ويزودها بأداة للضغط على البلدان المصدرة للبترول العربى ، وخلق موقف تظل معه قناة السويس معطلة (١) .

٣ — وتشترك الاحتكارات الألمانية فى عـدد من الصناعات الاسرائيلية وفى مقدمتها الأبحاث الذرية . واسرائيل سوق كبير

انشاء شركة راسمالها ١٠٠ مليون دولار . وفى نهاية سبتمبر ١٩٦٧ أنشأ رودتشيلد قرب جنيف معهدا أطلق عليه اسم « معهد من اجل السلام فى الشرق الاوسط » وجعل من مهامه دراسة احتمالات التطور الاقتصادى بالشرق الاوسط بعد تسوية الموقف وانهاء حالة الحرب والبحث عن وسائل اقامة علاقات تجارية بين بلدان المنطقة . وفى ابريل ١٩٦٨ قرر المؤتمر الثانى لاصحاب الملايين اليهود تخصيص الف مليون جنيه تستثمرها اسرائيل لتهيئة الارض التى احتلتها فى حرب يونيو ولاقامة مشروع أنابيب البترول من ايلات الى أسدود . وجملة التبرعات التى جمعت لاسرائيل فى عام ١٩٦٧ وحدها تعادل جملة التبرعات التى حصلت عليها فى الاعوام العشرة السابقة .

(١) واهم دور تلعبه القناة فى التجارة الدولية هو :

أ ـ امداد أوروبا بالمواد الاولية وعلى رأسها البترول ، وتوجد ثمانى دول أوربية بين الدول العشرة الاولى التى تستخدم القناة .

ب ـ نقل السلع الهندسية والمصنعة والمواد الغذائية الى الدول الواقعة شرق القناة كالهند وباكستان . وقد تحملت بأعباء اغلاق القناة الدول المستفيدة منها ، بينما انتفعت منها الولايات المتحدة بالذات ، فقد زاد التعامل بينها وبين أوروبا مما يسبب للاخيرة مشاكل اقتصادية واجتماعية فضلا عن ملابساته السياسية ، لخصتها جريدة تربيون دى ناسيون الفرنسية بتاريخ ١٦ أكتوبر ١٩٦٧ بقولها : « لاول مرة فى التاريخ تقوم الولايات المتحدة بالاشتراك مع تل أبيب بسجن أوروبا فى البحر المتوسط ومنع الطريق المؤدى الى الشرق الاقصى عنها وقطع علاقاتها مع جزر الهند والمحيط الهندى . ان مستقبل اوربا مهدد فى السويس ، نقطة لقاء البحر المتوسط الاوروبى والعالم الافروآسيوى ، بل والنقطة الحيوية لكونه قلب الصناعة والحضارة الحديثة » وقد استفادت مجموعة من الدول ـ على رأسها الولايات المتحدة ـ من اغلاق القناة ، فكسب البعض اسواقا جديدة لمنتجاتها واصبح البعض الاخر على المسار الجديد للتجارة الدولية .

لمنتجات ألمانيا الغربية فى الشرق الأوسط تعمل الأخيرة عن طريقها الى تحقيق حلمها القديم فى الوصول الى الشرق بأسواقه وثرواته الهائلة .

وعلى ذلك يتضح كيف أن القوى الاستعمارية انشأت اسرائيل لتحقق عن طريقها مجموعة من الاطماع والأهداف المعينة (١) . غير أن القول بأن اسرائيل مجرد أداة للاستعمار وذيل له يهمل دور الصهيونية كحركة استعمارية لها وضعها الخاص كما يهمل وجود مجتمع اسرائيلى به طبقة مسيطرة وله صراعاته الخاصة . والقول أيضا بأن اسرائيل شريك وحليف من نوع خاص للقوى الاستعمارية فى الأرض العربية يهدف الى تحويل العرب الى مجرد قوة عمل رخيصة لا بد منها فى بداية الأمر لتعمير الأرض وتشغيلها قول صحيح أيضا وان كان يهدر وجود

١ ـ كسبت الولايات المتحدة بعض الاسواق الاوروبية بالنسبة للمواد البترولية والغذائية ، وتأمل شركات الملاحة الامريكية التى تنتج ناقلات البترول الضخمة ان يستمر اغلاق القناة مما يعجل باستخدام هذه الناقلات ، كما افاد اغلاق القناة مصالح الاحتكارات الامريكية التى تعمل فى استخراج البترول فى فنزويلا وايران وبوليفيا وتمكنت دول المغرب العربى من اكتساب بعض الاسواق الاوربية فضلا عن ارتفاع اثمان البترول فى ليبيا والجزائر بما يوازى ارتفاع تكلفة الشحن حول افريقيا مما اثر بالتالى على حجم الانتاج والدخل القومى فى هذه البلاد . واكتسبت الدول الصناعية الواقعة شرق القناة اسواق شرق افريقيا وجنوب آسيا . وافادت عمليات التجارة العابرة موانى غرب وجنوب غرب أفريقيا كداكار ودولة جنوب افريقيا التى زادت ايراداتها من المرور ومن اعمال اصلاح وتزويد السفن بالمؤن والوقود ومن رسوم الموانيء . فى حين تعمل اسرائيل حاليا على تطوير ميناء ايلات لضمان تجارتها مع شرق أفريقيا والشرق الاقصى عبر البحر الاحمر كما تعمل على انشاء خط ضخم للانابيب لنقل خام البترول بين البحرين الاحمر والابيض بالاضافة الى طريق برى بينهما تجرى دراسات انشائه .

اسرائيل كقوة بوليسية متميزة عن المنطقة تضمن بالقوة المحافظة على الوجود الاستعمارى فى البلاد العربية فى وجه المخاطر التى تتهدده (١) .

وواقع الأمر أن اسرائيل وجود استعمارى توسعى احلالى تهدف الصهيونية من ورائه الى تحقيق حلم اسرائيل الكبرى (٢) التى تقف على قدم المساواة ندا للقوى الكبرى الموجودة فى عالم اليوم ، اسرائيل الكبرى التى تسيطر على الأرض العربية ــ ذات الموقع الجغرافى الاستراتيجى الفريد ــ وعلى ثرواتها الاقتصادية ومقوماتها الحضارية . وتحقيق هذه الأطماع والأحلام يدفع باسرائيل الى الارتباط مرحليا بالقوى الاستعمارية الموجودة

---

(١) الصهيونية هى صورة من صور توسع البلاد الاوربية على حساب الدول النامية ، تصل بها الى انشاء نوع من الكوندومينون السياسى والاقتصادى يهدد الحقوق المشروعة للشعب العربى الاصلى . واسرائيل

"...demeure plus certainement une tête de pont du monde capitaliste au milieu du monde sous-dévéloppé. Entre son origine sioniste et son role actuel le lien de filiation est plus qu'apparent. Israil est l'allié des puissances capitalistes, ce qui est la conséquence de l'option sioniste initiale. Au depart et au terme actue de l'evolution d'Israil, il y a le capitalisme et l'imperialisme, et entre hier et aujourd'hui il y a eu tout le peuplement juif qui est un fait colonial".

La Question Palestinienne, Colloque de juiristes Arabes sur la Palestine, Alger 22-27 Juillet 1967, P. 57.

(٢) صرحت جولدا مائير فى حديث لها مع مجلة نيوزويك فى بداية ابريل ١٩٦٩ بعد أيام من توليها الوزارة « لا اريد شعبا يهوديا طيبا ، ليبراليا ، معاديا للاستعمار معاديا للحرب ــ لا اريد شعبا يهوديا ميتا » .

كما صرح ايجال آلون « علينا أن نقيم اسرائيل الكبرى ، وعلى العرب وبقية العالم الامتثال للامر الواقع » .

التى تهدف الى تصفية حركة التحرر الوطنى والتقدم الاجتماعى فى الأرض العربيــة (١) حتى تقف الأخيرة بجانبها فى المشروعات التى قد تنهض بتنفيذها بالقوة فى المنطقة وتساندها فى خلق الجو الملائم لقبول التغييرات التى قد تطرأ على خريطة الشرق الاوسط جغرافيا وسكانيا واقتصاديا نتيجة هذا البرنامج . وتخدم اسرائيل بذلك هــــدفين رئيسيين : خدمــة السياسات الاســتعمارية والاحتكارات الاجنبيــة فى المنطقة ، وتنفيذ أحــلام التوسع الصهيونى الخاصة . وهو دور مزدوج لابد لها منــه فى الوقت الحاضر على الأقل الى أن تتوافر لها المقومات الذاتية الخاصــة التى تمكنها من الوقوف على قدميها دون مساندة أو مساعدة من أحد .

---

(١) صرح موشى ديان فى ١٩٦٨/١٢/١٤ « اود ان ارى نفوذا امريكيا متزايدا فى مصر والعراق وسوريا ... » .

اما المفاوضات المباشرة التى تطالب بهـا اسرائيل حاليا فليست الا ذريعة لكسب الوقت حتى تواجه البلاد العربية والراى العام العالمى « بأمر واقع » تسعى اسرائيل لفرضه .

إسرائيل دولة ومجتمع

بقلم الدكتور محمد فتح الله الخطيب
استاذ نظم الحكومات المقارنة وعميد
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية
جامعة القاهرة

قامت دولة اسرائيل فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ ، فى نفس اللحظة التى انتهى فيها الانتداب البريطانى على فلسطين . ولم يكن قيام هذه الدولة عفويا بل كان نتيجة التآمر الصهيونى الاستعمارى لخلق دولة اسرائيل فى فلسطين فى قلب الأمة العربية . وعلى الرغم من أن أول الخيوط الرسمية من أجل اقامة دولة يهودية فى فلسطين يرجع الى سنة ١٩١٧ عندما أصدرت الحكومة البريطانية وعد بلفور ــ ذلك الوعد الذى وصفه الرئيس جمال عبد الناصر بحق « انه وعد ممن لا يملك الى من لا يستحق » ــ فان النشاط غير الرسمى للتنظيمات الصهيونية العالمية التى كانت تعمل على تهجير اليهود من أنحاء العالم لكى يقيموا فى فلسطين يرجع الى أواخر القرن التاسع عشر بعد انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى سنة ١٨٩٧ .

وفى دراستنا لنظام الدولة والمجتمع فى اسرائيل سنتعرض للموضوعات الرئيسية الآتية :

١ — طبيعة السكان فى اسرائيل وقوانين الهجرة والجنسية .

٢ — السلطة السياسية فى اسرائيل .

٣ — الأحزاب السياسية فى اسرائيل .

طبيعة السكان وقوانين الهجرة والجنسية :

تعتمد دولة اسرائيل فى كيانها الاجتماعى على المهاجرين اليهود الى فلسطين الذين تدفقوا على هذا الجزء من الوطن العربى منذ أن وضحت نوايا المنظمات الصهيونية فى اقامة دولة يهودية فى فلسطين .

فقد اندفع حوالى ٢٥ ألف يهودى الى فلسطين فى الفترة من سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٠٢ ، وكان ذلك بمساعدة جماعة محبى صهيون التى عاشت تحت رعاية البارون روتشيلد وبمعونته . وكان غالبية اليهود الذين دخلوا فلسطين وأقاموا فيها فى هذه المرحلة من روسيا القيصرية .

وفى الفترة من سنة ١٩٠٢ حتى سنة ١٩١٤ تمكنت جماعة صهيونية تعرف باسم « الرواد » من ادخال ٤٠ ألف يهودى الى فلسطين أسسوا المستعمرات الجماعية فى فلسطين .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الأولى وعند بداية الانتـداب البريطانى على فلسطين كان تعداد السكان ٧٥٧ر١٨٢ نسمة منهم ٦٧٣ر٠٠٠ من العرب ٨٤ر٠٠٠ من اليهود .

واستمرت هجرة اليهود الى فلسطين ، وأدت الأزمةالاقتصادية فى أوروبا الى اندفاع ٨٢ ألف من يهود الطبقات الوسطى فىأوربا وبصفة خاصة من بولندا ــ الى الهجرة الى فلسطين فى الفترة بين سنة ١٩٢٤ ، ١٩٣١ . ويوضح الجدول الآتى تزايد الهجرة اليهودية الى فلسطين منذ سنة ١٨٨٢ .

السنة	عدد اليهود
١٨٨٢	٢٤ر٠٠٠
١٩١٤	٨٥ر٠٠٠
١٩٤٠	٤٦٧ر٥٠٠
١٩٤٨	٦٤٩ر٦٠٠
١٩٥١	١ر٤٠٤ر٤٠٠
١٩٦١	١ر٩٣٢ر٤٠٠
١٩٦٢	٢ر٣٤٤ر٦٠٠
١٩٦٧	٢ر٣٨٣ر٦٠٠
١٩٦٩	٢ر٩١٩ر٠٠٠

ويتضح من هذه الاحصائية تضاعف عدد سكان اسرائيل من ٦٤٩٫٦٠٠ نسمة عند قيام الدولة فى سنة ١٩٤٨ الى ٢٫٩١٩٫٠٠٠ نسمة فى سنة ١٩٦٧ . ويرجع ذلك الى تشجيع هجرة اليهود الى اسرائيل واجتذاب المهارات والقدرات اليهودية المختلفة لتعيش فى اسرائيل . فالهجرة بالنسبة لاسرائيل هى صمام امان للدولة ومصدر قوتها ، وبقدر زيادة عدد المهاجرين تتزايد قوة اسرائيل العسكرية ويزداد جيشها . ولقد جاء فى «اعلان الاستقلال» « ان الدولة الاسرائيلية ستفتح ابوابها لهجرة اليهود المنتشرين فى كافة أنحاء العالم » . ومن أجل ذلك أصدرت دولة اسرائيل قانونين هامين لهما تأثير مباشر على تكوين سكان هذه الدولة وعلى تشكيل فكرة المواطنة فى اسرائيل .

صدر القانون الأول الذى يعرف باسم « قانون العودة » فى ٥ يولية سنة ١٩٥٠ ، وتقرر بمقتضى هذا القانون ان لكل يهودى فى العالم فى أية بقعة منه حق دخول اسرائيل كمهاجر . وقد أبقى هذا القانون باب الهجرة مفتوحا على مصراعيه وجعل هذه الهجرة ظاهرة جماعية تتسم بها طبيعة دولة اسرائيل .

أما القانون الثانى فهو قانون « الجنسية الاسرائيلية » وقد أقره الكنيست الاسرائيلى فى ١٤ أبريل سنة ١٩٥٢ وبدأ العمل

به فى ١٤ يولية من نفس العام . وطبقا لهذا القانون فقد اعتبر جميع اليهود فى اسرائيل رعايا للدولة . اما الاقلية العربية التى كانت تعيش فى اسرائيل وقت صدور هذا القانون وكان عددها ١٧٠ ألف عربى فكان عليهم اثبات انهم حملوا الجنسية الفلسطينية قبل ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ حتى يمكن النظر فى أمر منحهم الجنسية الاسرائيلية . ولم يسمح للذين تمكنوا من العرب من اثبات أنهم حملوا الجنسية الفلسطينية فى ذلك التاريخ أن يحصلوا على الجنسية الاسرائيلية الا اذا كانوا يتقنون اللغة العبرية وأثبتوا أنهم لا يحملون جنسية دولة أخرى . وكان من الطبيعى ألا تتوافر هذه الشروط التى وضعتها اسرائيل الا فى عدد محدود من السكان العرب ، الأمر الذى أدى الى ابقاء الأقلية العربية فى اسرائيل فى وضع لا تتمتع فيه بحقوقها الأساسية وهى حقوق المواطنه ، بل اعتبر أفرادها مواطنين من الدرجة الثانية .

وطبقا لقانون الجنسية الاسرائيلية تشترط فيمن يطلب التجنس بالجنسية الاسرائيلية أن لا يقل عمره عن ١٨ عاما ، وان يكون مقيما فى اسرائيل وأن يكون قد قضى ثلاث سنوات فى اسرائيل وأن يكون له حق الاقامة بصفة دائمة فى اسرائيل وان يعرف اللغة العبرية . وأباح القانون ما يعرف « بازدواج الجنسيه»

أى امكان تمتع الفرد بجنسية اسرائيل الى جوار تمتعه بجنسية أخرى . ومن الواضح ان ازدواج الجنسية يؤدى الى ازدواج الولاء وتشتته وخاصة عندما يوجد صدام أو تناقض بين مصالح الدولتين اللتين ينتمى الى جنسيتهما الفرد .

ولا يزال تشجيع الهجرة اليهودية الى اسرائيل يحتل مكانا هاما فى سياسة الحكومة الاسرائيلية اذ ترتبط الهجرة ارتباطا وثيقـا بالجانب العسكرى للسياسة الاسرائيلية . ومـدة الخدمة العسكرية فى القوات الاسرائيلية هى سنتان ونصف للرجال الذين تتراوح أعمارهم بين الثامنة والسادسة والعشرين ، وسنتان للرجال الذين تتراوح أعمارهم بين السابعة والعشرين والتاسعة والعشرين ولم يتم استدعاؤهم للخدمة من قبل لأى سبب من الأسباب . كما تخدم الفتيات فى القوات الاسرائيلية مدة سنتين اذا كانت أعمارهن تتراوح بين الثامنة عشر والسادسة والعشرين . ولا ننتهى انتماء الاسرائيلى الى القوات العسكرية بانتهاء خدمته المشار اليها بل يبقى الرجال والفتيات بعد أدائهم الخدمة العسكرية فى عـداد الاحتياط حتى سن التاسعة والأربعين بالنسبة للرجال وسن الرابعة والثلاثين بالنسبة للنساء اللاتى ليس لهن أولاد . فيستدعى الجميع لفترات تدريبية كل سنة . وجدير بالاشارة ان اسرائيل

لا تحتفظ فى الظروف العادية بعدد كبير من الجنود بل اعتمادها أساسا على الاحتياطى من القوات المدربة .

وتتبع اسرائيل سياسة دقيقة لاختيار المهاجرين اليها فهى تتيح الهجرة لفئات فنية مختارة طبقا لمواصفات خاصة ، ولا تقبل الا صغار السن من المثقفين والفنيين والمتخصصين الذين يمكن أن يعتمد عليهم الاقتصاد الاسرائيلى والمجهود العسكرى لسياسة اسرائيل .

وفى تشجيع الهجرة اليهودية الى اسرائيل تعمل المنظمات الصهيونية على تحمل نفقات الهجرة للراغبين من اليهود ، غير أن سياسة اختيار المهاجرين تعتمد على الأسس الآتية :

١ — يتم اختيار ٨٠ ٪ من المهاجرين من بين المرشحين الذين تقترحهم منظمة « عليا » أى حركة تهجير الشبان على أن يكونوا من الذين يمكن تحويلهم الى مزارعين فى المستعمرات أو من بين العمال المدربين الذين لا تتجاوز أعمارهم ٣٥ سنة أو من أفراد العائلات التى لا يتجاوز رب الأسرة فيها ٣٥ عاما .

٢ — يتعهد الذين يتم اختيارهم للهجرة كتابة بالعمل فى الزراعة سنتين على الأقل .

٣ — لا يتم الموافقة على الهجرة الا بعد فحص طبى دقيق تحت اشراف طبيب اسرائيلى .

٤ — لا يسمح لأكثر من ٢٠ ٪ ممن تزيد أعمــارهم على ٣٥ سنة بالهجرة الا اذا كانوا أفراد عائلات يستطيع أربابها العمل ، أو كانوا سيهاجرون بدعوة من أقارب لهم فى اسرائيل سيقومون باعالتهم ، ولا تتم الموافقة على هجرتهم الا بعد التأكد من مقدرة هؤلاء الأقرباء واستعدادهم لاعالة المهاجرين .

وتنطــوى عملية استقبال المهاجرين اليهود الى اسرائيــل واستيعابهم على ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى :

يكون فيها المهاجر عالة على اسرائيل فتقدم له الغذاء والمسكن والاعاشة مجانا ، وتتراوح مدة الاقامة فى هذه المرحلة بين ايام قليلة وخمس سنوات .

المرحلة الثانية :

هى مرحلة عمل ممزوج بالاعاشة ، اذ تتاح للمهاجرين فرصة العمل فى أشغال عامة ، ليس للكثير منها مبررات اقتصادية .

المرحلة الثالثة :

هى مرحلة الاستيعاب الفعلى وتشمل فترة من التدريب شبه العسكرى والجندية النظامية لمن هم فى سن الجنديه وفتره اقامة فى المستعمرات الزراعية .

ويوجد فى اسرائيل فئتان من اليهود : اليهود الغربيون ـ أو اليهود الاشكناز ـ واليهود الشرقيون ـ أو اليهود السفراديم. وتسيطر الفئة الأولى ـ الاشكناز ـ على كافة مرافق الدولة السياسية والاقتصادية ، ويشغل أفرادها حوالى ٩٠ ٪ من الوظائف الحكومية وبصفة خاصة الوظائف العليا .

وجدير بالذكر أن غالبية المهاجرين اليهود الى فلسطين حتى سنة ١٩٤٨ كانت أوربية الأصل أتت بصفة خاصة من بولندا وبلغاريا وألمانيا . وقد بلغت نسبة اليهود الأوربيين الى جملة السكان اليهود ٨٥ ٪ . غير أن هذه النسبة هبطت الى ٥٢٫٦ ٪ سنة ١٩٥٨ ، وفى نفس الوقت ارتفعت نسبة اليهود من أصل آسيوى وخاصة من تركيا والعراق واليمن من ٥٫٣ ٪ الى ٢٩٫٦ ٪ كما ارتفعت نسبة اليهود الأفريقيين ومعظمهم من دول المغرب العربى . وهذه الأرقام توضح مدى التغيير الاجتماعى الذى

يسرى فى اسرائيل وما ينجم عنه من مشاكل نتيجة ازدياد عـدد اليهود الشرقيين .

السلطة السياسية فى اسرائيل :

حدد قرار تقسيم فلسطين الذى أصدرته الجمعية العامة للامم المتحدة فى ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧ الخطوات التى تمهد لاقامة الدولة اليهودية فى فلسطين .

وهذه الخطوات هى ما يلى :

أولا — اقامة مجلس حكومى مؤقت .

ثانيا — اجراء انتخابات ديمقراطيه لانشاء جمعية تأسيسية فى الدولة اليهودية .

ثالثا — اصدار دستور ديمقراطى .

رابعا — انتخاب حكومة مؤقتة .

خامسا — الاعتراف بدولة اسرائيل .

سادسا — قبول اسرائيل عضوا فى المنظمة الدولية .

ولكن لم تحترم اسرائيل هذا القرار ولم تراع هده الخطوات التى قررت لاقامتها فى قرار الأمم المتحدة الخاص بانشاء الدولة اليهوديه فى فلسطين . فعند انتهاء الانتداب البريطانى على فلسطين

أعلنت الوكالة اليهودية قيام دولة اسرائيل . وقد أدى اعلان قيام دولة اسرائيل الى تحويل المجلس القومى اليهودى — وهو أحد التنظيمات السياسية الصهيونية التى وجدت فى فلسطين فى ظـل الانتداب البريطانى الى برلمان مؤقت لدولة اسرائيل عرف باسم مجلس الدولة . واختص مجلس الدولة بالسلطة التشريعية وكان له حق اعطاء الحكومة المؤقتة بعض سلطاته وبصفة خاصة حق التشريع فى المجالات التى تساعد على المحافظة على كيان الدولة الجديدة . كما كان لمجلس الدولة أيضا حق النظر فى شـئون الهجرة اليهودية الى اسرائيل وفتح بابها وتقرير نقل ملكية الأراضى بدون قيد أو شرط . وتقرر استمرار العمل بالقوانين التى وجدت فى ظل الانتداب البريطانى على فلسطين الا تلك القوانين التى يرى مجلس الدولة ايقاف العمل بها . واعتبر رئيس مجلس الدولة — وكان حاييم وايزمان — رئيسا للجمهـورية وانحصرت سلطات رئيس الجمهورية فى بعض الاختصاصات الرسمية والرمزية ولم تكن له سلطات فعلية كثيرة . وتولى دافيد بن جوريون — رئيس الوكالة اليهودية فى ذلك الوقت — رئاسة الوزارة .

كان ذلك هو نظام دولة اسرائيل فى الفترة الانتقالية التى عاشتها من ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ حتى ٨ مارس سنة ١٩٤٩ . وفى

خلال هذه الفترة الانتقالية تم انتخاب جمعية تأسيسية فى ٢٥ يناير سنة ١٩٤٩ تكونت من ١٢٠ عضوا لم يكن من بينهم سوى ثلاثة أعضاء من العرب وقررت هذه الجمعية التأسيسية فى ٨ مارس سنة ١٩٤٩ أن تتحول الى برلمـان دائم ، وبذلك قام الكنيست الاسرائيلى . وتكونت وزارة ائتلافية من حزب الماباى وثلاثة أحزاب أخرى . وكان ذلك بداية قيام نظام الحكم فى اسرائيل على أساس أنها جمهورية تأخذ بالنظام البرلمانى رئيس الجمهورية فيها وظيفته رتبة رمزية أكثر من تمتعه بسلطات فعليةحقيقية ، وبجوار رئيس الجمهورية رئيس الوزراء والكنيست بمـا يحقق اكتمال النظام السياسى فى اسرائيل . وقد أخذت اسرائيل بنظام المجلس النيابى الواحـد مع وجود نظام التمثيل النسبى فى انتخابات الكنيست .

السلطة التشريعية (الكنيست) :

يتكون الكنيست الاسرائيلى وهو صاحب الحق فى التشريع فى اسرائيل من ١٢٠ عضوا يتم انتخابهم عن طريق الانتخاب العام المباشر حيث لكل فرد اسرائيلى يبلغ من السن ١٨ عاما فى آخر

ديسمبر من السنة السابقة على اجراء الانتخابات حق التصويت والاشتراك فى الانتخابات . وللمرأة فى اسرائيل حق التصويت مثل الرجل .

وكما سبق أن أشرنا فان نظام الانتخابات فى اسرائيل يقوم على أساس التمثيل النسبى . فتعتبر اسرائيل جميعها دائرة انتخابية واحدة ، وتقدم الأحزاب السياسية والاسرائيلية مرشحيها فى قوائم ، وذلك بالنسبة لجميع المقاعد . ويقوم الناخبون بالأدلاء بأصواتهم فى الانتخابات عن طريق التصويت السرى ، ويدلى الناخب بصوته لقائمة الحزب كلها . وتحتسب الاصوات الانتخابية لقائمة الحزب وليس لأى فرد فيها بعينه . ويتحدد عدد المقاعد التى يحصل عليها كل حزب فى الكنيست تبعا لعدد الأصوات التى تفوز بها القائمة التى يتقدم بها . ويتم اختيار أعضاء الكنيست من بين أسماء المرشحين الواردة فى قوائم الأحزاب السياسية حسب ترتيبهم فى هذه القوائم اذ ان هذا الترتيب انما يوضح الأولوية التى يتمتع بها كل اسم على القائمة .

ولكل مواطن اسرائيلى له من العمر ٢١ عاما حق الترشيح لعضوية الكنيست . وللمرأة حق متساوى مع الرجل فى هذا

المجال . ومدة العضوية فى الكنيست أربع سنوات تبدأ من يوم اجراء الانتخابات .

وللكنيست القائم حق الاستمرار فى مباشرة اختصاصاته وسلطاته حتى يتم انتخاب أعضاء المجلس الجديد .

وللكنيست الحق فى أن يحل نفسه بنفسه ، أى ان يصدر قرارا بان يحل وبان تجرى انتخابات جديدة . ويرجع هذا الحق للكنيست الى طبيعة نظام تعدد الأحزاب الاسرائيلية والذى يساعد على بقائه وازدهاره فى اسرائيل نظام الانتخاب النسبى . فتعدد الأحزاب فى اسرائيل يؤدى الى وجود فئات متفاوتة القوة فى البرلمان الاسرائيلى ، الأمر الذى يدفع بدوره الى ظهور الائتلافات السياسية بين هذه الفئات والأحزاب حتى يمكن تشكيل وزارات اسرائيل ، وهى وزارات ان اتسمت بصفة عامة فهى عدم الاستقرار . وعلى ذلك فقد يجد الكنيست نفسه فى موقف لا يتمكن معه من خلق ائتلاف جديد يؤدى الى ظهور وزارة جديدة ، ولا يجد سبيلا للخروج من مثل هذه الأزمة الا عن طريق اصدار قرار بحل نفسه ليتمكن الناخبون من توجيه مجلس جديد لانتهاج سياسة واضحة المعالم . غير انه من الناحية الفعلية قد لا تؤدى الانتخابات الى سهولة تشكيل الوزارة كما حدث فى

سنة ١٩٦٥ فى أعقاب الانتخابات العامة والتى استغرق بعدها ليفى أشكول حوالى شهرين فى الاعداد لتشكيل الوزارة وفى مساومات مع الفئات السياسية المختلفة لتأييد وزارته الجديدة .

ويتمتع الكنيست الاسرائيلى باختصاصات شاملة . وأول الوظائف التى يمارسها هى وظيفة التشريع فللكنيست الاسرائيلى حق اصدار التشريعات دون أن يكون لرئيس الجمهورية حق الاعتراض على ما يقرره الكنيست من تشريعات . أى بعبارة أخرى ليس من حق رئيس الجمهورية ان يعيد الى الكنيست أى تشريع ويطالب باعادة النظر فيه ، بل على رئيس الجمهورية أن يوافق على نشر التشريع حتى تتم الاجراءات الشكلية بالنسبة لاصداره . غير أنه جدير بالتنويه أنه يلزم تصديق رئيس الوزراء أو الوزير المسئول عن القطاع الذى يقع فى نطاقه ذلك التشريع حتى يصبح نافذ المفعول . وليس من حق المحاكم فى اسرائيل ان تنظر فى مدى شرعية أو دستورية ما يوافق عليه الكنيست من تشريعات .

وقد يبدو غريبا أن اسرائيل تعطى هذه الاختصاصات الواسعة للبرلمان الاسرائيلى دون أى قيد أو حد عليه . فيبدو للوهلة الأولى أن برلمان اسرائيل له قوة كبيرة ويعتبر صاحب الكلمة

الأولى والأخيرة بالنسبة للشئون التشريعية فى اسرائيل ، ولكن الحقيقة هى أن الحكومة الاسرائيلية أى السلطة التنفيذية تتمتع بهذه السلطات اذ أن حق اقتراح القوانين انما هو للحكومةوحدها وليس من حق أعضاء الكنيست التقدم بمقترحات للقوانين ، على ذلك فان طبيعة النظام السياسى فى اسرائيل تجعل السلطةالتنفيذية هى صاحبة الكلمة الأولى فى توجيه السياسة العامة للدولة .

ولتوضيح هذه الحقيقة يمكن تلخيص العوامل التى تدفع الى تقوية السلطة التنفيذية فى اسرائيل فى العاملين الآتيين :

١ — السلطة التنفيذية وحدها هى التى تتمكن من تقـديم مقترحات للتشريعات فى اسرائيل ، وليس من حق أعضاء الكنيست المساهمة أو الاشتراك فى اقتراح التشريعات .

٢ — ان اعتماد الوزارات على الائتلافات المنبثقة من تجمع ممثلىالأحزاب فى الكنيست ، وحق الكنيست فىالتصويت بالثقة فى الوزارة يدفع أعضاء هذا المجلس من الأحزاب المؤتلفة والمكونة للوزارة الى محاولة الابقـاء عليها فى السلطة والحكم الأمر الذى يساعد على قبول ما تقترحه الحكومة من تشريعات . حقيقـة توجد بعض الأمثلة عن معارضة الكنيست لبعض التشريعات التى تقدمت بهـا

الحكومة ، وحقيقة ادى رفض الكنيست لواحد منها الى استقالة الوزارة ولكن ليس ذلك بالظاهرة العامة فى السياسة الاسرائيلية . وعندما يوافق الكنيست على تشريع فانه يرسل الى رئيس الوزراء أو الوزير المختص لتوقيعه حتى يمكن نشره فى الجريدة الرسمية ليصبح سارى المفعول . ويلاحظ أن نشر التشريعات فى اسرائيل يتم باللغة العبرية واللغة العربية .

والوظيفة الثانية التى يقوم بها الكنيست هى وظيفة اقرار الضرائب وفرضها والموافقة على الميزانية العامة للدولة والرقابة على الشئون المالية . وهذه وظيفة عادية للمجالس النيابية فى جميع الأنظمة البرلمانية .

أما الوظيفة الثالثة فهى الرقابة على السلطة التنفيذية . وتتلخص وسائل الرقابة التى للكنيست الاسرائيلى فى ثلاث وسائل هى :

١ — السؤال ، حيث يوجه عضو الكنيست سؤالا الى الوزير المختص فيجيب عليه ذلك الوزير ويكون للعضو مقدم السؤال وحده حق التعقيب على اجابة الوزير .

٢ — الاستجواب ، وهو مساءلة الحكومة كلها . أو وزير يعين

عن طريق اجراء وفى هذه الحالة من حق أعضاء الكنيست الاشتراك فى مناقشة الموضوع وقد ينتهى الاستجواب بطرح الثقة فى الحكومة .

٣ — التحقيق البرلمانى وهو اجراء تحقيق فى احدى المسائل بما يؤدى الى تشكيل لجان من أعضاء الكنيست لفحص وتقييم نشاط السلطة التنفيذية واعمالها فى مجالات محددة .

وتأخذ اسرائيل بنظام المسئولية الوزارية ، فالوزارة مسئولة مسئولية جماعية أمام الكنيست ، كما أن اعضاءها من الوزراء مسئولون مسئولية فردية امامه أيضا . وعلى الرغم من أن النظام الاسرائيلى لا يتطلب أن يكون أعضاء الوزارة من بين أعضاء الكنيست ، الا انه من الضرورى ان تتقدم الوزارة الى الكنيست لكى يوافق على تشكيلها . ويستطيع الكنيست أن يناقش الاعمال التى تقوم بها الوزارة كما يستطيع أن يدين بعض هذه الأعمال أولا يوافق عليها . فقد حدث مثلا فى ١٤ فبراير سنة ١٩٥١ ان لم يؤيد الكنيست سياسة الوزارة بشأن تعليم أطفال يهود اليمن فى معسكرات استقبال المهاجرين طالبت الجبهة الدينية بالحاق هؤلاء الأطفال بمدارس الأرثوذكس اليهود . وكان من نتيجة عدم تأييد أغلبية أعضاء الكنيست لسياسة الوزارة ان استقال رئيس الوزراء .

وللكنيست حق حل نفسه كما سبق أن أوضحنا ، وذلك عندما يصطدم بصعوبات لا يتمكن معها من اظهار ائتلاف من بين الأحزاب الممثلة فيه . وعند تقرير حل نفسه يقوم بتحديد موعد الانتخابات التالية .

ويعقد الكنيست دورتين فى السنة ، بحيث لا يتجاوز مدة انعقاد المجلس ثمانية شهور ، وله أن يعقد دورات استثنائية بناء على طلب من الحكومة او من ٣٠ عضو على الأقل من أعضائه .

وفى ختام الحديث عن الكنيست نشير الى وجود المعارضة فى داخل ذلك المجلس النيابى ، وهى معارضة تتكــون عادة من الأحزاب التى لم تقبل الاشتراك فى الوزارة . ولما كانت اسرائيل تأخذ بنظام تعدد الأحزاب فان هذه المعارضة تتفاوت فى اتجاهاتها وقوتها تبعا لمدى استعداد الأحزاب المختلفة قبول الاشتراك فى الائتلافات الوزارية . غير أنه جدير بالملاحظة أن الحزبين المتطرفين ــ الحزب اليمينى حزب حيروت ، والحزب اليسارى ، الحزب الشيوعى ــ لم يشتركا فى الوزارات الاسرائيلية منذ قيام دولة اسرائيل . والاختلافات الفكرية وتناقض الاتجاهات بين هذين الحزبين لا يحتاج الى كثير من الايضاح ، كما أن تأثير هــذين الحزبين ليس بالكبير والفعال . ولذلك فان فاعلية المعارضة لا تتحقق

الا عندما ينقلب احد الأحزاب المشتركة فى الائتلاف الوزارى على سياسة الحكومة ، أو يخرج أحد الأحزاب المكونة للائتلاف منه ممـا يؤدى الى أن تصبح الحكومة فى موقف لا تستطيع معـه أن تحقق الأغلبية البرلمانية فى الكنيست التى تمكنها من الاستقرار فى الحكم .

السلطة التنفيذية :

تتكون السلطة التنفيذية فى اسرائيل من رئيس الجمهورية ومجلس الوزراء .

رئيس الجمهورية : تقف رئيس الجمهورية فى اسرائيل فى خضم الصراعات السياسية التى تسود هذه الدولة . فمنذ اللحظة الأولى لقيام دولة اسرائيل عملت القوى السياسية على تمييع موقف رئيس الجمهورية وعمل بن جوريون كرئيس للوزراء فى اسرائيل على سلب رئيس الجمهورية كل سلطة أو نفوذ فى النظام السياسى الاسرائيلى ، الأمر الذى يجعل رئيس الوزراء صاحب الكلمة الأولى فى السلطة التنفيذية فى اسرائيل .

فعند قيام اسرائيل ثار صراع بين جوريون وحاييم وايزمان. وسعى بن جوريون جاهدا ونجح فى سعيه لانتخاب وايزمان فى ٨ يونيه سنة ١٩٤٨ رئيسا لمجلس الدوله المؤقت ، وكما سبق أن

أشرنا اعتبر رئيس مجلس الدولة المؤقت رئيسا للدولة . وفى هذه المرحلة ، كان وايزمان خارج فلسطين ولم يصل الى اسرائيل الا فى نهاية سبتمبر من تلك السنة فاتاح ذلك الفرصة لبن جوريون كى يستحوذ على كثير من سلطات رئيس الدولة ولكى يضع أسس نظام سياسى فى اسرائيل يتمتع فيه رئيس الوزراء بكل السلطات التنفيذية . وتأكد الاتجاه فى اسرائيل نحو ان يكــون لرئيس الجمهورية وظائف شكلية ومظهرية أكثر من سلطات واختصاصات فعليــة عندما توفى وايزمان وأصــبح رئيس الكنيست يوسف اسبرفنزاك رئيسا للجمهورية بالنيابة طبقا للنظام الاسرائيلى . وقد كان هذا الأخير قوى الشخصية لديه من قوة الدفع ما أدى الى أن سعى بن جوريون الى ابعاده عن مجال التنافس من أجل منصب رئيس الجمهورية وتحقق لبن جوريون ذلك وتم انتخاب شخص ضعيف فى أواخر سنى حياته هو اسحق بن زنى .

ولا يوجد فى النظام الاسرائيلى شروط واضحة يجب تحقيقها فى اختيار رئيس الجمهورية فقانون انتقال السلطة سنة ١٩٤٩ ، والقــانون الخاص الذى صدر بشأن رئيس الجمهــورية فى ٣ ديسمبر سنة ١٩٥٣ لم يرد بهما مواصفات محددة أو شروط معينة يجب توافرها فى رئيس الجمهــورية . غير أن انتخــاب رئيس

الجمهورية يتم من بين أعضاء الكنيست ، وعلى ذلك يعتبر انتخاب رئيس الجمهورية فى اسرائيل انتخابا غــير مباشر . وعندما يتم انتخاب رئيس الجمهورية تتوقف عضويته فى الكنيست . ويشترط ان يحصل المرشح لرئاسة الجمهورية فى اسرائيل حتى يتم انتخابه على أصوات نصف عدد أعضاء الكنيست على الأقل وذلك فى الاقتراعين الأول والثانى . أما اذا لم يحصل أى مرشح على هذه الأغلبية فى الاقتراعين المشار اليهما فيجوز أن يتم انتخاب رئيس الجمهورية بأغلبية أصوات الحاضرين . واذا تعذر ذلك فيمكن استبعاد اسم المرشح الذى يحصل على أقل الأصوات ثم اجراء الاقتراع على سواه من المرشــحين حتى يتم انتخــاب رئيس الجمهورية . ومدة الرئاسة خمس سنوات ، وليس هناك ما يحول دون تقدم الشخص الواحد للترشيح لانتخابات الرياسة أى عدد من المرات .

وكما سبق أن أوضحنا ينوب رَئيس الكنيست عن رئيس الجمهورية فى حالة مرض الأخير أو وفاته أو اعتزاله أو غير ذلك من الأسباب التى تحول دون ممارسته اختصاصاته . وللكنيست حق توجيه اللوم الى رئيس الجمهورية وعزله . ويشترط فى ذلك أن يكون قرار الكنيست بأغلبية ثلاثة أرباع أعضاء المجلس .

أما اختصاصات رئيس الجمهورية فهى كما أشرنا من قبل محدودة اذ ليس له حق الاعتراض على التشريعات التى يوافق عليها الكنيست ، غير انه يقوم بافتتاح دورات الكنيست ويلقى خطاب الافتتاح ويقوم بتكليف الشخص الذى يقع عليه اختيار الأحزاب المختلفة فى الكنيست بتأليف الوزارة ويقبل استقالة رئيس الوزراء والوزراء ولرئيس الجمهورية فى حالات استثنائية اذا طلب منه رئيس الوزراء .

مجلس الوزراء :

يتكون مجلس الوزراء من الوزير الأول أو رئيس الوزراء وهو الشخص الذى تتفق عليه الأحزاب المختلفة ، وعادة يكون زعيم الحزب الذى يحصل على أكبر عدد من المقاعد فى الكنيست ومن عدد من الوزراء لا يشترط فيهم عضوية البرلمان الاسرائيلى. وكما سبق أن أشرنا فان الوزارة بعد تشكيلها تتقدم الى الكنيست لكى يعبر عن ثقته فيها فاذا لم تحصل الوزارة على هذه الثقة لا يكون لها مكانا فى السلطة .

وحزب الماباى هو الحزب الذى استمر منذ استقلال اسرائيل فى احتلال المكان الأول بين الأحزاب الممثلة فى الكنيست ولذلك فان رئيس الوزراء كان دائما من بين زعماء الماباى فى الكنيست.

ويسود فى اسرائيل مبدأ المسئولية الجماعية للوزارة .. أى أنه فى الوقت الذى يعتبر فيه كل وزير مسئولا عن سياسة وزارته وأعمالها فان الوزراء جميعا مسئولون مسئولية جماعية كاملة عن جميع أعمال هذه الوزارة .

ويتمتع كل وزير بصوت واحد فى مجلس الوزراء ولكن اذا أصدر مجلس الوزراء قرارا بأغلبية معينة فانه يعتبر صادرا عن المجلس ويعتبر كل الوزراء مسئولين عنه وقد سبق أن أوضحنا الوسائل المتوفرة لدى الكنيست لمراقبة السلطة التنفيذية فى اسرائيل .

وكل وزير مسئول عن وزارته أمام الكنيست ولكن يوجد فى اسرائيل نظام يمكن بمقتضاه لكل وزير يتولى أحد هذه الوزارات ويشترط ألا يكون وزيرا بلا وزارة — ان يختار أحد أعضاء الكنيست ليتولى ما يعرف باسم « وزير نائب » وهو يعادل وظيفة وكيل وزارة برلمانى أى يكون حلقة الوصل بين الوزارة وبين الكنيست . ويعمل هذا النظام على تأكيد العلاقة بين الجهاز التنفيذى والسلطة التشريعية ، ومن ناحية أخرى يساعد على ارضاء الأحزاب المتعددة وارضاء الكثيرين من أعضاء الكنيست عند توليتهم مثل هذه المناصب .

الأحزاب السياسية فى اسرائيل :

من أهم مظاهر الحياة السياسية والحزبية فى اسرائيل هــو تعدد الأحزاب . وقد نشأت الأحزاب الاسرائيلية قبل قيام دولة اسرائيل فى سنة ١٩٤٨ فى مجتمعات غربية بعيــدة عن الأراضى الفلسطينية ، ثم انتقلت هذه الأحزاب الى فلسطين بعد ١٩٤٨ . وجدير بالذكر أن الحركة الصهيونية العالمية قد شجعت تكوين عديد من الأحزاب حتى تستطيع تلك الحركة أن تعمل من خلال تلك الأحزاب لاجتذاب يهود العالم على اختلاف آرائهم واتجاهاتهم. وقد ظهر على مسرح السياسة الاسرائيلية فى انتخابات سنة ١٩٤٩ ٢١ حزبا سياسيا ، وفى سنة ١٩٦٥ وجــد ١٧ حزبا سياسيا فى اسرائيل .

ويرجع تعدد الأحزاب الاسرائيلية وكثرتها على هذه الصورة الى عدد من العوامل أهمها ما يلى :

١ — عدم انتماء شعب اسرائيل الى تراث تاريخى واحد ، فشعب اسرائيل هو مجاميع من المهاجرين الى اسرائيل وينتمون الى شعوب مختلفة ذات قيم متباينة ، وادى اختلاف هذه القيم الى تعدد الاتجاهات وتباين مواقف الفئات المختلفة فى شعب اسرائيل .

٢ — وجود اختلافات عقائدية بين الصهيونيين أنفسهم ، وتفاوت هذه الاختلافات من التعصب الدينى الأرثوذكسى فى أقصى اليمين الى التحرر والاشتراكية والماركسية فى أقصى اليسار ، وما بين هذين الاتجاهين من مذاهب وآراء . وقد أدت هذه الاختلافات العقائدية الى وجود فئات مختلفة من ذوى العقيدة الصهيونية الذين ينادون بسياسات واتجاهات متعارضة ومختلفة .

٣ — طبيعة نظام الانتخابات فى اسرائيل وهو الذى يعتمد على التمثيل النسبى كما سبق أن أوضحنا . ويساعد نظام التمثيل النسبى على استمرار الأحزاب الصغيرة .

ويمكن تقسيم الأحزاب الاسرائيلية القائمة الى المجموعات الرئيسية التالية :

١ — مجموعة الأحزاب العمالية ، وتضم أحزاب الماباى والمابام وأحدوت هعفودا ورافى .

٢ — مجموعة الأحزاب الدينية ، وتضم الحزب الدينى القومى وحزب اجودات وحزب عمال الاجودات .

٣ — مجموعة الأحزاب اليمينية . وتضم أحزاب جيروت والصهيونيين العموميين والتقدميين (مجموعة جحل) .

الأحزاب العماليـــة

أ ـ حزب المـاباى ، واتحاد عمال اسرائيل :

وقد تأسس هذا الحزب عام ١٩٣٠ عند ما اندمجت منظمـة تسمى « هابوئيل هاتسعير » أى العامل الفنى ومنظمة « احدوت هاعفودا » أى اتحاد العمل . وكانت منظمة العـامل الفنى ذات اتجاهات غير ماركسية بينما كان اتحاد العمل له اتجاهات ماركسية . وقد يوضح هذا التباين فى اتجاهات المنظمتين اللتين قام عليهمـا حزب المـاباى سبب التخلخل والاتجاهات المتضـاربة فى داخل الحزب . كما أن هذا السبب نفسه هو الذى دفع حزب الماباى الى أن يتشكل لكى يصبح حزبا جماهيريا يعمل على استقطاب الجماعات ذات الميول غير المنتخبة بدلا من أن يكون حزبا ممثلا للطبقـة العاملة . وبصفة عامة يعتبر الاسرائيليين حزب الماباى حزبا اشتراكيا يهدف الى البعث الصهيونى أى تدعيم كيان اسرائيل واعادة مكانة صهيون وخلق اشتراكية تتلاءم مع الظروف الاجتماعية والسياسية السائدة فى اسرائيل .

وتتلخص المبادىء التى تقوم عليها اشتراكية الماباى فيما يلى :

أولا : انه حزب الطبقة العاملة اليهودية وقد سعى للسـيطرة على الهستدروت أى « الاتحاد العام للعمال فى اسرائيل » .

ثانيا : انه ينادى بقيام المزارع التعاونية الجماعية وتنظيمها على أسس اشتراكية .

ثالثا : الاقتصاد الموجه .

رابعا : التخطيط الاقتصادى المتدرج .

خامسا : بعض التأمينات الجزئية لمصادر الثروة الطبيعية والخدمات والمرافق العامة .

سادسا : يرفض مبدأ تأميم التجارة الداخلية .

سابعا : ينادى بتوسيع خدمات التعليم التى تشرف عليها الحكومة .

ثامنا : لا يقبل اعتبار الدولة المنتج الوحيد .

تاسعا : يؤمن بالقطاع الخاص وبدوره فى الاقتصاد الوطنى ويدعو الى تشجيعه وافساح مجال العمل له بحرية وبلا خوف .

وقد تولى بن جوريون زعامة هذا الحزب منذ ١٩٣١ حتى تنحيته وظهور ليفى أشكول سنة ١٩٦٥ .

ويبلغ عدد أعضاء الحزب حوالى ١٨٥ ألف عضو وتتراوح نسبة مؤيديه فى الانتخابات بين ٣٤ ٪ ، ٣٨ ٪ من مجموع أصوات الناخبين وقد ساعد على تبوء حزب الماباى لهذه المكانة

سيطرته على الهستدروت وعلى « الهاجاناه » ومن ثم على الجيش. وكذلك سيطرته على الوكالة اليهودية ثم على الدولة بعد قيامها سنة ١٩٤٨ . كما أن شخصية بن جوريون فى السياسة الاسرائيلية اجتذبت للحزب الكثير من الأنصار .

ويشترط فى عضوية الماباى أن يكون العضو من العاملين الذين يكتسبون رزقهم ويحصلون على أجر من عمل سواء فى الزراعة أو فى الصناعة أو يكون منتميا الى احدى النقابات .

وقد قرر الحزب مؤخرا قبول صغار الباعة الجائلين والبقالين وبذلك يكون الحزب قد اتجه نحو توسيع قاعدة تشكيله وتكوينه.

وقد حصل حزب الماباى على ٤٦ مقعدا فى الانتخابات الأولى فى اسرائيل فى يناير سنة ١٩٤٩ أى بنسبة ٣٥٫٧ ٪ من مجموع الأصوات وفاز فى انتخابات نوفمبر ١٩٦٥ بنسبة سبعة وأربعين مقعدا أى ٣٧٫٣ ٪ ، أما فى انتخابات ١٩٦٩ فقد تحالف الماباى مع أحزاب المايام واجودات هعفودا ورافى ، فى — التشكيل العمالى — وحصلت هذه المجموعة على ٥٦ مقعدا فى الكنيست . ويعكس هذا التذبذب فى عدد ممثلى الحزب فى الكنيست اتجاهات الرأى العام الاسرائيلى نحو سياسة حزب الماباى .

وقد تمكن الحزب من الحصول على أكثرية الأصوات الانتخابية في الانتخابات التى أجريت منذ قيام اسرائيل وبذلك تمكن من تزعم جميع الحكومات الائتلافية التى تكونت فى اسرائيل .

٢ ـ حزب المابای (حزب العمال الموحد) :

تقوم فلسفة الحزب على أساس ماركسى صهيونى ، ويقف الحزب فى سياساته فى وضع يسارى من حزب المابای ولكنه لا يصل الى موقع الحزب الشيوعى فى اسرائيل وتستمد سياسة هـذا الحزب أسسها من فلسفة الصهيونية الطلائعية والاشتراكية الثورية التى قامت عليها حركة هاشوبير هاتسعير عند نشأتها فى سنة ١٩١٣ فى بولندا والنمسا . وقامت هـذه الحركة بتشجيع الهجرة الى فلسطين واعداد المهاجرين للعمل فى المزارع الجماعية حتى تمكن للشباب اليهودى الذى يهاجر الى فلسطين أن يعمل فى الكيبوتزات ويمارس الحياة الزراعية الجماعية حتى يمكن تحقيق هدف أساسى وهو تجسيد الارتباطات الثقافية الى جانب الارتباط بالأرض .

وكان معظم أعضاء المايام أعضاء فى الجماعة الارهابية الصهيونية الهاجاناه قبل قيام دولة اسرائيل ، غير أنه عند ما وضح سعى حزب المابای للسيطرة على الهاجاناه كون اعضاء المايام فرقة خاصة عرفت باسم البالماخ .

وينادى المايام الى استمرار الهجرة اليهودية الى اسرائيل من جميع بلدان العالم ، ويؤكد على ضرورة توجيه الشبان الى العمل فى المستعمرات الزراعية . وقد أعلن المايام فى سنة ١٩٥٩ أنه يعتبر جزءا من الحركة الصهيونية العالمية وأن عليه أن يشترك اشتراكا فعليا فى الحركات الصهيونية الوطنية فى كل البلاد وتتجلى هذه النزعة من جانب المايام فى اصراره على أن تكون القدس هى عاصمة الدولة اليهودية .

ويدعو المايام الى اقامة مجتمع اشتراكى لا طبقى يضم اليهود والعرب وتكون القيادة فيه لسكان المزارع الجماعية . ويرى المايام أن وسيلة تحقيق هذا المجتمع غير الطبقى انما هى عن طريق الصراع الطبقى غير أنه لا يصر على ذلك ويركز بشكل واضح وقوى على تضامن الطبقة العاملة وعلى مصالحها فى المجتمع . ويدعو الحزب الى اشراف الحكومة على الواردات الأساسية وعلى الأسعار والأرباح وينادى بتطبيق الضرائب التصاعدية المباشرة على الأملاك والأرباح حتى تتمكن الحكومة من تقديم المساعدة للمهاجرين فى الاستيطان فى اسرائيل .

ولقد لعب المايام دورا رئيسيا فى اقامة دولة اسرائيل وبصفة خاصة عن طريق فرقته الارهابية الخاصة ـ البالماخ . واشترك فى مؤسسات الدولة عند بداية اقامتها . ويحتل الحزب مكانة تتراوح

بين المكان الثـــانى والمكان السادس بين الأحزاب الاسرائيليـــة فى عضوية الكنيست . ويتراوح عدد المقاعد التى حصل عليهـــا فى الانتخابات المختلفة منذ سنة ١٩٤٩ بين ثمانية مقاعد وتسعة عشر مقعـــدا .

٣ ـ حزب احدوت هاعفودا (اتحاد العمل) :

يعتبر أكثر الأحزاب العمالية فى اسرائيل ميلا الى اليســـار . وترجع نشأته الى سنة ١٩١٩ . وهو يقوم على المبادىء الماركسية الى جانب الفكرة الصهيونية . وفى ســـنة ١٩٢٩ انضم احدوت هاعفودا الى جماعة هابوعيل هانشيز لتكوين حزب الماباى ، غير أنه عاد فانشق عن الماباى سنة ١٩٤٥ لعدم وضوح الفكر الاشتراكى لدى الماباى . وفى سنة ١٩٤٨ انضم احدوت هاعفودا الى جماعة هاشومير هاتسعير لتكوين حزب المايام ، ولكنه انشق عنه ســـنة ١٩٤٥ ليكون الحزب القائم حاليا والذى يحتل موقعا وسطا بين الماباى والمايام .

ويعمل حزب احدوت هاعفودا لجمع شمل اليهود فى وطنهم القومى واعتبارهم أمة واحدة ويدعو الى اقامة اقتصاد مخطط فى مجتمع تتوافر فيه المساواة بين الجميع وتأميم المصانع والشركات ورفع التنمية الزراعية ويطالب بفصل الدين عن الدولة . ويدعو الى تقوية روابط التعاون مع الأحزاب الاشتراكيه الصهيونية العالميـــة .

ويستمد احدوت هاعفودا قوته الرئيسية من مستعمرات الكيبوتز التابعة له . وتتراوح قوته فى الكنيست بين المرتبة الخامسة والسادسة .

٤ ـ حزب رافى :

ظهر هذا الحزب فى أواخر سبتمبر سنة ١٩٦٥ قبيل الانتخابات العامة ، وتزعمه بعض زعماء الماباى الذين أيدوا بن جوريون وتبعوه فى الانفصال عن الماباى نتيجة اختلافه مع ليفى أشكول . ومن الواضح أن نشأة الحزب لا ترجع الى مبادىء جديدة أو ايدولوجية مستحدثة وانما ترجع الى الخلافات الشخصية التى ظهرت بين زعماء حزب الماباى .

وحصل حزب رافى فى انتخابات سنة ١٩٦٥ على ١٠ مقاعد فى الكنيست . وترجع هذه النتيجة الى ما تمتع به زعماء الحزب من شعبية ومكانة شخصية ، وأبرز هؤلاء الزعماء دافيد بن جوريون وموشى ديان وسيمون بيريز ويوسف الوجى . وجدير بالذكر أن رافى قد ظل منذ قيامه من غير برنامج سياسى واضح ، ويعتمد اعتمادا كاملا على آراء واتجاهات الشخصيات البارزة التى تنتمى اليه .

ثانيا : الأحزاب الدينية :

يوجد فى اسرائيل ثلاثة أحزاب دينية رئيسية هى :

١ — الحزب الدينى القومى

٢ — حزب اجودات اسرائيل (اتحاد اسرائيل) .

٣ — حزب عمال اجودات اسرائيل (عمال اسرائيل) .

وقد نشأت هذه الأحزاب فى أوائل القرن العشرين على شكل حركات دينية تستهدف الوقوف فى وجه أفكار التحرر والتنوير القادمة من الغرب .

فقامت حركة المزراحى أثناء انعقاد المؤتمر الصهيونى الخامس سنة ١٩٠١ على شكل تحالف بين العناصر اليهودية الأرثوذكسية ودخل المنظمـــة الصهيونية لمواجهة الاتجــاهات الراديكالية من اليسار ، أما حركة الاجودات فقد ظهرت سنة ١٩١٣ لمواجهة ميول اليهود السياسية وما اتجهوا اليه للرحيل عن تجمعات الجيتو فى شرق أوروبا . وبينما رفعت حركة المزراحى شعار « أرض اسرائيل لشعب اسرائيل وفقا لشريعة اسرائيل » وشاركت هرتزل فى اندفاعه لاقامة وطن للشعب اليهودى فى فلسطين ، قامت حركة الاجودات على جماعة من المتدينين الذين عارضوا الصهيونية باعتبــارها خطرا علمانيا على الدين اليهودى ولم تكن فلسطين بالنسبة لهم أكثر من مركز روحى واعتبرت أن التعاون مع العناصر المناوئة للدين يستنزل عقاب الرب على اسرائيل ويحــول دون مجىء المسيح المنتظر . ولذلك بينما ظهر فى فلسطين سنة ١٩١٨ حزب المزراحى وباشر نشاطا صهيونيا فى توطين اليهود واقامة المستعمرات الدفاعية فى

فلسطين رفض الاجودات التعاون مع المنظمة الصهيونية فى أنشطة الاستيطان أثناء الانتداب البريطانى على فلسطين .

حزب مزراحى اى حزب « المركز الروحى » :

يعد من أقدم الأحزاب الصهيونية وأنشىء عام ١٩١٢ لتحقيق العمل الصهيونى مع المحافظة على الطابع الدينى وينتمى اليه أفراد من الطبقة المتوسطة ومن الصهيونيين غير المتعصبين .. ويطالب هذا الحزب ببناء اسرائيل على أساس من التعليم الربانى .

ويؤكد الحزب ضرورة التشبث بتعاليم الدين وتعاليم التوراة .

حزب هابوئيل مزراحى اى « الحزب العامل » :

وهو جناح العمال فى حركة مزراحى وقد تأسس فى نفس الفترة ولا يختلف كثيرا فى اتجاهاته وأهدافه عن غيره من الأحزاب فى اسرائيل .. ويشرف هذا الحزب على عدد من المستعمرات التعاونية يزيد على ٧٠ وقد اشترك فى الحكومات الاسرائيلية منذ قيام دولة اسرائيل .

حزب اجودات اسرائيل اى جماعة اسرائيل :

وترجع نشأته الى منظمة عالمية لليهود الأرثوذكس ظهرت فى بولندا عام ١٩١٢ وانتمى اليها بعض اليهود فى ألمانيا ، وبولندا ، وأوكرانيا ، ويعتقد هذا الحزب أن اليهود شعب خاص مميز وأنه شعب الله المختار وأن التوراة قانون هذا الشعب وأن اسرائيل

أرضه ويقيم هذا الشعب فى أرض اسرائيل وفق تعاليم التوراة . ولهذا فانه يعمل على محاربة دعاة الانصهار وأحزاب اليسار وهو معروف بالتعصب الدينى ومعارضة الصهيونية ويدعو الى انتظار عودة المسيح ليعيد اليهود الى فلسطين .

ويمكن القول أن هذا الحزب هو جمعية غير صهيونية تضم اليهود المتدينين المتعصبين .. ولا يزيد عدد هؤلاء اليهود فى اسرائيل عن ٣٠ ألف وله منظمات خاصة به ومدارس وغير ذلك للمحافظة على التقاليد التى ينادى بها .

حزب بؤارى اجودات اسرائيل اى عمال جماعة اسرائيل :

وقد تأسس عام ١٩٢٢ فى بولندا أيضا على أثر خلاف مع حزب أو جماعة اجودات اسرائيل وجوهر الخلاف هو أن اجودات اسرائيل ينتمون الى الطبقة المتوسطة بينما ينتمى المؤيدين لحزب بؤارى اجودات اسرائيل الى الطبقة العاملة .

ويؤكد هذا الحزب ضرورة المشاركة فى جميع المشروعات المنتجة فى اسرائيل وبناء المستعمرات ويطالب بزيادة الهجرة والدفاع العسكرى ضد الدول العربية وهو حزب من الأحزاب صغيرة العدد فى اسرائيل .

وعلى الرغم من أن الاحزاب الدينيه فى اسرائيل لا تحصل من أصوات الناخبين الا على حوالى ١٥ ٪ من جملة الأصوات فانها تلعب دورا أكثر أهمية من قوتها فى الكنيست . فتحتل الأحزاب

الدينية فى اسرائيل مكانة أدبية ونفوذا دينيا وسياسيا يفوق نسبة تمثيلها فى البرلمان أو الحكومة . ويحرص حزب الماباى على كسب تأييد هذه الأحزاب الدينية واشراكها معه فى الحكم .

ثالثا : الاحزاب اليمينية :

تتألف هذه المجموعة من عدة أحزاب أهمها حزب حيورت الذى يتزعمه مناحم بيجن ، ومجموعة أحزاب جحل التى تتكون من هذا الحزب وحزب الأحرار الذى كان يتكون من حزبين صغيرين هما حزب الصهيونيين العموميين وحزب التقدميين .

حزب حيروت (الحرية) :

ظهر هذا الحزب فى سنة ١٩٤٩ عند ما تحولت احدى المنظمات الارهابية اليهودية وهى منظمة « ارجون زفان ليومى » الى حزب سياسى . وقد تكونت هذه المنظمة العسكرية الارهابية فى سنة ١٩٣٧ وضمت شباب اليهود الذين كانوا يرون الشروع فورا فى العمل على تحقيق أهداف الصهيونية بالقوة . وتولى مناحم بيجن قيادة الارجون زفاى ليومى وهى أكثر المنظمات الصهيونية نزوعا الى الارهاب فى سنة ١٩٤٢ وهو صاحب الفلسفة التى تقول «نحن نحارب فنحن اذن نكون » ، أى أنه يرى أن الوجود الاسرائيلى انما يعتمد اعتمادا أساسيا على استمرار الحرب .

ويقف حزب حيرودت فى أقصى اليمين ويضم العناصر الرجعية والمحاربين والمهاجرين الذين نشطوا فى خلال فترة الانتداب .

ويعارض الحيرودت الاتجاهات ذات الصبغة الاشتراكية ويناصر سياسة الحرية الاقتصادية وتشجيع المشروعات الرأسمالية ويطالب بسلب اختصاصات الهستدروت وادارتها للمشروعات الانتاجية وينادى بمنح هذه الاختصاصات .

ويعـادى حزب حيرودت الحزب الشيوعى وحزب المـاباى ويتهم الماباى بخيانة اسرائيل لأنه لم يقم كيان اسرائيلى عبر حدود نهر الأردن وينادى حزب حيرودت بشن الحرب ضدالدول العربية وتحقيق امتداد اسرائيل الى ما يطلق عليه اسم الحدود التاريخية لاسرائيل .

ويعتبر حزب حيرودت من أقوى أحزاب المعارضة ويتناسب عدد المقـاعد التى يحصل عليها فى الانتخابات بطبيعـة الظروف المحيطة باسرائيل وبصفة خاصة ما يسود منطقة الشرق الأوسط من أحداث .

ولم يستطع حزب حيرودت أن يحقق هدفه فى الحصول على أغلبية فى الكنيست تمكنه من تولى مقاليد الحـكم والاستيلاء عليهـا . غير أن التأييد الشعبى لحزب حيرودت فى تزايد نتيجـة تزايد الاتجاه اليمينى المتطرف فى اسرائيل . فبينما حصل حزب

حيروت على ١٤ مقعدا فى الكنيست فى الانتخابات البرلمانية الأولى فى اسرائيل سنة ١٩٤٩ وذلك بنسبة ٥ر١١ ٪، استمرت هـذه النسبة فى ارتفاع متزايد حتى حصل فى انتخابات سنة ١٩٦٩ على ٢٦ مقعدا بنسبة ٥ر٢١٪ .

حزب الأحرار :

ظهر هـذا الحزب سنة ١٩٦١ بعـد انضمام كل من حزب الصهيونيين العموميين والحزب التقدمى الى بعضهما البعض .

(أ) الصهيونيون العموميون :

ترجع نشأة هذا الحزب الى أواخر القرن التاسع عشر ودفع الى ظهـوره شدة الخلافات والانقسامات فى الحركة الصهيونية ولا سيما بين الأحزاب العمالية من ناحية والأحزاب الدينية من ناحية أخرى . وهدف هذا الحزب منذ قيامه الى المسـاعدة على استعمار فلسطين وتثبيت دعائم الصهيونية فيها . وسعى الى تثبيت الصهيونية فى فلسطين وعمل على اجتذاب العناصر البورجوازية من اليهود الى فلسطين ويعارض قيام اسرائيل بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة بشأن وضع اسرائيل فى الشرق الأوسط .

(ب) الحزب التقدمی :

نشأ هذا الحزب فی سنة ١٩٤٨ معتمدا على فئة من الصهيونيين العموميين التى كانت تعارض خلال ثلاثينات وأربعينات القرن الحالى الأعمال الارهابية التى قامت بها المنظمات اليهودية الارهابية ضد السلطات البريطانية واعتمد على فئات المهاجرين من وسط أوروبا وكثير من الألمان الذين نزحوا الى فلسطين بعد سنة ١٩٣٣ . وتشابه المبادیء التى يقوم عليها الحزب التقدمى تلك المبادیء التى قام عليها حزب الصهيونيين العموميين .

الشعب

٩٢ شارع قصر العيني بالقاهرة
تليفون [illegible]